﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

الإصلاح

لا يُصلِحُ آخِرَ هَذِهِ الأُمَّة إلاّ مَا أَصْلَحَ أَوّلَـهَا

49

مجلة جامعة تصدر عن دار الفضيلة للنشر والتوزيع

السنة العاشرة. العدد التاسع والأربعون: جمادى الأولى/جمادى الآخرة 1437هـ الموافق لـ جانفي/فيفري 2016م



صدُّ داعش

من جرائم الشيعة الرافضة عبر التاريخ
محمد مرابط

ابن معطي الزواوي وجهوده النحوية
عمر تشيش

المرأة المسلمة والتغيرات
د. رضا بوشامة

ظاهرة سب الدين

السعر: 200دج رقم الإيداع القانوني: 2006.3623 ISSN: 1112.6825



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونَسْتَعِينُه ونَسْتَغْفِرُه، ونعوذُ باللهِ منْ شرورِ أنْفُسِنا ومنْ سَيِّئاتِ أعْمالِنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له.

وأشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [سورة آل عمران].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [سورة النساء].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [سورة الأحزاب].

أمَّا بَعْدُ:

فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وأحسنَ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمورِ مُحْدَثاتُها، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وكُلَّ ضَلالَةٍ في النَّارِ.


مجلة جامعة تصدر عن دار الفضيلة للنشر والتوزيع



التصميم والإخراج الفني:
دار الفضيلة للنشر والتوزيع
الطباعة:
مطبعة الديوان
عنوان المجلة:
دار الفضيلة للنشر والتوزيع
التعاونية العقارية (الإصلاحات) ـ قطعة (44) عين النعجة (بئر خادم) ـ الجزائر
الهاتف والفاكس: 38 56 57 (023)
(النقال): 92 99 06 (0559)
التوزيع (جوال): 08 53 62 (0661)
البريد الإلكتروني:
darelfadhila@hotmail.com
الموقع على الشبكة العنكبوتية:
www.rayatalislah.com



افتتاحية

مدير المجلة

صدُّ داعش

تناقلت وسائلُ الإعلام قبل أيام خبَرَ حَجْز ثلاث فتَيات كُنَّ بصَدَد التَّحضير للإلتحاق بداعش؛ وهو ما يعني أنَّ شبابَنا (ذكورًا وإناثًا) ما زال عُرضَةً للوقوع في شباك هذه الفتنَة المُهْلِكَة، فكانَ حريٌّ بنا أن نضع اليد على أهمِّ مسبِّبٍ لهذا الافتتان، لوقاية الشباب منه.

إنَّ الانجرافَ وراءَ سَراب داعش لا يمكنُ ردُّه إلى الأسباب المادِّية فحَسب ـ كما يتصوَّرُه بعضُهم ـ، كعَدم توفُّر الحياة الرَّغيدَة؛ لأنَّ الواقعَ يُكذِّبه، فكثيرٌ من الأفرادِ توفَّرت عنده وسائل الرَّفاهية وطيب العَيش في أوربا وغيرها ولم يمنَعْه ذلك منَ الالتحَاق بهم، وفي بعض الدُّول العَربية التَحَق جمعٌ من الطُّلاب والطَّالبات من كليَّة الطِّبِّ بهذا التَّنظيم؛ فَلا مستَوى المعيشَة الرَّاقي، ولا مستَوى التَّعليم العَالي حال دونَ الافتتان بهذه الطَّائفَة الضَّالَّة.

فالحقيقةُ أنَّ اغترَارَ هؤلاءِ الشَّباب سببُه ضَحالة رصيدِهم منَ العلم الشَّرعي، وعدم وثُوق صلتهم بالعُلماء الربَّانيِّين؛ فالسَّبيلُ إلى حمايتهم من حُمَّى التَّطرُّف والتَّشدُّد والإرهَاب إنَّما هو بتَسليحهم بعُلوم الوحي، وإشباعهم بمعانيه السَّليمة، وتلقينهم منهجَ أهل السُّنَّة، وإحالتهم على المؤهَّلين من أهل الوسطيَّة والاعتدال، لهذا وصَّى الإمام مالك أحَدَ طلَبَته عند توديعه، بقوله: «عليك بتَقْوَى الله، وطَلَب العلم من عند أهله»؛ فما أغلاها من وصيَّةٍ؛ ذلكَ لأنَّ أوَّلَ دركاتِ الانحراف أن يُؤخذَ العلمُ من غير أهله.

وممَّا يسرُّ النَّاظر اليوم رؤية شبابٍ ميَّالٍ إلى العلم النَّافع واتِّباع السُّنَّة؛ قد هُدي إلى سَبيل النَّجاة في زمَن الفتَن المتلاطِمَة والشُّبَه المتَراكمَة، قال الإمام مالك رحمه الله: «السُّنَّةُ سفينَةُ نوحٍ مَنْ ركِبَهَا نَجَا، ومَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ»؛ والسُّنَّةُ هنا تعني الإسلامَ بفَهم السَّلفَ، لا بتَحريفات وتأويلات الخَلَف.

فأنسَبُ خطَّة لصَدِّ فكر داعش وأخواتها هو توجيهُ النَّظَر إلى العلم الصَّحيح وتوسيعُ دائرته في أوسَاط الأمَّة، في المساجد والجامعات ودُور التَّعليم، وفي وسائل الإعلام...؛ حتَّى إذا شاعت أنوارُ العلم وحُجَجُه في كلِّ مكان انقشعَ ظلامُ الباطل، وتبدَّدت أفكارُ الضَّلال، أمَّا أن نضع خططًا وتصوُّرات أمنيَّةً وسياسيَّة واقتصاديَّة دون التفات إلى هذا الرُّكن الأساس، فنكونُ قد لجَأنا إلى حلول ترقيعيَّة، قد تُخفِّفُ وطأَةَ الخَطر لكن لا تقضي عَلى الشَّرِّ من جُذوره، وهو ما يجعلُنا في غير مأمَن من عودة ظهوره في أشكَال جديدَة وبمُسمَّيات أُخرى، يجمعُها أصلٌ واحدٌ وهو الغلوُّ في التَّكفير؛ فإذا لم يُفسَح الطَّريقُ أمامَ العلم الصَّحيح، سيَغلبُ الجهلُ، ويتسلَّط الجُهَّال، وتفشُو الحيرَةُ والضَّلالُ؛ والله المستَعان.

محتويـــات

العدد التاسع والأربعون ـ السنة العاشرة:
جمادى الأولى ـ جمادى الآخرة 1437/جانفي ـ فيفري 2016



4

ظاهرة سب الدين





من جرائم الشيعة الرافضة عبر التاريخ



غلاف العدد السابق


ابن مُعط الزَّواوي وجهودُه النحوية



قواعد النشر في المجلة

- أن تكون الموضوعات مطابقة لخطة المجلة، وموافقة لمنهجها.
- أن يكون المقال متسمًا بالأصالة والاعتدال.
- أن يحرَّر المقال بأسلوب يحقق الغرض، ولغة بعيدة عن التكلف والتعقيد.
- الدقة في التوثيق والتخريج مع الاختصار.
- أن تكون الكتابة على الكمبيوتر، أو بخطٍّ واضح مقروء؛ وعلى وجه واحد من الورقة.
- ألا يزيد المقال على خمس صفحات.
- أن يذكر صاحب المقال اسمه الكامل وعنوانه ورقم هاتفه، ودرجته العلمية إن وجدت.
- المقالات أو البحوث التي لا تنشر لا تردُّ لأصحابها.

المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير:

دار الفضيلة للنشر والتوزيع

التعاونية العقارية (الإصلاحات) ـ قطعة (44)

عين النعجة (بئر خادم) ـ الجزائر

الفاكس: 38 56 57 (023)

البريد الإلكتروني:

darelfadhila@hotmail.com

سعر النسخة: (200 دج)

الاشتراك السنوي: (1500 دج)

الطليعة

ظـاهــرةُ سَــبِّ الدِّيــن



التحرير

مـن الأمـورِ المنافيةِ لتعظيـم الله ﷻ وتَمجيده، المُتَنَقِّصَـةِ لقَـدرِه، المُخالِفَةِ لأمرِه، ما اشـتهر في هـذه الأزمنةِ عند الكثير مـن النَّاسِ الغافلين، الجاهلين بالله وقَدْرِه، المُعَطِّلين ـ قبل ذلك ـ لأمـرِه ونَهيِه، سـبُّ اللهِ تعالى أو سـبُّ دينِه، وسَـلبُه تعالى ما يَسـتَحِقُّ من التَّوقـيرِ والتَّبجيلِ، وشَـتمُه ورَميُه بألفـاظٍ تتَفطَّرُ لسـماعِها السَّمواتُ والأرضُ، يُجريها الشَّـيطانُ على ألسِنَةِ مَنْ لا يَقدرُ اللهَ حقَّ قَدرِه، ولا يقف عند أمرِه.

وقد سوَّل لكثيرٍ منهم أنَّهم لا يَقصدُون معناها، ولا يريدون تَنقُّصَ الـرَّبِّ جـلَّ وعلا، ورُبَّمـا عَدُّوها مـن لَغَطِ القـولِ ولَغوِ الكلامِ الَّذي لا يَترتَّبُ عليه حكمٌ ولا يَلحَقُ صاحبَه وِزرٌ.

وكلُّ ذلك ـ واللهُ المُسـتَعانُ ـ بسـبب خواءِ القلوب من تعظيم الآمـرِ سـبحانه وتَعظيـمِ أَمرِه ونَهيِـه؛ إذ لا يَظهَـرُ الإلحادُ في حـقِّ الله تعالى إلاَّ مِنَ الجهلِ به سـبحانه وبأسـمائه وصـفاتِه، والاسـتهانةِ بقَـدرِه والتَّعطيـلِ لأحكامِه وحدودِه، وقـد قال نوحٌ عليه السلام لقومِـه: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾ [سُورَةُ نُوحٍ] أي: ما لَكُم لا تُعظِّمُونَه حقَّ تَعظِيمِه.

إنَّ السَّـبَّ ـ وهـو كلُّ كلامٍ أو فعـلٍ يُرَادُ بـه انتقاصُ الخالقِ والاسـتخفافُ به أو بدينِه أو بشَـرعِه أو برُسُـلِه ـ لهو من الكفر الَّذي أَجمَعَ علماءُ الإسـلامِ على كبيرِ جُرمِه وشَـناعَةِ وَصـفِه، سـواءٌ أكان السَّـبُّ باسـتهزاءٍ جادٍ، أم مزاحٍ وهَزلٍ، أم غفلةٍ وجهـلٍ، لا فَرقَ بين مَقاصِـدِ ونيَّات النَّاسِ في ذلك؛ لأنَّ العبرةَ بالظَّاهرِ، ولا اعتـدادَ بالباطن؛ ولو أُرجِعَت مخالفاتُ الظَّاهِرِ الصَّـريحةُ لدعاوى الباطـنِ المخالفةِ للظَّاهِرِ لَهَوَتِ الأسـماءُ الشَّـرعيَّةُ، ولَدُفِعَتِ الأحـكامُ والعقوباتُ والحـدودُ، ولأُهدِرَتِ الحقـوقُ والكرامـاتُ، ولم يَتمَيَّزْ مُسـلِمٌ من كافرٍ، ولا مُؤمِنٌ من منافقٍ.

وقـد حَكَمَ اللهُ ﷻ بكُفرِ مَن اسـتَهزَأَ به وبكتَابِه وبرَسُـولِه ﷺ، ولم يَقبَـلِ اعتذارَهـم بعدم قصـدِ الجدِّ، فقـال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ].

ولَئِنْ كان هذا في الاستهزاءِ والسُّخرِيَةِ فهُوَ في السَّبِّ أَشَدُّ.

قال الشَّيخُ ابنُ بازٍ رحمه الله وقد سُئِلَ عن حالِ مَنْ يَسُبُّ الدِّينَ: «هذه مسـألةٌ عظيمةٌ لها شأنٌ خطيرٌ، فسبُّ الدِّينِ من أعظم الكبائرِ والنَّواقضِ للإسلام، فإنَّ سبَّ الدِّين ردَّة عند جميع أهل العلم وهو شرٌّ من الاستهزاء» [«نور على الدرب» (146/4)].

ولعظَمِ جُرمِ سبِّ الدِّينِ فإنَّ علماءَ الإسلام كما أَجمَعُوا على كُفرِ السَّابِّ، أجمعوا على استحقاقِه القتلَ، ولم يَختَلِفُوا في ذلك، وإنَّما اختلفوا في قَبُولِ تَوبَتِه، وهل تَمنَعُه تَوبَتُه ـ إن تاب ـ

من القتل أم لا؟ على قولَيْن مشهورَيْن للعلماء.

وقد سئل ابنُ أبي زيدٍ القيرواني المالكي (386هـ) عن رجلٍ لعن رجلاً ولعنَ اللهَ معه، فقال الرَّجلُ مُعتذرًا: إنَّما أردتُ أن ألعَنَ الشَّيطانَ فزلَّ لساني، فقال ابنُ أبي زيد مُجيبًا:

«يُقتَلُ بظاهرِ كُفره، ولا يُقبَلُ عُذرُه، وسواءٌ أكان مازحًا أو جادًّا» أفاده القاضي عياض في «الشِّفا» (2 / 271).

كلُّ هذا ليَبْقَى الدِّينُ مَصُونًا، بعيدًا من أن تتَناوَلَه ألْسنةُ السُّفهاء بسوءٍ أو إهانة، وحتَّى لا تَعجَزَ الأيدي الرَّادعةُ عن تسليطِ العقاب على من يَستَحقُّه أو تتساهلَ أقلامُ المُفتين وأحكامُ القُضاة عن تجريم السَّابِّ لله، المُهين لدينه، المُحتَقر لشَرعه.

إنَّ ظاهرةَ السَّبِّ هذه لهي من أخطَرِ وأشْنَعِ الجرائم الَّتي تفشَّتْ في مجتمعِ أهلِ الإسلام مَشرقِه ومَغربِه، وصارت ـ للأسف ـ عَلَمًا على أنحاءٍ مُعيَّنة من أرضِ وَطنِنا، وحين ضَعُفَ الإيمانُ في القلوب واضمَحَلَّ وازعُ المروءة من النُّفوس تسَلَّلَتْ إلى البيوتاتِ والمدارسِ ودُورِ التَّعليم فضلاً عن الشَّوارعِ وأماكنِ العملِ والملاعبِ والأسواقِ، وصار عفريتُ السِّباب ـ على حدِّ تعبير الإبراهيمي ـ يَركَبُ كلَّ غاضبٍ أو مُخاصمٍ أو مُجادلٍ، ويَتفَنَّنُ بعضُهم في نَسجِ عباراته، تَلوكُه الألسنةُ من غيرِ رادعٍ ولا وازعٍ، وتَألَفُه الأسماعُ ويَتلقَّفُه الصِّغارُ عن الكبارِ، ورُبَّما التُمِسَتْ للسَّابِّ المعاذيرُ، وقُضِيَتْ مصالحُه وحُقِّقَت مطالبُه، وخِيفَ من سَطوَتِه وغَضبِه.

وهذه إحدى الكُبَر! أن لا تغضبَ النُّفوسُ المؤمنةُ لله، وتغار على دينه وشرعه وتأخذَ على لسانِ ويَدِ هذا الأفَّاك الَّذي جُرمُه أعظَمُ من كلِّ جُرمٍ أو كبيرةٍ تقع من أُناسٍ مُجتَمِعين.

وأدهى من هذا كلِّه أنَّه لو اقتصر إعلانُ السِّبابِ وإطلاقُ اللِّسانِ به على أرصفَةِ الشَّوارِع وفي مدرجات الملاعبِ وأزِقَّةِ الأسواقِ لامتلائها بالهَمج الرَّعاعِ الجُهلاءِ السُّفهاءِ، لكان الأمرُ أهوَنَ ـ وليس هيِّنًا ـ، ولكن أن يَصدُرَ من الأبَوَيْن أو من أحدِهما ويَسمَعه أبناؤه في بيتِه وسُلطَانه، ومن المُعلِّم لتَلاميذه على كراسي التَّعليم ومَحاضِنِ التَّأديب، ومن المسؤولِ وهو يَتحَدَّثُ في مجموعةِ عَمَلِه يَخطُبُ في الحُضورِ ثمَّ يُنقَلُ سبُّه للدِّين عَبرَ أجهزةِ الإعلام، ويَسمَعُه المُتتبِّعون للأخبارِ والأحداثِ، ثمَّ لا إدانةٌ ولا استنكارٌ، ولا إعذارٌ ولا اعتذارٌ، فهذا يُترجِمُ بوضوحٍ أنَّ مصيبةَ الدِّينِ عند القوم أهْوَنُ من مصيبةِ الدُّنيا، ولو أُهين رمزٌ آخر من الرُّموز لأُعلِنَتْ حالةُ الطَّوارئ ولَهَبَّ الجميعُ من شخصيَّاتٍ وهيئاتٍ للتَّنديدِ والاستنكارِ، والتَّحقيقِ في مُلابَساتِ الحادثِ ومنْ يقفُ وراءَه من أصحاب التَّوجُّهاتِ الفكريَّةِ أو المذهبيَّة... فلِمَ التَّخاذُلُ والتَّهاوُنُ في الذَّبِّ عن دينِ الله وشَرعِه؟! والدِّينُ الإسلامي هو أوَّلُ مُقوِّماتِ هويَّةِ الأمَّةِ كما هو منصوصٌ في جميع الدَّساتير الَّتي عَرَفَتْها بلادُنا.

إنَّ الأمَّةَ الجادَّةَ هي الَّتي تَضربُ بقوَّةٍ من حديدٍ على يد من تُسوِّلُ له نفسُه المِساسَ بأغلى الثَّوابتِ وأعلاها وهو دينُها الَّذي هو مَصدَرُ عِزِّها ووُجودها وبقَائها، وتُجرِّمُ كلَّ باغٍ وعادٍ أملى عليه قَلبُه المريضُ ولسانُه البذيءُ انتقاصَ أو إهانةَ دينِ الله، قصدًا أو جهلاً.

والوطنُ يُبنَى كما تُبنَى الدِّيارُ؛ بتماسُكِ الأُسُسِ والجُدرَان، وإنَّ أساسَه هو هذا الدِّينُ العظيمُ، وجُدرَانُه هُمْ أهلُه المُعظِّمونَ له المُحتَمُون به، الغَيُورُون عليه، والشَّبابُ هم البُناةُ، كما صَوَّرَ الشَّيخُ البشيرُ شبابَ الجزائرِ في خَواطرِه حين قال:

«أتمثَّلُه بانيًا للوَطنيَّةِ على خمسٍ، كما بُنِيَ الدِّينُ قبلَها على خمسٍ: السِّبابُ آفةُ الشَّبابِ، واليَأسُ مُفسدٌ للبأسِ، والآمالُ لا تُدرَكُ بغيرِ الأعمالِ، والخَيالُ أوَّلُه لذَّةٌ وآخرُه خبالٌ، والأوطانُ لا تُخدَمُ باتِّباعِ خُطواتِ الشَّيطان» [«الآثار» (3/ 517)].

وقال مُحذِّرًا من أساليبِ السَّبِّ الَّتي تُلقَّنُ للشَّباب:

«إنَّ تَضرِيَةَ الشَّبابِ على الشَّتم والسِّباب جريمةٌ لا تُغتَفَر... إنَّ شبابَ الأمَّةِ هو الدَّمُ الجديدُ في حياتها، فمن الواجب أن يُصانَ هذا الدَّمُ عن أخلاط الفَساد، ومن الواجب أن يَتمَثَّلَ فيهمُ الطُّهرُ والفضيلةُ والخيرُ، ومن الواجب أن تُربَّى ألسنَتُهم على الصِّدقِ وقولِ الحقِّ، لا على البذاءِ وعَوْرَاتِ الكلام» [«الآثار» (3 / 67)].



الأصيل من مصادر التفسير

د.عادل مقراني

أستاذ بجامعة الأمير عبد القادر. قسنطينة

يقوم التَّفسير المقبول على أصلين عظيمين:

الأوَّل: صحَّة مصادر الاستدلال.

والثَّاني: سلامة منهج الاستدلال.



فإِذَا كَانَ الخلل والشُّذوذ والخطأ والاختلاف بقدر انحراف المفسِّر عن هذين الأصلين العظيمين؛ فمن الواجب على المفسِّر أن يصون مصادره ومنهجه عن كلِّ دخيل مذموم؛ لأنَّ الخطأ فيها جسيم، والعثرة قد لا تُقال، والعذر قد لا يُقبل، والتَّبعات أوزار.

ويعدُّ اختلاف المفسِّرين في مصادر التَّفسير من الأسباب المؤثِّرة في استنباطاتهم صحَّة وبطلانًا، وللمرجعيَّة العقديَّة للمفسِّر أثر بالغ في تحديد مصادر التَّفسير؛ لأنَّ الانتساب العقدي للمفسِّر يُلزمه السَّير على منهج الفرقة العقديَّة الَّتي ينتسب إليها، فيقتفي أثر شيوخها، ويتَّبع أصولها وقواعدها، وينهل من مصادرها.

❁❁❁

والمتفحِّص لمصادر التَّفسير يجدها على ضربين؛ فالأول: أصيل عتيق، والثَّاني: دخيل مذموم.

فالأصيل منها؛ القرآن، والسُّنَّة، وأقوال الصَّحابة، والتَّابعين، واللُّغة العربيَّة الحقيقيَّة دون المولَّدة، والاجتهاد المقبول دون غيره من المرفوض المذموم.

وإليك بيانها:

المصدر الأوَّل
القرآن الكريم

وهو أكثر اعتبارًا عند المتقدِّمين، وعند من سار على نهجهم وعقيدتهم؛ لأنَّ القرآن الكريم قد اشتمل على الإيجاز والإطناب، وعلى الإجمال والتَّبيين، وعلى الإطلاق والتَّقييد، وعلى العموم والخصوص، فما أُوجز في موضع بُسط في موضع آخر، وما أُجمل في مكان بُيِّن في آخر، وما جاء مطلقًا في آية قد يلحقه التَّقييد في أخرى، وما كان عامًّا في مكان قد يدخله التَّخصيص في مكان آخر، قال ابن جزي الكلبي رحمه الله: «تفسير بعض القرآن ببعض، فإذا دلَّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجَّحنا القول بذلك على غيره من الأقوال»[1].

ويتفاوت حظُّ المفسِّرين في هذا المصدر بقدر حظِّهم من علم القرآن؛ لذا كان أشرفها، كما قال الشَّنقيطي رحمه الله: «أشرف أنواع التَّفسير وأجلُّها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جلَّ وعلا من الله

(1) «التسهيل لعلوم التنزيل» (15/1).

جلَّ وعلا»[2].

وتفسير كلام الله بكلام الله أقرب الطُّرق إلى الصِّدق والصَّواب، وأصحُّ طرق التَّفسير، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ الله: «إنَّ أصحَّ الطُّرق في ذلك أن يفسَّر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنَّه قد فُسِّر في موضع آخر، وما اختُصر في مكان فقد بُسط في موضع آخر... والغرض أنَّك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السُّنَّة»[3].

◎ **وتفسير القرآن بالقرآن ينقسم إلى قسمين:**

أحدهما: توقيفي لا اجتهاد فيه ولا نظر، وضابطه: أنَّه إذا كان من فسَّر الآية بالآية رسول الله ﷺ أو وقع عليه الإجماع أو صدر عن الصَّحابة ولم يُعلَم له مخالف، فهذا القسم لا شكَّ أنَّه أبلغ أنواع التَّفسير، ولا قول لأحد معه، ومثله لا يختلف فيه، وهو الَّذي يدخل دخولاً أوَّليًّا في التَّفسير بالمأثور.

الآخر: اجتهاديٌّ، وهو ما اعتمد فيه على صحَّة النَّظر، وقوَّة الاستنباط، ومن ذلك حمل معنى آية على آية أخرى تكون مبيِّنة وشارحة للآية الأولى، وهذا النَّوع منه المقبول، ومنه المردود، كأيِّ اجتهاد في تفسير آية ما، ولا اعتبار في قبوله بكون الآية قد فسِّرت بآية أخرى، فكثير ما تجعل الآية أو لفظ منها لما لا يصحُّ لها، وقد يكون حمل الآية على الأخرى اجتهادًا مجرَّدًا خاليًا عن الهوى والبدعة، لكنَّه خلاف الرَّاجح لوجود معارض أقوى منه، واعتضاد غيره بوجه من وجوه التَّرجيح.

(2) «مقدمة أضواء البيان» (1/7).

(3) «مقدمة في أصول التفسير ـ ضمن مجموع الفتاوى» (13/363).

المصدر الثاني

السُّنَّة النَّبويَّة

وهذا النَّوع أحد أشرف النَّوعين لتفسير كلام الله تعالى؛ لأنَّه بيان النَّبيِّ المعصوم ﷺ، كما قال ابن العربي رَحِمَهُ الله: «وبعد تفسير النَّبيِّ ﷺ فلا تفسير، وليس للمتعرِّض إلى غيره إلاَّ النَّكير، وقد كان يمكن لولا تفسير النَّبيِّ ﷺ أن أحرِّر في ذلك مقالاً وجيزًا، وأسبك من سنام المعارف إبريزًا؛ إلاَّ أنَّ الجوهر الأغلى من عند النَّبيِّ ﷺ أولى وأعلى»[4]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ الله: «...فإن أعياك ذلك فعليك بالسُّنَّة فإنَّها شارحة القرآن»[5]، وقال الألوسي رَحِمَهُ الله: «...وهل بعد قول رسول الله ﷺ الصَّادق الأمين قول لقائل أو قياس لقائس، هيهات هيهات دون ذلك أهوال»[6].

◎ **وتفسير القرآن بالسُّنَّة على نوعين:**

الأول ـ توقيفي: وهو ما صدر عن النَّبيِّ ﷺ بيانًا للقرآن الكريم بلفظه، وأخصُّه «ما لا يوصل إلى علم تأويله إلاَّ ببيان الرَّسول ﷺ، وذلك تأويل جميع ما فيه: من وجوه أمره ـ واجبه وندبه وإرشاده ـ، وصنوف نهيه، ووظائف حقوقه وحدوده، ومبالغ فرائضه، ومقادير اللاَّزم بعض خلقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آية، الَّتي لم يدرك علمها إلاَّ ببيان رسول الله ﷺ لأمَّته، وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه، إلاَّ ببيان رسول الله ﷺ بتأويله بنصٍّ منه عليه، أو بدلالة قد نصبها، دالَّة أمَّته على تأويله»[7].

(4) «أحكام القرآن» (3/193).

(5) «مجموع الفتاوى» (13/363).

(6) «روح المعاني» (1/96).

وإذا ثبت التَّفسير من جهة النَّبيِّ ﷺ فكفى به بيانًا لكلام الله تعالى، قال شيخ الإسلام: «وممَّا ينبغي أن يعلم: أنَّ القرآن والحديث إذا عرف تفسيره من جهة النَّبيِّ ﷺ لم يُحتج في ذلك إلى أقوال أهل اللُّغة؛ فإنَّه قد عرف تفسيره، وما أريد بذلك من جهة النَّبيِّ ﷺ لم يُحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللُّغة ولا غيرهم»[8].

وهو صور، منها:

أ ـ تفسيره القرآن بالقرآن، جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام] حديثٌ عن ابن مسعود رَضِيَ الله عَنْه قال: «لمَّا نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شقَّ ذلك على النَّاس فقالوا: يا رسول الله، وأيُّنا لا يظلم نفسه؟! قال: «إنَّه ليس الَّذي تعنُون ألَمْ تسمَعُوا قَوْلَ العبْدِ الصَّالح: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13] إنَّما هو الشِّرك»[9].

ب ـ أن ينصَّ هو على معنى الآية سواء بذكر المعنى ثمَّ يذكر الآية الدَّالَّة عليه، كما جاء من طريق ابن عبَّاس رَضِيَ الله عَنْهما عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ثُمَّ قَرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٠٤﴾ [الأنبياء: 10]»[10].

(7) «جامع البيان في تأويل القرآن» للطبري (1/73).

(8) «مجموع الفتاوى» (13/27ـ28).

(9) أخرجه البخاري (3429)، ومسلم (124)، وأحمد (3589).

(10) أخرجه البخاري (3349)، ومسلم (2860).

أو يبدأ بالآية ثمَّ يبيِّن معناها، كما صحَّ من طريق عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: 60] أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»[11].

الثَّاني . اجتهادي: وهو ما ورد عنه في عموم سنَّته، «وسنَّة رسول الله ﷺ تفسِّر القرآن»[12]، وهذا النَّوع الثَّاني فيه المقبول والمردود؛ لأنَّه محلُّ نظر واجتهاد فقد يعتري الاستدلال به الخطأ والصَّواب؛ لأنَّه اجتهاد المفسِّر في الاستدلال بها على تفسير الآية أو اللَّفظة القرآنيَّة.

فالسُّنَّة مبيِّنة وشارحة وموضحة للقرآن الكريم، كما بيَّن شيخ الإسلام: «إنَّ السُّنَّة تفسِّر القرآن وتدلُّ عليه وتعبِّر عنه... والسُّنَّة الثَّابتة لا تخالف كتاب الله بل توافقه وتصدِّقه؛ ولكن تفسِّره وتبيِّنه لمن قَصُرَ فهمُه عن فهم القرآن؛ فإنَّ القرآن فيه دلالات خفيَّة تخفى على كثير من النَّاس وفيه مواضع ذكرت مجملةً تفسِّرها السُّنَّة وتبيِّنها»[13].

المصدر الثالث
أقوال الصَّحابة[14]

وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «أفضل العلوم في تفسير القرآن، ومعاني الحديث، والكلام في الحلال والحرام ما كان مأثورًا عن الصَّحابة والتَّابعين وتابعيهم إلى أن ينتهي إلى زمن أئمَّة الإسلام المشهورين المقتدى بهم»[15]،

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وحينئذ إذا لم نجد التَّفسير في القرآن ولا في السُّنَّة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصَّحابة فإنَّهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال الَّتي اختصُّوا بها ولِمَا لهم من الفهم التَّامِّ والعلم الصَّحيح لا سيما علماؤهم وكبراؤهم...»[16].

قال الشَّوكاني رحمه الله: «وأمَّا ما كان منها ثابتًا عن الصَّحابة . رضوان الله عليهم . فإن كان من الألفاظ الَّتي نقلها الشَّرع إلى معنى مغاير للمعنى اللُّغوي بوجه من الوجوه فهو مقدَّم على غيره»[17].

قال الزركشي رحمه الله: «ينظر في تفسير الصَّحابي فإن فسَّره من حيث اللُّغة فهُم أهل اللِّسان فلا شكَّ في اعتمادهم»[18].

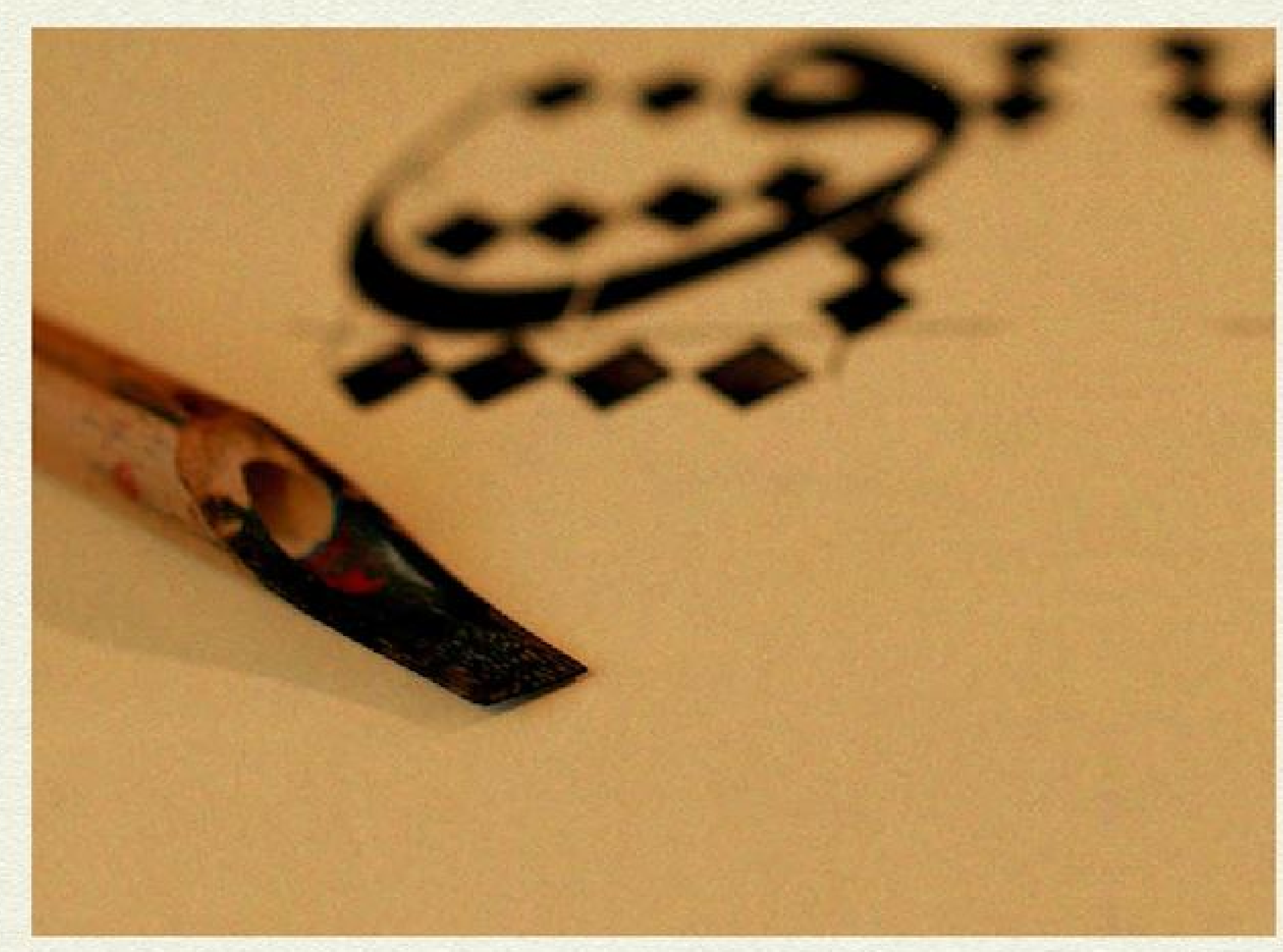
فأعلَمُ النَّاس بكلام الله تعالى بعد رسول الله ﷺ هم أصحابه رضوان الله عليهم؛ لذا لا يجوز العدول عن تفسيرهم، كما قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وفي الجملة من عَدَل عن مذاهب الصَّحابة والتَّابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئًا في ذلك، بل مبتدعًا، وإن كان مجتهدًا مغفورًا له خطؤه، فالمقصود بيان طرق العلم وأدلَّته، وطرق الصَّواب، ونحن نعلم أنَّ القرآن قرأه الصَّحابة والتَّابعون وتابعوهم، وأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنَّهم أعلم بالحقِّ الَّذي بعث الله به رسوله ﷺ، فمن خالف قولهم وفسَّر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدَّليل والمدلول جميعا»[19].

فالصَّحابة رضي الله عنهم نَقَلَة الوحي وحفَّاظه، وأخصُّ النَّاس فهمًا له، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فقولنا بتفسير الصَّحابة والتَّابعين لعلمنا بأنَّهم بلَّغوا عن الرَّسول ﷺ ما لم يصل إلينا إلاَّ بطريقهم، وأنَّهم علموا معنى ما أنزل الله على رسوله ﷺ تلقيًّا عن الرَّسول، فيمتنع أن نكون نحن مصيبين في فهم القرآن، وهم مخطئون، وهذا يعلم بطلانه ضرورةً عادةً وشرعًا»[20].

المصدر الرابع
أقوال التابعين

لقد ورث التَّابعون علم أصحاب النَّبيِّ ﷺ، ومن أشرف وأنفس ما حازوه وحصَّلوه منهم علم التَّفسير، فكانوا فرسانه بعدهم، كما أنَّ سند علم التَّفسير يدور عليهم؛ لذا كانت معرفة أقوالهم في التَّفسير أنفع من معرفة أقوال المتأخِّرين في جميع مباحث علوم الدِّين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولهذا كان معرفة أقوالهم في العلم والدِّين وأعمالهم خيرًا وأنفع من معرفة أقوال المتأخِّرين وأعمالهم في جميع علوم الدِّين وأعماله كالتَّفسير وأصول الدِّين وفروعه والزُّهد والعبادة والأخلاق والجهاد وغير ذلك؛ فإنَّهم أفضل ممَّن بعدهم كما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة، فالاقتداء بهم خير من الاقتداء

(11) أخرجه مسلم (1917).
(12) «مجموع الفتاوى» (131/12).
(13) «مجموع الفتاوى» (131/21).
(14) سبق الكلام على تفسير الصحابي في مقال خاصٍّ، العدد التَّاسع والثَّلاثون.
(15) «بيان فضل علم السَّلف على الخلف» (ص5).
(16) «مقدمة في أصول التَّفسير . ضمن مجموع الفتاوى» (364/13).
(17) «فتح القدير» (12/1).
(18) «البرهان في علوم القرآن» (172/2).
(19) «مجموع الفتاوى» (362/13).
(20) «بغية المرتاد» (ص332).



بمن بعدهم ومعرفة إجماعهم ونزاعهم في العلم والدِّين خير وأنفع من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم»[21].

وقد نصَّ أهل العلم على اعتبار قول التَّابعي في التَّفسير وجعله من أهمِّ مصادر التَّفسير الأصيلة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إذا لم تجد التَّفسير في القرآن، ولا في السُّنَّة ولا وجدته عن الصَّحابة فقد رجع كثير من الأئمَّة في ذلك إلى أقوال التَّابعين»[22]؛ لأنَّهم أعلم النَّاس بالتَّفسير بعد الصَّحابة، قال شيخ الإسلام: «ونحن نعلم أنَّ القرآن قرأه الصَّحابة والتَّابعون وتابعوهم، وأنَّهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه»[23].

وقد تكلَّم العلماء على حجيَّة وحكم تفسير التَّابعي بين قائل بعدم حجيَّته وقائل بحجيَّته المطلقة، ولعلَّ القول بالتَّفصيل هو أصوب الأقوال في حكم تفسير التَّابعي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقال شعبة بن الحجَّاج وغيره: أقوال التَّابعين في الفروع ليست حجَّة، فكيف تكون حجَّة في التَّفسير، يعني أنَّها لا تكون حجَّة على غيرهم ممَّن خالفهم، وهذا صحيح، أمَّا إذا أجمعوا على الشَّيء فلا يرتاب في كونه حجَّة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجَّة على بعض ولا على من بعدهم وَيُرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السُّنَّة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصَّحابة في ذلك»[24].

(21) «مجموع الفتاوى» (23/13).
(22) المصدر نفسه (364/13).
(23) «مجموع الفتاوى» (362/13).

◎ **وتفسير القرآن بأقوال التَّابعين على أقسام:**

أوَّلاً. ما أجمعوا عليه: وهذا النَّوع حجَّة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أمَّا إذا أجمعوا على الشَّيء فلا يرتاب في كونه حجَّة»[25].

ثانيًا. أن يَرِدَ عن أحدهم ولا يعلم له مخالف: وهذا النَّوع نقل فيه ابن القيم رحمه الله قولَيْن لأهل العلم، قال: «فإن قيل: فبعض ما ذكرتم من الأدلَّة ـ أي على قبول قول الصَّحابي إذا قال قولاً ولا يعلم له مخالف ـ يقتضي أنَّ التَّابعي إذا قال قولاً ولم يخالفه صحابيٌّ ولا تابعيٌّ أن يكون قوله حجَّة!

فالجواب: أنَّ التَّابعين انتشروا انتشارًا لا ينضبط لكثرتهم، وانتشرت المسائل في عصرهم، فلا يكاد يغلب على الظَّنِّ عدم المخالف لما أفتى به الواحد منهم، فإن فرض ذلك فقد اختلف السَّلف في ذلك، فمنهم من يقول: يجب اتِّباع التَّابعي فيما أفتى به، ولم يخالفه فيه صحابيٌّ ولا تابعيٌّ، وهذا قول بعض الحنابلة والشَّافعيَّة، وقد صرَّح الشَّافعي في موضع بأنَّه قاله تقليدًا لعطاء، وهذا من كمال علمه وفقهه رضي الله عنه، فإنَّه لم يجد في المسألة غير قول عطاء، فكان قوله عندي أقوى ما وجد في المسألة، وقال في موضع آخر: وهذا يخرج على معنى قول عطاء، والأكثرون يفرِّقون بين الصَّحابي والتَّابعي، ولا يخفى ما بينهما من الفروق على أنَّ في الاحتجاج بتفسير التَّابعي عند الإمام أحمد روايتين، ومن تأمَّل كتب الأئمَّة، ومن بعدهم وجدها مشحونة بالاحتجاج بتفسير التَّابعي»[26].

(24) «مجموع الفتاوى» (370/13).
(25) المصدر نفسه (13 / 370).

ثالثًا. ما اختلفوا فيه: وهذا النَّوع ليس بحجَّة وإنَّما يعمل فيه بالمرجِّحات، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجَّة على بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السُّنَّة أو عموم لغة العرب، وأقوال الصَّحابة في ذلك»[27].

(26) «إعلام الموقعين» (155/4).
(27) «مجموع الفتاوى» (370/13).

المصدر الخامس

اللُّغة العربيَّة

لا يخفى على عارف بكتاب الله تعالى منزلة اللُّغة العربيَّة ومكانتها في تفسيره، ولا أدلّ على هذا من نزول القرآن الكريم بهذه اللُّغة، كما قال الشَّاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لابدَّ في فهم الشَّريعة من اتِّباع معهود الأميِّين، وهم العرب الَّذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عُرف مستمرٌّ فلا يصحُّ العدول عنه في فهم الشَّريعة، وإن لم يكن ثمَّ عُرف فلا يصحُّ أن يجري في فهمها على ما لا تعرفه، وهذا جارٍ في المعاني والألفاظ والأساليب»[28].

قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «التَّفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلاَّ الله تعالى»[29].

وقال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يحلُّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلَّم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب»[30].

فتفسير كتاب الله تعالى متوقِّف على معرفة اللُّغة العربيَّة؛ لأنَّ جهل اللِّسان العربي يعني سوء البيان للكتاب، قال الإمام الشَّافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب، وكثرة وجوهه وجماع معانيه وتفرُّقها، ومن علمه انتفت عنه الشُّبه الَّتي دخلت على من جهل لسانها»[31].

(28) «الموافقات» (164/2).
(29) «جامع البيان» (74/1 ـ 76).
(30) «الرسالة» (ص50).
(31) المصدر نفسه (ص50).

ففَهْم مراد الله تعالى متوقِّف على فهم لغة العرب ومعرفة علومها؛ فبها نزل الكتاب، وخوطب العباد، قال الإمام الشَّاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاجتهاد إن تعلَّق بالاستنباط من النُّصوص فلابدَّ من اشتراط العلم بالعربية»[32] فالمأثور من العربيَّة هي اللُّغة الحقيقيَّة لا المولَّدة، كما قال ابن بدران: «بل الواجب أن يعرف اللُّغة والعادة والعرف الذي نزل به القرآن والسُّنَّة، وما كان الصَّحابة يفهمون من الرَّسول عند سماع تلك الألفاظ، فبتلك اللُّغة والعادة والعرف خاطبهم الله ورسوله، لا بما حدث بعد ذلك»[33]، وقال الطَّاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ القرآن كلام عربيٌّ فكانت قواعد العربيَّة طريقًا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم، لمن ليس بعربيٍّ بالسَّليقة»[34].

فحظُّ المفسِّر من فهمه لكتاب الله تعالى بقدر حظِّه من هذه اللغة؛ ذلك أنَّ «الشَّريعة عربيَّة، وإذا كانت عربيَّة فلا يفهمها حقَّ الفهم إلاَّ من فهم اللُّغة العربيَّة حقَّ الفهم؛ لأنَّهما سيان في النَّمط... فإذا فرضنا مبتدئًا في فهم العربيَّة فهو مبتدئ في فهم الشَّريعة أو متوسِّطًا فهو متوسِّط في فهم الشَّريعة... فإذا انتهى إلى درجة الغاية في العربيَّة كان كذلك في الشَّريعة»[35]، وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلا بدَّ في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدلُّ عليه مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يفهم كلامه، فمعرفة العربيَّة الَّتي خوطبنا بها ممَّا يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالات الألفاظ على المعاني»[36].

كما أنَّ الوقوف على دقائق معاني القرآن لا تتكشف إلاَّ لمن له معرفة باللُّغة، كما قال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنَّما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واتَّسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصَّ الله به لغتها دون جميع اللغات»[37]، وقال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ العلم بلغة العرب واجب على كلِّ متعلق من العلم بالقرآن والسُّنَّة والفتيا بسبب، حتَّى لا غناء بأحد منهم عنه، وذلك أنَّ القرآن نازل بلغة العرب ورسوله ﷺ عربي، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله عزَّ وجلَّ، وما في سنَّة رسول الله ﷺ من كلِّ كلمة غريبة أو نظم عجيب، لم يجد من العلم باللُّغة بدًّا»[38].

(32) «الموافقات» (117/4).
(33) «محاسن التأويل» لجمال الدِّين القاسمي (147/1).
(34) «التَّحرير والتَّنوير» (18/1).
(35) «الموافقات» (115/4).

المصدر السادس

الاجتهاد المحمود المقبول

بذل المفسِّرون جهدهم لبيان مقاصد وهدايات القرآن الكريم؛ الذي يتوقَّف وضوحه وجلاؤه على مدى إدراك المفسِّر لهذه الحقيقة، ولهذه الخصيصة القرآنيَّة، وهي قابليَّته لتعدُّد الفهوم، قال الجصَّاص رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النِّسَاء: 83] وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ]، فحثَّنا على التَّفكُّر فيه، وحرَّضنا على

(36) «مجموع الفتاوى» (116/7).
(37) «تأويل مشكل القرآن» (ص12).
(38) «الصَّاحبي في فقه اللُّغة» (ص50).

الاستنباط والتدبُّر، وأمرنا بالاعتبار لنتسابق إلى إدراك أحكامه، وننال درجة المستنبطين والعلماء النَّاظرين، ودلَّ بما نزل من الآي المحتملة للوجوه من الأحكام التي طريق استدراك معانيها السَّمع على تسويغ الاجتهاد في طلبها، وأنَّ كلا منهم مكلَّف بالقول بما أدَّاه إليه اجتهاده واستقرَّ عليه رأيه ونظره، وأنَّ مراد الله من كلٍّ واحد من المجتهدين اعتقاد ما أدَّاه إليه نظره إذ لم يكن لنا سبيل إلى استدراكه إلاَّ من طريق السَّمع، وكان جائزًا تعبد كلّ واحد منهم من طريق النَّظر بمثل ما حصل عليه اجتهاده، فوجب من أجل ذلك أن يكون من حيث جعل لفظ الكتاب محتملاً للمعاني أن يكون مُشَرِّعًا لكل واحد من المجتهدين ما دلَّ عليه عنده فحوى الآية، وما في مضمون الخطاب ومقتضاه من وجوه الاحتمال، فانظر على كم اشتملت هذه الآية بفحواها ومقتضاها من لطيف المعاني وكثرة الفوائد، وضروب ما أدَّت إليه من وجوه الاستنباط، وهذه إحدى دلائل إعجاز القرآن إذ غير جائز وجود مثله في كلام البشر»[39].

وهذا النَّوع من الرَّأي الصَّائب في التَّفسير هو طريق صحيح لتفسير كلام الله تعالى، وهو باب الاجتهاد الذي يختصُّ به كلُّ علم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذه الآثار الصَّحيحة وما شاكلها - في النَّهي عن الرَّأي المجرَّد - عن أئمَّة السَّلف محمولة على تحرُّجهم عن الكلام في التَّفسير بما لا علم لهم به، فأمَّا من تكلَّم بما يعلم من ذلك لغةً وشرعًا فلا حرج عليه، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التَّفسير ولا

(39) «أحكام القرآن» (34/4).

منافاة؛ لأنَّهم تكلَّموا فيما علموه وسكتوا عمَّا جهلوه، وهذا هو الواجب على كلِّ أحد فإنَّه كما يجب السُّكوت عمَّا لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه ممَّا يعلمه لقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: 187]، ولِمَا جاء في الحديث المروي من طرق: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»[40]»[41].

وقال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليكن الَّذي تعتمد عليه هذا الأثر، وخذ من الرَّأي ما يفسر لك الحديث»، قال ابن القيِّم: «وهذا هو الفهم الذي يختصُّ الله به من يشاء من عباده»[42].

وقد فتح الله تعالى على كثير من أهل التَّفسير هذا الباب فأعطوا علومًا وفهومًا، وصارت تفاسيرهم مرجعًا لهذه الأمَّة في التَّبصُّر بمعاني كلام الله تعالى، كما قال صاحب «التَّحرير والتَّنوير» رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهل اتَّسعت التَّفاسير وتفنَّنت مستنبطات معاني القرآن إلاَّ بما رُزِقَهُ الذين أوتوا العلم من فهم في كتاب الله»[43].

ولكن هذا الرَّأي الصَّائب المحمود تنقطع دونه أعناق الإبل، قال الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فالذي ينبغي أن يعوَّل عليه أنَّ من كان متبحِّرًا في علم اللِّسان مترقِّيًا منه إلى ذوق العرفان، وله في رياض العلوم الدِّينيَّة أوفى مرتَع، وفي حياضها أصفى

(40) أخرجه أبو داود (3658)، وابن ماجه (264)، والحاكم (101/1)، وقال فيه: «هذا حديث تداوله الناس بأسانيد كثيرة تجمع ويذاكر بها وهذا الإسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» (140/1).

(41) «مقدمة في أصول التفسير - ضمن مجموع الفتاوى» (373/13).

(42) «إعلام الموقعين» (82/1).

(43) «التحرير والتنوير» للطَّاهر بن عاشور (28/1).

مكرع، يدرك إعجاز القرآن بالوجدان لا بالتَّقليد، وقد غدا ذهنه لما أغلق من دقائق التَّحقيقات أحسن إقليد، فذاك يجوز له أن يرتقي من علم التَّفسير ذروته ويتمطَّى منه صهوته»[44].

والمقدَّم من هذا النَّوع على غيره رأي أفقه الأمَّة وأبرِّهم قلوبًا، وأعمقهم علمًا، وأقلِّهم تكلُّفًا، وأصحِّهم قصدًا، وأكملهم فطرةً، وأتمِّهم إدراكًا، وأصفاهم أذهانًا، الذين شاهدوا التَّنزيل، وعرفوا التَّأويل وفهموا مقاصد الرَّسول، ونسبة آرائهم وعلومهم وقصودهم إلى ما جاء به الرَّسول صلى الله عليه وسلم كنسبتهم إلى صحبته، والفرق بينهم وبين من بعدهم في ذلك كالفرق بينهم وبينهم في الفضل، ونسبة رأي من بعدهم إلى رأيهم كنسبة قدرهم إلى قدرهم، قال الإمام الشَّافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وآراؤهم لنا أحمد، وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا»[45].

والله تعالى أعلم، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❁❁❁

(44) «روح المعاني» (7،6/1).

(45) «إعلام الموقعين» لابن القيم (101/1).



من مشكاة السنة

ثلاثٌ لا يَغِل عليهن قلبُ مؤمن

صالح الكشبور
مرحلة الدكتوراه. جامعة الجزائر

قالَ رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :

ثَلاَثٌ لاَ يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ:
إِخْلاَصُ العَمَلِ للهِ،
ومُنَاصَحَةُ أُولي الأَمْرِ،
ولُزُومُ جَمَاعَةِ المُسْلمِينَ؛
فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَاءِهِمْ.

رواه الطَّيالسي رحمه الله من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، فقال رحمه الله: «حدَّثنا شُعبَةُ، عن عمر بن سليمان، عن عبد الرَّحمن بن أبان، عن أبيه، قال: سمعتُ زيد بنَ ثابت يقول: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: «ثَلاَثٌ لاَ يَغِلُّ...» الحديث[1].

وهذا الإسناد صحيحٌ رجالُه ثقاتٌ.

ورواه الخطيب البغدادي[2] والبيهقي[3] كلاهما عن أبي العبَّاس الأصمِّ، نا أبو عتبة أحمد بنُ الفرج الحجازي، نا بقيَّةُ، عن مُعان بن رفاعة، قال: حدَّثني عبدُ الوهَّاب بنُ بخت، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلاَثٌ لاَ يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ...» الحديث.

وهذا الإسناد ضعيفٌ لثلاث علل:

1. مُعان بن رفاعة، قال فيه ابنُ عدي: «عامَّةُ ما يرويه لا يُتابَعُ عليه»[4]! وقال ابنُ حجر: «لَيِّنُ الحديث كثيرُ الإرسال»[5].

2. عنعنة بقيَّةَ وهو ابنُ الوليد الدِّمشقي المشهور بالتَّدليس، قال ابنُ حجر: «صدوقٌ كثيرُ التَّدليس عن الضُّعفَاء»[6].

3. أحمد بنُ الفرج ليس بذاك القويِّ، فقد قال ابن أبي حاتم: «محلُّه عندنا الصِّدقُ»، وقال ابن عَدي: «كان مُحمَّد بنُ عوف يُضعِّفُه ويتكلَّم فيه»، وقال ابنُ عَدي: «مع ضَعفه قد احتمله النَّاس، وليس ممَّن يُحتَجُّ به»، وقال

(1) «مُسنَد الطَّيالسي» (616).
(2) «الفقيه والمُتفقِّه» (443).
(3) «شُعَبُ الإيمان» (7108).
(4) «الكامل في ضُعفَاء الرِّجال» (6/328).
(5) «التَّقريب» (ص537).
(6) «التَّقريب» (ص126).

الذَّهبي: «وكان ابن جوصا يُضعِّفُه»[7].

ورواه كذلك الطَّبراني عن أنس رضي الله عنه، فقال رحمه الله: «حدَّثنا عبدُ الله ابنُ أحمد بن حنبل ومحمَّد بن عثمان ابن أبي شيبة قالا: ثنا عبد الجبَّار بن عاصم ثنا هاني بن عبد الرَّحمن بن أبي عبلة عن إبراهيم عن عقبة بن وسَّاج عن أنس ابن مالك قال رسولُ الله ﷺ: «ثَلاثٌ لاَ يَغِل...» الحديث[8].

وهذا إسنادٌ رجالُه ثقاتٌ غيرَ هاني ابنِ عبد الرَّحمن بن أبي عَبْلَةَ وهو ابنُ أخي إبراهيم الَّذي روى عنه، ذكره ابن حبَّان في «الثِّقات» وقال: «رُبَّما أغرَب»[9].

وجاء هذا الحديث قطعةً من الحديث المشهور المتواتر «نَضَّرَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَحَفِظَهَا وَوَعَاهَا وَأَدَّاهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»، فقد ورد بطرق كثيرة[10] عن جماعة من الصَّحابة؛ كجُبَيْر ابن مُطعِم وزيد بن ثابت وابنِ مسعود وأنس ابن مالك والنُّعمان بن بشير ووالده النُّعمان بن سَعْد وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وأبي الدَّرداء وابنِ عبَّاس وأبي قرصافة رضي الله عنهم.

❁❁❁

فهذا الحديثُ عظيمُ الشَّأنِ لما فيه من ضروب العلم، ففيه الدَّواء النَّاجع لفِتَنِ الشَّهوات والشُّبهات، وقد قرَّر قواعدَ جامعةً يحتاج إليها النَّاس في دينهم ودُنياهم، وتضمَّن صلاحَ القلوبِ وسلامتَها من الشُّرور.

❁❁❁

ودونك بعضَ فوائده ليَتبيَّنَ لك وجهُ عَظمته وأهمِّيَّته:

1. في الحديث البَدْءُ بالأهمِّ فالأهمِّ؛ لأنَّه عند ذكر الخصال الثَّلاث بدأ بأهمِّها وهو إخلاصُ العمل لله.

2. فيه أنَّه عند ذكرِ ما يُرَادُ الاعتناءُ به يُقدِّمُ بين يدي ذكرِه وصفَه بما يُحفِّزُ الهِمَمَ إليه؛ فإنَّه ﷺ قبل أن يذكر الخصالَ الثَّلاثَ قَدَّمَ وَصفَها بكون قلب المؤمن لا يَغِلُّ عليها.

3. الإجمالُ في العدد قبلَ تفسيره لتشوُّف النَّفسُ إلى التَّفصيل ثمَّ تَسكُنَ إليه، وليحصُلَ للسَّامِع حفظُ المعدود واستيعابُه، فإذا نسي شيئًا منه طال بنفسه بالعدد، فإذا لم يَستَوْفِ العدد الَّذي في حفظِه عَلِمَ أنَّه فاته بعضُ ما سمع[11].

4. قولُه ﷺ: «ثَلاَثٌ لاَ يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ»، فلفظة «يَغِلُّ» ممَّا يُروَى على وَجهَيْن؛ بضمِّ الياء وبفتحها، فالأوَّل من الإغلال وهو الخيانة، والثَّاني من الغلِّ هو الحقد والشَّحناء[12].

وهذه الجملة تحتمل معنيين:

○ أنَّ قلبَ الرَّجلِ المُسلم حالَ كونه مُتَّصفًا بهذه الخصال الثَّلاث لا يَصدُرُ عنه الخيانةُ والحقدُ والشَّحناءُ، ولا يَدخُلُه ممَّا يزيلُه عن الحقِّ، قال ابنُ عبد البرِّ: «معناه: لا يكون القلب عليهنَّ ومعهنَّ غليلاً أبدًا، يعني لا يقوى فيه مرضٌ ولا نفاقٌ إذا أخلَصَ العمل لله ولَزِمَ الجماعة وناصح أُولي الأمر»[13]، وهو أحَدُ الوجهَيْن اللَّذَيْن ذكرَهما الخطَّابي فقال رحمه الله: «أراد أنَّ القلبَ يُستَصْلَحُ بهذه الخصال ويُعالَجُ نغله وفسادُه بها، وأنَّ من تمسَّكَ بها لم يَجِدْ غلاً في قلبه على أحد يَحضُّ على لزومها والمحافظة عليها»[14]، وقال ابنُ القيِّم: «أي لا يبقى فيه غلٌّ ولا يحمل الغلَّ مع هذه الثَّلاثة، بل تَنفي عنه غِلَّه وتُنقِّيه منه وتُخرِجُه عنه»[15].

○ ويُحتَمَلُ في المعنى: أنَّ من شأن قلب المسلم أن لا يخون ولا يَحسُدَ في هذه الخصال ولا يَدخُلُه ضغن يُزيله عن الحقِّ حين يفعل شيئًا من ذلك[16]، وهذا معنى ما أراده الخطَّابي رحمه الله بقوله: «يريد والله أعلم أنَّ هذه الخلالَ الثَّلاثَ ممَّا لا يُخالِجُ القلبَ ريبٌ أنَّهنَّ برٌّ وطاعةٌ؛ لأنَّها من المعروف الَّذي تَعرِفُه النُّفوس وتسكن إليه القلوب وهذا كحديثه الآخر أنَّه سُئِلَ عن البرِّ والإثم فقال: «البرُّ حُسنُ الخُلُقِ والإثمُ ما حاك في نَفسك...»[17]، وقال شيخُ الإسلام: «فإنَّ اللهَ إذا كان يرضاها لنا لم يكن قلبُ المؤمن الَّذي يُحبُّ ما يُحبُّه الله يَغِلُّ عليها؛ يُبغِضُها ويَكرَهُها، فيكون في قلبه عليها غلٌّ؛ بل يُحبُّها قلبُ المؤمن ويرضاها»[18].

(7) انظر هذه الأقوال في: «تاريخ الإسلام» (269/20).
(8) «مُسنَد الشَّاميِّين» للطَّبراني (87).
(9) «الثِّقات» (583/7).
(10) وقد زادت عن ثلاثين طريقًا، وقد اعتنى بجمع طُرُقِه العلاَّمة المُحدِّث عبد المحسن العبَّاد في كتابه «دراسة حديث نَضَّرَ الله امْرَءًا... روايةً ودرايةً».
(11) انظر هذه الفوائد في الكتاب السَّابق.
(12) «غريب الحديث» للخطَّابي (585/1).
(13) «التَّمهيد» لابن عبد البرِّ (277/21).
(14) «غريب الحديث» للخطَّابي (585/1).
(15) «مَدارج السَّالكين» (87/2).
(16) «مرقاة المفاتيح» (441/1).
(17) «غريب الحديث» للخطَّابي (586/1).
(18) «مجموع الفتاوى» (7/35).

ولا يظهر تَناقُضٌ بين المَعنَيَيْن وكلامُ رسول الله ﷺ شاملٌ لهما، فهذه الخصالُ الثَّلاثُ مُصلحَةٌ للقلوب إذا عقد عليها وشدَّ بها، وهي كذلك خصالٌ يُحبُّها قلبُ المؤمن ويرضاها فلا يُتصَوَّرُ أن يَغُشَّ فيها، فالمعنى الثَّاني نتيجةٌ للأوَّل؛ أي: إذا تمسَّكَ بها المسلمُ أصلَحَتْ قلبَه وبرَّأتْه من الغشِّ فيها وهو محبٌّ لها راضٍ بها، والله أعلم.

❀❀❀

5. جمع هذا الحديثُ بين الخصال الثَّلاث؛ إخلاص العمل لله ومناصحة أولي الأمر ولزوم جماعة المسلمين، وقد ذُكرَتْ هذه الخصالُ الثَّلاث كذلك في قوله ﷺ: «إنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا ولا تَفَرَّقُوا، وأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلاَّهُ اللهُ أَمْرَكُمْ»[19].

«وهذه الثَّلاثُ تجمع أصولَ الدِّين وقواعدَه وتجمع الحقوقَ الَّتي لله ولعباده، وتنتظم مصالحَ الدُّنيا والآخرة، وبيان ذلك أنَّ الحقوق قسمان: حقٌّ لله وحقٌّ لعباده.

- فحقُّ الله أن نَعبُدَه ولا نُشركَ به شيئًا، كما جاء لفظُه في أحد الحديثَيْن؛ وهذا معنى إخلاص العمل لله، كما جاء في الحديث الآخر.

- وحقوق العباد قسمان: خاصٌّ وعامٌّ.

- أمَّا الخاصُّ فمثل برِّ كلِّ إنسان والدَيْه، وحقِّ زَوجَته وجاره؛ فهذه من فروع الدِّين؛ لأنَّ المُكلَّف قد يخلو عن وجوبها عليه؛ ولأنَّ مَصلحَتَها خاصَّةٌ فرديَّةٌ.

- وأمَّا الحقوقُ العامَّةُ فالنَّاسُ نوعان: رُعاةٌ ورَعيَّةٌ؛ فحقوق الرُّعاة مناصحَتُهم، وحقوقُ الرَّعيَّة لزومُ جماعَتهم؛ فإنَّ مَصلحَتَهم لا تَتِمُّ إلاَّ باجتماعهم، وهم لا يجتمعون على ضلالة؛ بل مصلحة دينهم ودنياهم في اجتماعهم واعتصامهم بحبل الله جميعًا؛ فهذه الخصالُ تَجمَعُ أصولَ الدِّين، وقد جاءت مُفسَّرةً في الحديث الَّذي رواه مسلم[20] عن تميم الدَّاري قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الدِّينُ النَّصيحَةُ الدِّينُ النَّصيحَةُ الدِّينُ النَّصيحَةُ»، قالوا: لمن يا رسولَ الله؟ قال: «لِلَّه ولِكتَابِهِ ولِرَسُولِه ولأَئمَّةِ المُسْلمِينَ وعَامَّتِهِمْ». فالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله تدخل في حق الله وعبادته وحده لا شريك له، والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم هي مناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعتهم، فإن لزوم جماعتهم هي نصيحتهم العامة، وأما النصيحة الخاصة لكل واحد منهم بعينه، فهذه يمكن بعضها ويتعذر استيعابها على سبيل التعيين»[21].

❀❀❀

6. تنبيهُ المؤمن لأَنْ يَحرِصَ على اتِّصاف قَلبه بهذه الخصَال، وتحذيرُه من خُلُوِّه منها، ولذا قال ابنُ القيِّم رحمه الله: «فإنَّ القلبَ يَغلُّ على الشِّرك أَعظَم غلٍّ، وكذلك يغلُّ على الغشِّ وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضَّلالة، فهذه الثَّلاثةُ تَملَؤُه غلاًّ ودَغلاً، ودواء هذا الغلِّ واستخراجُ أَخلاطه بتجريد الإخلاص والنُّصح ومتابعة السُّنَّة»[22].

❀❀❀

7. حرصُ النَّبيِّ ﷺ على إصلاح القلوب ممَّا يُكدِّرُها ويُسوِّدُها وتزكيَتها عمَّا يَشُوبُها ويُهلكُها، وتزكيَةُ النُّفوس مَقصدٌ من مقاصد بعثَة النَّبيِّ ﷺ، فقد قال ربُّنا عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: 165].

❀❀❀

8. التَّنبيهُ إلى أهمِّيَّة إخلاص العمل لله تعالى؛ إذ جَعلَه ﷺ من الخصال الثَّلاث الَّتي لا يَغلُّ عليها قلبُ المؤمن، وهذا من ثمار الإخلاص العاجلة في الدُّنيا، فإنَّ من جميل آثاره على صاحبه أن يَعصمَهُ اللهُ من مُضلاَّت الأهواء والأمراض القَلبيَّة الَّتي هي الدَّاءُ العُضَالُ، فهي تنافي سلامةَ القلب الَّتي لا يَنجُو المرءُ يومَ الدِّين إلاَّ بها، قال عز وجل: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء]، ولله درُّ ابن القيِّم رحمه الله لَمَّا قال: «فالمخلص لله؛ إخلاصه يمنع غلَّ قلبه، ويُخرجُه ويُزيلُه جملةً؛ لأنَّه قد انصرفَتْ دواعي قَلبه وإرادتُه إلى مرضاة رَبِّه فلم يَبْقَ فيه موضعٌ للغلِّ والغشِّ كما قال تعالى ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 25] فلمَّا أَخْلَصَ لربِّه صَرَفَ عنه دواعي السُّوء والفحشاء فانصرَفَ عنه السُّوءُ والفحشاءُ، ولهذا لمَّا عَلمَ إبليسُ أنَّه لا سبيلَ له على أهل الإخلاص استثناهم من شَرطَته الَّتي اشترطها للغواية والإهلاك فقال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: 82]، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ

(19) مسلم (1715).

(20) برقم (55).

(21) «مجموع الفتاوى» (18/1).

(22) «مدارج السَّالكين» (90/2).

﴿ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: 43]. فالإخلاص هو سبيلُ الخَلاص، والإسلامُ هو مَركَبُ السَّلامة، والإيمان خاتم الأمان»[23].

9. الإشارة إلى عدم قبول العمل إن لم يَكُنْ خالصًا لله تعالى؛ فإنَّ الإخلاصَ في العمل يقتضي أن «لا يمازِجَ العملَ ما يَشوبُه من شَوائِبِ إرادات النَّفس: إمَّا طلب التَّزيُّن في قلوب الخلق، وإمَّا طلب مَدحِهم والهرب من ذَمِّهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالِهم، أو خدمَتِهم ومَحبَّتِهم وقضائِهم حوائجَه، أو طلب مَحبَّتِهم له، أو غير ذلك من العِلَل والشَّوائِبِ الَّتي عَقْدُ مُتَفَرِّقَاتها: هو إرادة ما سوى الله بعمله كائنًا ما كان»[24].

10. فيه أنَّ الله يحبُّ من عباده الإخلاصَ في عبادته في التَّوحيد وسائر الأعمال كلِّها الَّتي يُعبَدُ بها، وفي الإخلاص طرح الرِّياء كلِّه؛ لأنَّ الرِّياءَ شركٌ أو ضربٌ من الشِّرك، قال أهلُ العلم بالتَّأويل: إنَّ قولَ الله ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [سورة الكهف] نزلَتْ في الرِّياء، ويدخل في الإخلاص أيضًا؛ التَّوكُّل على الله وأنَّه لا يَضُرُّ ولا ينفع ولا يُعطي ولا يَمنَعُ على الحقيقة غيرُه؛ لأنَّه لا مانِعَ لما أعطى ولا مُعطِيَ لما منع، لا شريك له[25].

11. التَّنبيه إلى أهمِّيَّة اتِّصاف المُسلِم بالنُّصح للمسلمين عامَّةً ولأئمَّتِهم خاصَّةً، وأنَّها لا تَصدُر إلَّا من قلب سليم من الغِلِّ والحِقد لوُلاة الأمر، ومُبَرَّأ من الغشِّ والخيانة لهم، قال ابنُ القيِّم: «هذا أيضًا مُناف للغِلِّ والغشِّ؛ فإنَّ النَّصيحةَ لا تُجامِعُ الغِلَّ إذ هي ضدُّه، فمن نَصَحَ الأئمَّةَ والأمَّةَ فقد بَرِئَ من الغِلِّ»[26].

12. ورد في بعض طُرُق الحديث: «والنَّصيحَةُ لِوُلَاة الأَمْر» وفي بعضها: «ومُنَاصَحَةُ أُولِي الأَمْر» وفي بعضها: «وَالنُّصح لِمَنْ وَلَّاهُ الله عَلَيْكُم الأَمْرَ» وفي بعضها: «وَالنَّصيحَةُ لأَئمَّة المُسْلمينَ والدَّعْوَةُ لأئمَّتهم»[27]، قال ابنُ عبد البرِّ: «ففيه إيجابُ النَّصيحة على العامَّة لِوُلَاة الأمر، وهم الأئمَّةُ والخلفاءُ، وكذلك سائر الأمراء»[28]، وهذا يقتضي الصِّدقَ في النَّصيحة والأخذَ بيَد وليِّ الأمر المنصوح بالسِّرِّ والحُسنى وهذا كما أفاده قولُه ﷺ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذي سُلْطَان في أَمْر فَلاَ يُبْدِه عَلاَنيَةً، وَلَكنْ لِيَأْخُذْ بيَده، فَيَخْلُو به، فَإِنْ قَبلَ منْهُ فَذَاكَ وَإِلاَّ كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذي عَلَيْه لَهُ»[29]، ولا شكَّ أنَّ هذا عكسُ ما يَتحمَّسُ له أهلُ الأهواء من التَّشهير بمثالب وُلَاة الأمر ونَشرها في النَّاس، وملء قلوب الرَّعيَّة بسَبِّهم وشَتمهم عَلَنًا أو في الجرائد ووسائل الإعلام، وكذا العمل على إيقاد عواطف النَّاس لفضح زَلَّات وُلَاتهم، ولم يَكُنْ هذا من مَنهَج السَّلَف، قال ابنُ عبد البرِّ رحمه الله: «إنْ لم يكن يَتمَكَّنُ نُصحَ السُّلطان فالصَّبرُ والدُّعاء؛ فإنَّهم كانوا يَنْهَوْنَ عن سبِّ الأُمَرَاء»، ثمَّ أَسنَدَ إلى أَنَس ابن مَالك رضي الله عنه أنَّه قال: «كانَ الأكابرُ من أصحاب رسول الله ﷺ يَنْهَوْنَنَا عن سبِّ الأُمَرَاء»[30].

13. فيه التَّنبيهُ على أنَّ سُوءَ العمل مَصدَرُه فسادُ القلب، ثمَّ يَعرض للقلب من فساد العمل قسوةٌ فيزداد مرضًا على مَرضه حتَّى يموتَ ويَبْقَى لا حياةَ فيه ولا نورَ له، وكلُّ ذلك من انفعَاله بوَسْوَسَة الشَّيطان ورُكونه إلى عَدُوِّه الَّذي لا يُفلحُ إلاَّ مَنْ جَاهَرَه بالعصيان[31]، وذلك أنَّ غِلَّ القلب يَحملُ على غشِّ ولاة الأمور، ثمَّ لا يزالُ يَزيدُ بصاحبه حتَّى يُعلنَ بسَبِّهم وذكر مثالبهم ثمَّ يُملي له شيطانُه تكفيرَهم ـ بلا مُستَنَد شرعيٍّ ـ ثمَّ يُزَيِّنُ له الخروجَ عليهم وإشهارَ السَّيف ضدَّهم، نسأل الله العافيةَ.

14. في الحديث إشارةٌ إلى أهمِّيَّة اتِّخاذ أمير على رأس الرَّعيَّة، وهذا مُستَفادٌ من قول النَّبيِّ ﷺ: «ولُزُومُ جَمَاعَتهمْ»، قال الحافظُ ابنُ عبد البرِّ رحمه الله: «الجماعةُ على إمام يُسمَعُ له ويُطَاعُ، فيكون وَليَّ مَنْ لا وَليَّ له في النِّكاح، وتقديم القضاة للعقد على الأيتام وسائر الأحكام، ويقيم الأعيادَ والجُمُعَات، وتُؤمَنُ به السُّبُل، ويَنتَصفُ به المظلومُ، ويجاهدُ عن الأمَّة عدوَّها، ويقسم بينها فَيْئَها؛ لأنَّ الاختلافَ والفُرقَةَ هلَكَةٌ والجماعة نجاةٌ، قال ابنُ المُبارَك رحمه الله:

---

(23) «مفتاح دار السَّعادة» (1/277).
(24) «مدارج السَّالكين» (2/90).
(25) «التَّمهيد» (21/272).
(26) «مفتاح دار السَّعادة» (1/277).
(27) انظُرْ كتاب «دراسة حديث نَضَّرَ اللهُ امرءًا... روايةً ودرايةً».
(28) «التَّمهيد» (21/284).
(29) «السُّنَّة» لابن أبي عاصم (1097)، من حديث عياض بن غنم رضي الله عنه.
(30) «التَّمهيد» (21/287).
(31) «إغاثة اللَّهفان» (1/38).

إنَّ الجماعةَ حَبلُ الله فاعتَصموا
منه بعُروَته الوثقى لمَنْ دانا
كم يَرفَعُ اللهُ بالسُّلطان مَظلَمةً
في ديننا رحمةً منـه ودنيـانا
لولا الخلافةُ لم تـؤمن لنا سُبُل
وكان أضعَفُنا نهبًا لأقوانا»[32]

وفي بيانِ أهمِّيَّة الإمارة في صلاح دُنيَا النَّاس ودينهم يقول شيخُ الإسلام رحمه الله: «يَجِـبُ أن يُعرَفَ أنَّ وَلايَةَ أمرِ النَّاس من أَعظَم واجبـات الدِّين، بل لا قِيامَ للدِّين إلاَّ بهـا، فإنَّ بني آدم لا تَتِمُّ مَصلَحتُهم إلاَّ بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بدَّ لهم عنـد الاجتماع من رَأس حتَّى قال النَّبيُّ ﷺ: «إذَا خَرَجَ ثَلاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّـرُوا أَحَدَهُـمْ»، فأوجب ﷺ تأميرَ الواحـد في الاجتماع القليـل العارض في السَّـفر تَنبيهًـا بذلـك على سـائر أنواع الاجتمـاع، ولأنَّ الله تعـالى أوجب الأمرَ بالمعروف والنَّهيَ عن المُنكَر ولا تَتمُّ ذلك إلاَّ بقُوَّة وإمارة، وكذلك سـائر ما أوجبه من الجِهاد والعدل وإقامة الحجِّ والجُمَع والأعياد ونَصر المظلوم وإقامة الحدود، لا تتمُّ إلاَّ بالقُوَّة والإمارة، ويقال: «ستُّون سـنةً من إمام جائر أصـلَحُ من ليلة بلا سـلطان» والتَّجربةُ تُبيِّنُ ذلك[33]، ولهذا كان السَّـلفُ كالفُضَيْل بن عِيَاض وأحمد ابن حنبـل وغيرهما يقولون: «لو كان لنا دعوةٌ مُجَابةٌ لدَعَوْنا بها للسُّلطان»[34].

ﮓﮔﮕ

(32) «التَّمهيد» (275/21).
(33) والتَّاريخُ يُعِيدُ نفسَه ـ كما يقال ـ، فقد تمرَّدَ بعضُ الرَّعيَّـة على وليِّهِمْ في بعض البلاد لجَوره وظُلمه فخلَعُـوه وبقـوا بلا سـلطان مهيـب، فحدث من الفسـاد والتَّهارُج فيما بينهم وتَسَلَّطَ أعداءُ الملَّة على تقاسـم خَيرَات بلادهم ما جعلهم عبرةً لمَن يَعتَبِر وحَمَلَهُمْ على إظهارَ أشـدِّ النَّدَم ولات حينَ مَنْدَم، والله المستعان.
(34) «السِّياسة الشَّرعيَّة» (ص138) بتصرُّفٍ يسير.

15. التَّنبيه إلى أهمِّيَّة لزوم المسـلم لجماعـة المسـلمين، وأنَّ مُفارَقَتَهـم من أعظـم أَسـباب فسـاد القلب وشَـحنه بالغلِّ والغشِّ والخيانة، وأنَّ أَبْعَدَ النَّاس عن جماعة المسـلمين أَشدُّهم حَنَقًا على المسلمين وأَغشُّـهم للأمَّة وأكثَرُهم أَذيَّةً لهـم في دينهـم وأَمنهـم واسـتقرارهم كصـنيع الخوارج والرَّافضـة ـ لا كَثَّرَهُمُ الله ـ، وفي بيـان هـذا الأمـر المُهـمِّ قال ابـنُ القيِّم رحمه الله: «هذا أيضًـا ممَّا يُطَهِّرُ القلبَ مِـن الغـلِّ والغشِّ فإنَّ صـاحبَه للُزومـه جماعةَ المسـلمين يُحِـبُّ لهم ما يحِـبُّ لنفسـه ويكـرَهُ لهم ما يَكـرَه لها، ويسـوؤه ما يَسُوؤُهم ويَسُـرُّه ما يَسُرُّهم، وهـذا بخلاف من انحازَ عنهم واشتغل بالطَّعـنِ عليهـم والعيـبِ والـذَّمِّ؛ كفعل الرَّافضـة والخوارج والمعتزلة وغيرهم، فـإنَّ قلوبَهـم مُمتَلئَـةٌ غـلاًّ وغشًّـا، ولهـذا تجـدُ الرَّافضـةَ أَبعَـدَ النَّاس من الإخلاص، وأَغشَّـهم للأئمَّـة والأمَّـة، وأشـدَّهم بعـدًا عـن جماعة المسـلمين، فهؤلاء أشـدُّ النَّاس غلاًّ وغشًّـا بشهادة الرَّسـولِ والأمَّة عليهم، وشهادَتهم على أنفُسـهم بذلك، فإنَّهم لا يكونون قطُّ إلاَّ أعوانًا وظهـرًا على أهلِ الإسـلام، فأيُّ عدوٍّ قـام للمسـلمين كانوا أعـوانَ ذلك العـدوِّ وبطانَتَه، وهذا أمرٌ قد شـاهدَتْه الأمَّةُ منهم، ومَنْ لم يشـاهدْ فقد سَـمِعَ منه ما يُصِمُّ الآذانَ ويشجي القلوب»[35].

ﮓﮔﮕ

(35) «مفتاح دار السَّعادة» (277/1)، وقارنْ كلامَ ابن القيِّم هذا مع ما يحدث مـن الحوثيِّين وداعش في بلاد الإسـلام، تزدد يقينًا ـ إن شـاء الله ـ بأنَّ أهلَ السُّـنَّة حيثما وُجِدُوا هـم أَبرَأُ النَّاس من الأهواء وأَسْعَدُهم بأقوال نبيِّهم ﷺ، وما سواهم فدعاوى مُجـرَّدةٌ عن الدَّليل ستَتَكشَـفُ بَعْدَ حـينٍ لكُلِّ ذي عَيْنَيْنِ، والله المُوَفِّق.

16. التَّحذيـر مـن مفارقـة جماعة المسلمين والشُّذوذ عنهم، وهذا أصـلٌ مُهِـمٌّ وقاعدةٌ عظيمةٌ لم يَقُمْ به إلاَّ أهلُ السُّـنَّة المُتَّبِعُـونَ لنبيِّهم ﷺ، قال شيخُ الإسـلام: «مـن القواعد العظيمـة الَّتي هي مـن جمَـاع الدِّيـن: تَأليفُ القلوب واجتمـاعُ الكلمـة وصـلاحُ ذات البيـن؛ فـإنَّ الله تعـالى يقـول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾ [الأنفال: 2] ويقـول: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [الأنفال: 104] ويقـول: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [آل عمران: 106]، وأمثـال ذلـك مـن النُّصـوص الَّتـي تَأمُـرُ بالجماعـة والائتلاف وتَنهَى عن الفُرقَة والاختلاف، وأهل هذا الأصلِ هم أهلُ الجماعة، كما أنَّ الخارجـين عنـه هـم أهـل الفُرقَـة، وجماع السُّـنَّة: طاعةُ الرَّسول»[36]، ومن دُرَر كلام حكيـم الأمَّـة؛ أبـي الـدَّرداء رضي الله عنه: «لا إسـلَامَ إلاَّ بطاعـة، ولا خيرَ إلاَّ في الجماعـة والنُّصـحِ لله وللخليفـة وللمؤمنين عامَّةً»[37].

ﮓﮔﮕ

17. الإشـارةُ إلى الفائـدة الَّتـي يَكتَسِبُها المُسلِمُ مـن لزومـه جماعةَ المسلمين وهـو دخولُـه في دَعوَتهم، قال ابنُ القيِّم رحمه الله في قول النَّبيِّ ﷺ: «فَإنَّ دَعْوَتَهُـمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِـمْ»: «هذا من أحسـن الكلام وأَوجَـزه وأَفخَمه معنًى، شـبَّه دعوةَ المسَلمين بالسُّـور والسِّـياج المُحيطِ بهـم، المانع من دخـول عدوِّهم عليهـم، فتلـك الدَّعـوةُ الَّتي هـي دعوة

(36) «مجموع الفتاوى» (51/28).
(37) رواه ابنُ عبد البَرِّ في «التَّمهيد» (289/21).

الإسلام ـ وهم داخلوها ـ لمَّا كانت سورًا وسِيَاجًا عليهم أَخبَرَ أنَّ مَنْ لزِمَ جماعةَ المسلمين أحاطَتْ به تلكَ الدَّعوَةُ الَّتي هي دعوةُ الإسلام كما أحاطَتْ بهم، فالدَّعوَةُ تَجمَعُ شَمْلَ الأمَّـةِ وتَلُمُّ شَعْثَها وتحيطُ بها، فمن دخل في جماعتها أحاطت به وشَمَلَتْهُ»[38]، وقال علي القاري رحمه الله: «والمعنى أنَّ دعوةَ المسلمين قد أحاطت بهم فتحرُسُهم عن كيد الشَّيطان وعن الضَّلالة، وفيه تنبيهٌ على أنَّ مَنْ خَرَجَ عن جماعتهم لم يَنَلْ بركتَهم وبركةَ دُعائهم؛ لأنَّه خارجٌ عمَّا أحاطَتْ بهم من ورائهم»[39]، وصدق رحمه الله ففي بعض ألفاظ الحديث «فَإِنَّ رَحْمَةَ اللهِ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»[40]، فهذا يدُلُّ على أنَّ من لم يلتَزِمْ جماعةَ المسلمين وفارَقهم فقد فارقته رحمةُ ربِّه ولم تَنَلْه، والله الهادي.

ꕥꕥꕥ

18. في الحديث إشارةٌ إلى تفضيل الخلطة على العزلة[41]، وقد استحبَّ أَكثرُ التَّابعين الخلطةَ والتَّحبُّبَ إلى المؤمنين والاستعانةَ بهم في الدِّين تعاونًا على البرِّ والتَّقوى، وأنَّ في مخالطة النَّاس مجاهدةً ومقاساةً ولذلك قال النَّبيُّ ﷺ: «الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي لا يُخَالِطُهُمْ ولا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ» وقد مال إلى هذا: سعيد بنُ المُسَيِّب والشَّعبي وابنُ أبي ليلى وهشام بنُ عُروَةَ وابنُ المُبارَك والشَّافعي وأحمد وغيرُهم، واستحبَّ بعضُ التَّابعين العزلةَ وفضَّلَها على الخلطة لما فيها من الاشتغال بعيوب النَّفس وطلبًا للسَّلامة من غيره، وممَّن مال إلى هذا: سفيان الثَّوري وفضيل بنُ عياض وبشر الحافي وغيرُهم[42]، والتَّحقيقُ أنَّه لا يُحكَمُ على واحد منهما مُطلقًا بالتَّفضيل نفيًا وإثباتًا، بل ينبغي أن يُنظَرَ إلى الشَّخص وحاله، وإلى الخليط وحاله، وإلى الباعث على مُخالَطَته، وكلام الشَّافعي رحمه الله يَدُلُّ لذلك، فقال: «يا يونس! الانقباض عن النَّاس مكسبَةٌ للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السُّوء، فكن بين المُنقَبِض والمُنبَسِط» فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالأحوال، وبملاحظة الفوائد والآفات يتبيَّن الأفضل[43].

ꕥꕥꕥ

19. في ورود هذا الحديث قطعةٌ من الحديث المتواتر وهو قولُ النَّبيِّ ﷺ: «نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ» مناسبةٌ جميلةٌ وفائدةٌ جليلةٌ لطالب العلم والدَّاعي إلى الله، وهي أنَّ المؤمنَ ما دام على هذه الخصال الثَّلاث لا يدخُلُ في قلبه خيانةٌ أو حقدٌ يَمنَعُه من تبليغ العلم، فينبغي له الثَّباتُ على هذه الخصال حتَّى لا يَمنَعَه شيءٌ من التَّبليغ، وبهذا ظهر مُناسبَةُ هذه الجملة بما قبْلَها[44]، وقد قال الآجُرِّي في بيان أخلاق العلماء: «ولا يُفشي سرَّ مَنْ عَادَاه، ولا ينتصر منه بغير حقٍّ، ويعفو ويصفَحُ عنه، ذليلٌ للحقِّ، عزيزٌ عن الباطل، كاظمٌ للغيظ عمَّن آذاه، شديدُ البُغض لمن عَصَى مَوْلَاه، يجيب السَّفيهَ بالصَّمت عنه، والعالم بالقبول منه، لا مُدَاهِن، ولا مُشَاحِن، ولا مُختَال، ولا حَسُود، ولا حَقُود، ولا سَفيه، ولا جافٍ، ولا فَظٌّ، ولا غليظٌ، ولا طعَّان، ولا لعَّان، ولا مُغتَاب، ولا سَبَّابٌ، يخالط من الإخوان من عاونه على طاعة رَبِّه ونهاه عمَّا يَكرَهُ مولاه، ويُخَالِقُ بالجميل مَنْ لا يَأْمَنُ شَرَّه إبقاءً على دينه، سليم القلب للعباد من الغلِّ والحسد، يَغلِبُ على قلبه حُسنُ الظَّنِّ بالمؤمنين في كلِّ ما أَمكَنَ فيه العذرُ، لا يُحبُّ زوالَ النِّعم عن أحد من العباد، يُدَارِي جهل مَنْ عامَلَه برِفْقِه»[45].

ولا يزال في هذا الحديث العظيم دررٌ تُلتَقَطُ من جميل معانيه، ونفائسُ تُستَخرَجُ من ثنايا مَبانيه، وأختم بكلام جميل من كلام الإمام الأوزاعي، حبَّذَا لو يُذكِّر النَّاسَ بعضُهم بعضًا به، قال رحمه الله: «كان يُقَال: خَمسٌ كان عليها أصحابُ مُحمَّد والتَّابعون لهم بإحسان؛ لزومُ الجماعة واتِّباعُ السُّنَّة وعمارةُ المساجد وتلاوةُ القرآن والجهادُ في سبيل الله»[46].

وصلَّى اللهُ على نبيِّنَا محمَّد وعلى آله وصحبه، وسبحانك اللَّهُمَّ وبحَمدك أشهد أن لا إلهَ إلاَّ أنت أستغفرُكَ وأتوبُ إليك.

ꕥꕥꕥ

(38) «مفتاح دار السَّعادة» (277/1).
(39) «مرقاة المفاتيح» (442/1).
(40) خرَّجه الخطيبُ في «الكفاية»، وقد بسَطَ الكلامَ عليه العلاَّمةُ عبدُ المحسن العباد في كتابه: «دراسة حديث نَضَّرَ اللهُ امرءًا... روايةً ودرايةً».
(41) «مرقاة المفاتيح» (442/1).
(42) «إحياءُ علوم الدِّين» (222/2).
(43) «إحياءُ عُلومَ الدِّين» (242/2).
(44) «مرعاة المفاتيح» لعُبَيْد الله المباركفوري (755/1).
(45) «أخلاقُ العلماء» للآجُرِّي (ص64).
(46) «التَّمهيد» (282/21).

حفظ التوحيد في معرفة الشِّركِ وأنواعِه


عبد المجيد تالي
ليسانس في علوم الشريعة الإسلامية. الجزائر

قضيتان من القضايا المهمَّة التي ينبغي أن تشغل أبناءَ هذه الأمَّة، كما ينبغي لهم أن يولُوهما اهتماما بالغًا وبالأخصِّ من اشتغل بطلب العلم الشرعيِّ أو تصدَّر للدعوة إلى الله تعالى وتعليم النَّاس، هاتان القضيتان: العلمُ بهما علمٌ بأسباب سعادة البشرية وفلاحها في الدنيا والآخرة، كما أنَّ الجهل بهما وقوعٌ وسعيٌ في أسباب هلاكها وخراب دنياها وعُقباها.

هاتان القضيتان: على طرفي نقيضٍ لا ينبغي أن تجتمعا في صدر مؤمن، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الأنعام]، وقال جلَّ وعلا: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الرعد].

إحداهما: أشرفُ مطلوب في الوجود، والأخرى: مرغوبٌ عنه؛ إنَّهما: توحيد الله والإشراك به.

فتحقيقُ الأوَّل - التوحيد - دافعٌ للثاني - الشِّرك -، كما أنَّ البراءة من الثاني - الشِّرك - حفظٌ للأوَّل - التوحيد -.

فالأوَّل: أسُّ الإسلام وأساسُه، وأمَّا الثاني: «فهلاكُ الأبد، لا هوادَةَ فيه لأحد»[1]، بمعنى: لا رفقَ، ولا لِينَ، ولا رخصةَ، ولا محاباة، ولا حرمَة فيه لأحد.

قال ربُّنا سبحانه وتعالى في ذمِّ الشِّرك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [سورة النساء].

وقال جلَّ وعلا في ذمِّ المُشرك: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الحج].

وقال عزَّ وجلَّ في حقِّ نبيِّه ﷺ وإخوانه عليهم السلام: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة الزمر].

وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة الأنعام].

وقال مُخاطبًا نبيَّه مُحمَّدًا ﷺ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾، وقال: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الإسراء].

وقال في حقِّ ملائكته: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي

(1) «رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله، وتحقيق معنى التوحيد والشرك بالله» (35/2).

﴿إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [سُورَةُ الأَنبِيَاءِ].

قال هذا «مع أنَّ الله ﷻ قد عصم ملائكته وأنبياءَه وخاتمهم عليهم الصَّلاة والسَّلام من الشِّرك وممَّا هو دونه، ولكن نبَّه بما تقدَّم من الآيات المُتعلِّقة بهم على عِظَم أمر الشرك وخطره، مع أنَّ التعليمَ والتَّحذيرَ هو من جملة العصمة، وممَّا يُبيِّن فظاعةَ الشِّرك وشدَّة بغضِ الله ﷻ له: النَّظرُ فيما وردَ في تعظيم شأنِ ضدِّه وهو التَّوحيدُ»[2]، والقرآن الكريم خيرُ شاهدٍ على ذلك لمن تدبَّره واعتبرَه.

يقول ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتكلَّم عن الشِّرك وأنواعه وخطره؛ ما نصه: «فإنَّ العبد إذا نَجَا منه ومن التعطيل وهما: الدَّاءَان اللَّذان هَلَكَتْ بهما الأممُ، فما بعدَهما أيسرُ منهما، وإن هلَك بهما فبِسَبيلِ مَنْ هَلَكَ، ولا آسَى على الهالكين» اهـ[3].

ويقول الشيخ مبارك الميلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تمثيل حالِ الشِّرك ما نصُّه: «فإن حقّ الله على عباده أن يعبدُوه لا يشركُوا به شيئًا، وإنَّ نسبةَ الشرك من التوحيد نسبةُ الليلِ من النَّهارِ والعَمَى من الإبصارِ، يَعرضُ للأمم المُوَحِّدَة كما يعرضُ الظَّلامُ للضِّياء، ويطرأُ عليها كما تطرأُ الأسقامُ على الأجسام؛ غيرَ أنَّ الظَّلام باعثٌ لنوم الأبصار لإفادة الرَّاحة للأشباح، أمَّا الشركُ، فَعِلَّةٌ لنوم البَصائرِ، المُوجِبِ لشَقَاء الأرواح» اهـ[4].

قلتُ: وهذا توصيفٌ من إمام مُصلحٍ ناصحٍ ينبغي لكلِّ موحد تعقُّله بعد تفهُّمه، وخبير دَرَسَ أوضاع هذه الأمَّة وما آلت إليه حالُها الدِّينيَّةُ في حقبة غابتْ فيها معالمُ التوحيد وبرزتْ للوجود فيها مظاهرُ الشرك وبراثنُ الوثنيَّة المقيتة، وكَثُر دعاتُها ومروِّجوها.

فإذا كان توقِّي الأسقام وأسبابها يُعَدُّ من وسائل حفظ الأجسام والحفاظ على كمالها، وفي المثل السائر: «الوقاية خير من العلاج» فإنَّ توقِّي الشِّرك وسدَّ وسائله وأسبابه من أعظم مقاصدِ وأسبابِ تحقيق التوحيد وإحقاقه، ولا يتمُّ لك ذلك إلا بعد العلم بحقيقة هذا الجرم الكبير والظلم الفظيع العظيم ومداخله.

واعلم أنَّ مَكْمَنَ هذه القضية ونكتتَها: أن من «نشأ في المعروف لم يعرفْ غيرَه فقد لا يكونُ عنده من العلم بالمنكر وضررِه ما عند من علمَه، ولا يكونُ عنده من الجهادِ لأهلِه ما عند الخبيرِ بهم»[5].

ويُروى عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «تُنقَضُ عُرَى الإسلام عُرْوَةً عُرْوَةً، إذا نشأ في الإسلام مَنْ لم يَعرِفِ الجاهليَّة»، وعُرَى الإسلام هي: «شرائعُه التي يُتَمسَّك بها، كلُّ شريعة عُروة، قال الله تعالى عند ذكر الإيمان: ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ [البَقَرَة: 256]»[6].

وعليه فإنَّ «معرفة المسلم بدين الجاهليَّة هو: مما يُعَرِّفه بدين الإسلام، الذي بعثَ الله به رسلَه، وأنزلَ به كتبَه، ويعرفُ الفرقَ بين دين المسلمين الحنفاء أهلِ التوحيد والإخلاص، أتباع الأنبياء، ودينِ غيرهم، ومن لم يُميِّز بين هذا وهذا فهو في جاهلية، وضلال، وشرك، وجهل...»[7].

وفي الحديث: قال حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»[8] الحديث، ومن لم يعرف الخير من الشر يقع فيه.

واعلم أيُّها الموحِّد: أنَّ قيمة التوحيد، وفضل التوحيد، وتحقيق التوحيد لا يدرك معانيها إلاَّ من عرَف الشركَ وأمورَ الجاهلية ومداخلَهما وأسبابَهما ووسائلَهما حتَّى يتجنَّبَها، ويحافظَ على توحيده.

وفي القرآن الكريم: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النِّسَاء: 36]، ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [سُورَةُ البَقَرَة]، ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النَّحۡل: 36]، وانتبه لهذا التلازم الذي بعث الله ﷻ به خير خلقه وأصفيائه ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ لأنَّ تحقيق الأول لا يكون إلاَّ باجتناب الثَّاني وهو: عبادة الطاغوت، والطاغوت هو: «كلُّ ما تجاوز به العبدُ حدَّه من معبود أو متبوع أو مُطاع»[9]، أو هو: «اسمٌ لكلِّ ما عبدوه من دون الله فكلُّ مُشرِكٍ إلهُه طاغوتُه»[10].

فتضمَّن كلام الله تعالى النفيَ والإثبات كما تضمَّنته: (لا إله إلاَّ الله)، فلا يتمُّ ذا إلاَّ باجتناب ذاك، وهذا هو حقيقةُ التَّوحيد الَّذي جاءت به رسلُ

(2) «رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله» للمُعلِّمي (37،36/2).

(3) «مدارج السَّالكين» (354/1).

(4) «الشرك ومظاهره» (ص34).

(5) «مجموع الفتاوى» (301/10).

(6) «معجم مقاييس اللغة» (296/4).

(7) «قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص139).

(8) رواه البخاري (3606) ومسلم (1847).

(9) «إعلام المُوقِّعين» (92/2).

(10) «مدارج السَّالكين» (482/3).

الله ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [سُورَةُ الأَنبِيَاءِ].

واعلم أيُّها الموحِّد: أنه لا يتمُّ لك اجتناب الشِّرك بعد معرفتك به إلاَّ بالخوف منه والحذر، ولتكن حالُك كحالِ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فلستَ بأفضل منه في تقديره لأمور دينه، ولا بأَفْضَلَ ممَّنْ هو أَفضَلُ منه؛ وهو خليلُ الرَّحمن وإمامُ الحنفاء وقدوةُ المُوحِّدين إبراهيم عليه السلام إذ قال: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٦﴾ [سُورَةُ إِبرَاهِيمَ].

ولا من سادات الصَّحابة وفضلاء هذه الأمَّة من الَّذين بلغُوا القمَّة في تحقيق الإيمان والتوحيدِ والجهادِ في سبيلهما؛ إذ قال لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم: «إنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ» فسئل عنه فقال: «الرِّيَاءُ» خرَّجه الإمام أحمد في «مسنده» (23630).

وعن أبي علي - رجلٍ من بني كاهلٍ - قال: خطبَنا أبو موسى الأشعريُّ فقال: «يا أيُّها الناسُ! اتَّقوا هذا الشركَ، فإنه أخفى من دبيبِ النملِ».

فقام إليه عبدُ الله بن حَزْنٍ وقيسُ ابن المُضارِب فقالا: والله لَتخْرُجَنَّ مما قلتَ، أو لنأتينَّ عُمَرَ مأذونًا لنا أو غيرَ مأذونٍ، فقال: بل أخرجُ ممَّا قُلتُ، خطبنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ يوم، فقال: «يا أَيُّهَا النَّاسُ! اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّملِ».

فقال له من شاءَ اللهُ أن يقولَ: وكيف نَتَّقيه وهو أخفى من دبيبِ النملِ يا رسول الله؟ قال: «قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعلَمُه، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُه»[11].

وعن مَعقِل بن يسار قال: انطلقتُ مع أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ! لَلشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ»، فقال أبو بكر: وهل الشركُ إلاَّ من جعلَ مع الله إلهًا آخر؟ فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم:

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه، لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَليلُه وكَثيرُه؟»، قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ أَعْلَمُ»[12].

فقوله «أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ»: أي: من أثر دبيبها؛ فإنَّه لا أثر له في الصَّفَا أو من سماعه فإنَّه لا يُسمَع، فكذلك الشِّرك الخفيُّ لا يدركه الغير من قاصده أو لا يدركه فاعله فيتَحذَّر عنه ويحترز عن أسبابه[13].

فاحذر أخي الموحِّد الاستهانة بهذا المطلب أو التفريط فيه فإنه استهانة بأصل عظيم من أصول الدِّين، وتعريض للنفس للفتنة في الدِّين.

إنَّه كما يجب عليك معرفةُ الحقِّ يجبُ عليك كذلك أن تعرف الباطل، وذلك من أجل أن تعمل بالحق وتجتنب الباطل.

واعلم أنَّ العبد ما دامتْ تَسْرِي فيه الحياةُ لا يُؤمَنُ عليه الفتنةُ، «فقد ضلَّ علماء أحبار، وزلَّت أقدامُهم، وخُتِمَ لهم بالسُّوءِ، وهم علماءُ، فالخطر شديدٌ، ولا يأمنُ الإنسان على نفسه أنْ تَزِلَّ قدمُه، وأن يقع في الشِّرك»[14].

اللهم إنَّا نعوذُ بك من أنْ نشركَ بك شيئًا نعلَمه، ونستغفرُك لما لا نعلَمُه.

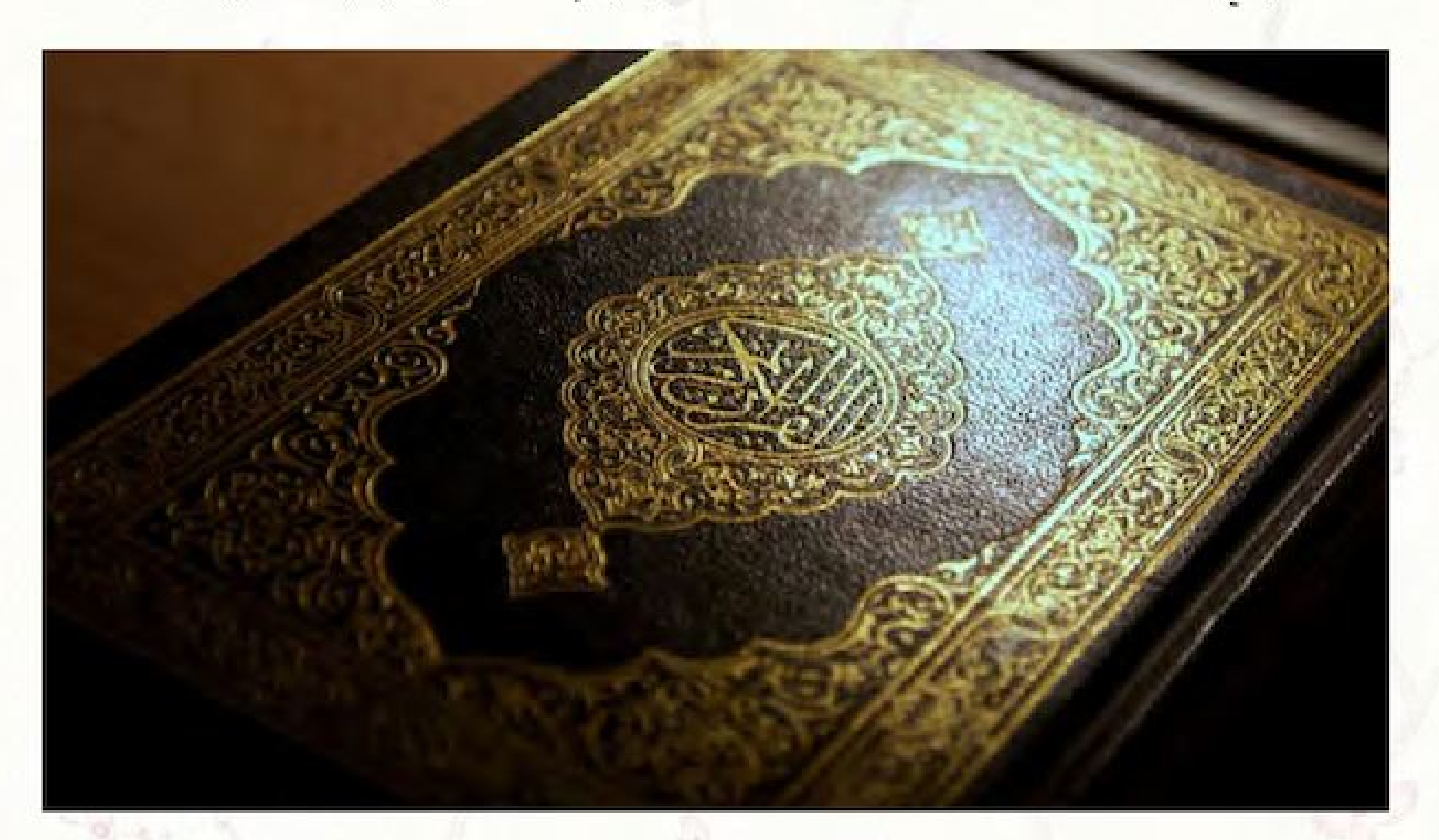
❁❁❁

(11) أحمد (19606)، وحسَّنه الألباني في «صحيح التَّرغيب» (36).

(12) البخاري في «الأدب المفرد» (716)، وصحَّحه الألباني.

(13) «التَّنوير شرح الجامع الصَّغير» للصَّنعاني (536/6).

(14) «إعانة المستفيد» (1/94.95).





الأصلُ في الأَبْضاع الحُرمة

عمر الحاج مسعود

هذه القاعدةُ من القواعدِ الفقهيَّةِ ذاتُ اتِّجاهٍ مقاصدي يهدف إلى حفظِ البُضع والاحتياط للعرضِ وصيانةِ النَّسل، الَّذي هو أَحدُ الضَّروريَّات الخَمْس الَّتي جاءَت الشَّريعةُ الإسلاميَّةُ ـ وجميع الشَّرائع المُنزَّلة ـ بحفظها وإقامَتها، وشرعَ الله ـ عز وجل ـ أحكامًا وحدودًا تضمَنُ إيجادَها وصيانتَها وبقاءَها.

وهذا مبحثٌ لطيفٌ ـ في مطالب ـ يتضمَّنُ دراسةً لهذه القاعدة، وبيانًا لضوابِطها وذكرًا لفُروعها.

المطلبُ الأوَّلُ: معنى قاعدة الأصل في الأبضاع الحرمَة

الأصلُ لغةً: الأساس، وأصلُ الشَّيءِ أساسُه الَّذي يقوم عليه.

الأصل اصطلاحًا: له عدَّةُ معانٍ[1] منها:

○ **القاعدة**:

فيقال: الأصل أنَّ الأمرَ يقتضي الوجوبَ، والأصل أنَّ النَّهيَ يقتضي التَّحريمَ.

○ **المُستَصْحَب**:

مثلُ: الأصلِ في الأشياء الإباحة، والأصل في المياه الطَّهارة.

فالقاعدةُ والأمرُ المستصحبُ في الأبضاع: الحُرمةُ.

○ **الأَبضاع**: بفتح الهمزة جمعُ البُضْع، لغةً: الفَرْج، والمقصودُ هنا وطْءُ النِّساء، وهو الإِبضاع بكسر الهمزة.

○ **الحُرمة لغةً**: التَّحريم والمنع.

فمعنى القاعدة: أنَّ الأصلَ في الفروج ووطءِ النِّساءِ الحُرمةُ والمَنْعُ، مثل الحيوانِ لا يحلُّ إلاَّ بيقين التَّذكيَة، كذلك لا يحلُّ فرْجٌ إلاَّ بيقين عقْد نكاحٍ شرعيٍّ صحيحٍ أو ملك يمين، وما سوى ذلك فهو محظور، وإذا وقع الشَّكُّ فيه والتَّردُّدُ رُجع إلى الأصل، وهو التَّحريمُ.

إنَّ القاعدةَ المُستَمرَّةَ الدَّائمةَ تحريمُ وطْءِ النِّساءِ ومنعُه إلاَّ بسبب أحلَّه الشَّرعُ، والفُروجُ يُحتاط فيها ما لا يُحتاطُ في غيرِها، حفاظًا على الأعراض وصيانةً للأنساب واجتنابًا لاختلاطِ المياه.

المطلب الثَّاني: دليلُ القاعدة

○ **من الكتاب**:

قال تعالى بعد أن ذكَرَ المُحرَّمات من النِّساء: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ [النِّساء: 24]، فأحلَّ الله للرِّجال أن يَطلبُوا ما شاؤوا من اللَّواتي أباحَهُنَّ إلى أربع نسوة وما شاؤوا من الإماء، لكن بالطَّريقة الشَّرعيَّة المعروفة، لذا قال: ﴿مُّحْصِنِينَ﴾ أي: مُتعفِّفين مُتزوِّجين، ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ أي: غير

(1) انظر: «أصول الفقه الإسلامي» (ص22) بدران أبو العينين، «الموسوعة الفقهيَّة الكويتيَّة» (54/5).

زانين، فالآيةُ دلَّت على أنَّه لا يَحِلُّ بُضعُ امرأةٍ إلا بعقد أو تسرٍّ.

وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧﴾ [سورة المؤمنون]. يُؤخذُ من الآية أنَّ كلَّ الأبضاع مُحرَّمةٌ إلَّا بنكاح صحيح أو تسرٍّ شرعيٍّ، ومَن طلَب سوى ذلك فهو من المُجاوزين حدودَ الله المُنتهكين حُرُماته.

○ من السُّنَّة:

قال رسولُ الله ﷺ: «كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ» رواه مسلم (2564)، فهذا الحديثُ يشمَلُ تحريمَ الأعراض والأبضاع كلِّها، إلَّا ما أذنَ فيه الشَّرعُ، فليس للإنسان أن يطأَ فرْجًا حتَّى يتيقَّنَ السَّببَ المبيحَ له.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال في خُطبته بعرفة: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا... فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ» رواه مسلم (1218)، فقوله: «وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ» أي: جعلتموها حلالاً، «بكلمة الله» أي: بكلامه الَّذي تكلَّم به المُتضمِّن تحليلَه للفروج بالعقد الشَّرعيِّ، وهذا يدلُّ على أنَّ الفروجَ قبلَ ذلك على أصل التَّحريم.

وعن عُقبةَ بن الحارث رضي الله عنه قال: «تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً فَجَاءَتْنَا امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ فَقَالَتْ: أَرْضَعْتُكُمَا، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: تَزَوَّجْتُ فُلَانَةَ بِنْتَ فُلَانٍ فَجَاءَتْنَا امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ فَقَالَتْ لِي: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُكُمَا وَهِيَ كَاذِبَةٌ، فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَأَتَيْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، قُلْتُ: إِنَّهَا كَاذِبَةٌ، قَالَ: «كَيْفَ بِهَا وَقَدْ زَعَمَتْ أَنَّهَا قَدْ أَرْضَعَتْكُمَا، دَعْهَا عَنْكَ» رواه البخاري (5104)، وفي رواية له (2659): «فَنَهَاهُ عَنْهَا»، وللدَّارقطني (4373): «لَا خَيْرَ لَكَ فِيهَا»، وللبخاري (88): «فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ وَنَكَحَتْ زَوْجًا غَيْرَهُ».

فظاهرُ هذا الزَّواج عارَضه ظاهرٌ مثلُه أو أقوى منه. وهو شهادةُ المرأة. فبقيَ أصلُ التَّحريم لا مُعارِضَ له، لذا حكم النَّبيُّ ﷺ بردِّه وقضى بفراقها.

قال ابنُ القيِّم رحمه الله في «إعلام المُوقِّعين» (340/1): «فإنَّ أصلَ الأبضاع على التَّحريم، وإنَّما أُبيحَت الزَّوجةُ بظاهر الحال مع كونها أجنبيَّةً، وقد عارض هذا الظَّاهرَ ظاهرٌ مثلُه أو أقوى منه، وهو الشَّهادةُ، فإذا تعارَضَا تساقطَا وبَقِيَ أصلُ التَّحريم لا مُعارِضَ له».

وقد قيل: إنَّ الأمرَ بفراقها لم يكُن لتحريمها عليه بقول المُرضِعَة، بل للاحتياط فقط[2]، لكنَّ الرِّوايةَ الثَّانيةَ تدُلُّ على التَّحريم؛ لأنَّه. عليه الصَّلاة والسَّلام. نهاه عنها، والنَّهيُ يفيد التَّحريمَ ما لم يَصْرِفْه عن ذلك صارفٌ، قال الشَّوكانيُّ رحمه الله في «نيل الأوطار» (377/8): «ولا يخفى أنَّ النَّهيَ حقيقةٌ في التَّحريم كما تقرَّرَ في الأصول، فلا يَخرُجُ عن معناه الحقيقي إلَّا لقرينة صارفة... وأمَّا ما قيل من أمْرِه ﷺ له من باب الاحتياط فلا يخفى مُخالَفتُه لما هو الظَّاهر، ولا سيَّما بعد أن كرَّر السُّؤالَ أربعَ مرَّات كما في بعض الرِّوايات، والنَّبيُّ ﷺ يقول له في جميعها: «كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ؟!»، وفي بعضها: «دَعْهَا عَنْكَ»... وفي بعضها: «لَا خَيْرَ لَكَ فِيهَا»، مع أنَّه لم يَثبُتْ في رواية أنَّه ﷺ أمَره بالطَّلاق، ولو كان ذلك من باب الاحتياط لأَمَره به».

○ من الإجماع:

اتَّفق العلماءُ من سائر المذاهب على اعتبارها والاستدلال بها:

قال الكاساني في «بدائع الصَّنائع» (184/5): «الأَصْلُ فِي الأَبْضَاعِ الحُرْمَةُ وَالحَظْرُ، وَالجَوَازُ بِشَرْطَيِ الشَّهَادَةِ وَالوَلِيِّ، إِظْهَارًا لِشَرَفِهَا لِكَوْنِهَا مَنْشَأَ البَشَرِ الَّذِينَ هُمُ المَقْصُودُونَ فِي العَالَمِ، وَبِهِمْ قِوَامُهَا، وَالأَبْضَاعُ وَسِيلَةٌ إِلَى وُجُودِ الجِنْسِ».

وقال القَرافي في «الذَّخيرة» (314/4): «الأَصْلُ فِي الفُرُوجِ التَّحْرِيمُ حَتَّى يُتَيَقَّنَ الحِلُّ».

وقال الشَّاطبي في «الموافقات» (1/ 400. 401): «فالأصلُ في الأبضاع المنعُ، إلَّا بأسباب مَشْرُوعَة».

وقال البغوي في «شرح السُّنَّة» (171/11): «وأمرُ البُضعِ والذَّبيحة إذا تَردَّدَ بين الحلِّ والتَّحريم تُغلَّبُ جهةُ التَّحريم».

وقال الشِّربيني في «مغني المحتاج» (266/4): «الأَصْلُ فِي الأَبْضَاعِ الحُرْمَةُ حَتَّى يَتَحَقَّقَ السَّبَبُ المُبِيحُ».

وقال الزَّرْكَشي في «البحر المحيط» (11/8): «الأَصْلُ فيها . أي: الأَمْوَال . التَّحْرِيمُ لقَوْلِه ﷺ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ» الحَدِيث... قُلْتُ: قَدْ نَصَّ الشَّافعيُّ في «الرِّسَالَة» على ذلك فقال: «أَصْلُ مَالِ كل امْرِئٍ يَحْرُمُ على غَيْرِه إلَّا بمَا أُحِلَّ به»، وَذَكَرَ قَبْلَهُ أَنَّ النِّكَاحَ كَذَلِكَ وَالنِّسَاءُ مُحَرَّمَاتُ الفُرُوجِ إلَّا بعَقْدٍ أو بمِلْكِ يَمِينٍ، فَجَعَلَ الأَصْلَ في الأَمْوَالِ وَالأَبْضَاعِ التَّحْرِيمَ، ثُمَّ قال آخِرَهُ: «وَهَذَا يَدْخُلُ في عَامَّةِ العِلْمِ»[3].

وقال ابنُ قُدامة في «المُغني» (296/5): «إِنَّ الأَبْضَاعَ لا تُسْتَبَاحُ بِالبَذْلِ

(2) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (152/9).

(3) انظر «الرِّسالة» (ص347. 349).

وَالإِبَاحَة»، وقال (242/10): «إِنَّ الأَبْضَاعَ مِمَّا يُحْتَاطُ فِيهَا».

وذكر ابنُ حَزْم في «المُحلَّى» (415/7) الاتِّفاقَ عَلَى أَنَّ الفُرُوجَ المُحَرَّمَةَ لاَ تَحلُّ إِلاَّ بِالعَقْد المَأْمُور بِه لاَ بِالعَقْد المُحَرَّم.

وقال ابنُ تيميـة في «الفتاوى الكُبرى» (252/6): «الأَبْضَـاعُ حَرَامٌ قَبْلَ العَقْد، وَإِنَّمَـا أُبِيحَـتْ بَعْدَ العَقْـد، وَأُبِيـحَ العَقْدُ عَلَيْهَا للانْتفَاع بِمَقَاصد النِّكَاح وَالنَّفْع بِهَا، فَإِذَا عَقَدَ لِغَيْر شَـيْءٍ مِنْ مَقَاصِـد النِّكَاح كَانَ ذَلِـكَ حَرَامًا عَبَثًا»، وقال في «مجموع الفتاوى» (445/15): «الفُرُوجَ مَحْظُورَةٌ إِلاَّ بِالتَّحْلِيل الشَّرْعِيِّ».

وقـال ابـنُ القيِّـم في «زاد المعـاد» (114/4): «إِنَّ الأبضـاعَ في الأصـلِ على التَّحريم، فيُقتَصَرُ في إباحَتِها على ما ورد به الشَّرعُ، وما عداه فعلى أصلِ التَّحريم».

وقـال السِّـعدي في «منظومة القواعد الفقهيَّة»:

والأصلُ في الأبضاعِ واللُّحوم
والنَّفسِ والأموالِ للمعصـوم
تحريمُها حتى يجيءَ الحـلُّ
فـافهَمْ هـداكَ اللهُ مـا يُمَـلُّ

المطلبُ الثالث: أهمِّيَّة القاعدة

يَظهَرُ من خلال هذه القاعدة تعظيمُ الأبضـاعِ والاحتيـاط لها، حيـث حرَّمتها الشَّريعةُ إلاَّ بزواجٍ مُستَوْفِ الشُّـروطِ أو تَسَرٍّ صحيح، وحَرَّمَتْ فاحشةَ الزِّنا وجميعَ الوسـائلِ المُؤدِّيَة إليها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ٣٢﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ]، وجعلت لها حدًّا غليظًا، وفي هذا ضمـانٌ لبقاءِ النَّسل واستمراره، وصيانةٌ للأنساب من الاختلاط، وحراسةٌ للبيوت من التَّخريـب، ووقايةٌ للأولاد من الضَّياع، وحفظٌ للرَّحم من القطيعة.

ومـن أجـل هـذا احتـاطَ الشَّـرعُ في الخروج من الحُرمة إلى الإباحة في البُضع أكـثرَ من احتياطه في الخروج من الإباحة إلى الحُرمـة، وذكـر ابـنُ عبـد البـرِّ في «التَّمهيد» (228/13) ضـابطًا[4] يتَّصلُ بالاحتياط للأبضاع وهو: «أَنَّ التَّحريمَ يقع بأقلِّ شيءٍ».

ومثالُ ذلـك أنَّ اللهَ ﷻ حـرَّم حليلةَ الابن وامـرأةَ الأب، فإذا عقد الرَّجلُ على امرأةٍ ولم يَدخُلْ بها ثمَّ طَلَّقَها حَرُمَتْ على ابنـه وعلى أبيـه، وكذلك لو كانت لـه أَمَةٌ فلَمَسَها بشهوة أو قبَّلها، حَرُمَتْ على أبيه.

والقاعدةُ دليلٌ على شرَف عَقد النِّكاح ونُبْل مقاصده وجمال حكمه.

قـال السَّرخسـي رَحِمَهُ اللهُ في «المبسـوط» (11/5): «النِّكَاح عَقْـدٌ عَظِيـمٌ خَطَـرُهُ كَبِيـرٌ، وَمَقَاصِـدُهُ شَـرِيفَةٌ، وَلِهَـذَا أَظْهَرَ الشَّـرْعُ خَطَرَهُ بِاشْـتِرَاط الشَّـاهِدَيْنِ فيه مِنْ بَيْنِ سَائِرِ المُعَاوَضَات، فَلإِظْهَار خَطَره تُجْعَلُ مُبَاشَـرَتُهُ مُفَوَّضَـةً إِلَى أُولِي الرَّأْيِ الكَامِل من الرِّجَال؛ لأَنَّ النِّسَـاءَ نَاقِصَاتُ العَقْل وَالدِّين».

وقال القَرَافي في «الفروق» (144/3): «قاعدةُ الشَّـرْعِ أَنَّ الشَّـيءَ إذا عَظُمَ قَدْرُهُ شُدِّدَ فيه وكثُرَتْ شرُوطُه وبولِغَ في أَبْعَاده إلاَّ لسببٍ قويٍّ تعظيمًا لشأنه ورَفْعًا لقَدْره...، فكذلك النِّكاحُ عظيمُ الخَطَر جليلُ المقدار لأنَّهُ سـبَبُ بَقَـاءِ النَّـوْعِ الإنْسَـانيِّ المُكَرَّم المُفَضَّـل علـى جميـع المَخْلُوقَات، وسـببُ العَفَاف الحَاسـم لمَادَّة الفَسَـاد واختلاط الأنسَاب، وسببُ المَوَدَّة والمُوَاصَلَة والسُّكُون وغـير ذلـك من المصـالِح، فلذلك شَـدَّدَ الشَّـرْعُ فيه فاشتَرَطَ الصَّـداقَ والشَّهادةَ والوليَّ وخصوصَ الألفاظ دون البيع».

ولهذا كان الفرضُ عند الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ في النِّـكاح الإعـلانَ والظُّهـورَ، ولا يكتفي بالشَّـاهدَيْن كما عليه الجمهور[5]، وهذا رأيٌ قويٌّ له وَجاهتُه.

ولا يَجُوزُ كذلك لامْرَأَة أَنْ تُزَوِّجَ نَفْسَهَا وَتَتَصَـرَّفَ في بُضْـعهَا ثَيِّبًا كانـت أو بكْرًا رَشِـيدَةً أو سَـفيهةً، وإنَّما يزوِّجُها وليُّها، بخلاف تَصرُّفها في مالها، و«الأبضاعُ أَوْلَى بالاحتياط من الأموال»[6]، لعدَّة وجوه[7]:

1. الأبضـاعُ أشدُّ خطرًا وأعظمُ قدرًا؛ فناسب أن لا تُفوَّضَ إلاَّ لكامل العقل يَنظُرُ في مَصالحها، والأموال خَسِيسَةٌ بالنِّسبة إليها فجازَ تَفويضُها لمالكها؛ إذ الأصلُ أن لا يَتصرَّفَ في المال إلاَّ مالكُه.

2. السَّعيُ في تحصيل الشَّهوات القويَّة الَّتي يُبذَلُ لأجلها عظيمُ المال في الأبضـاع يُغطي على عقل المرأة وجوهَ المصالح، فتُلقي نفسَها لأجل هواها فيما يُرْديها في دنياها وأُخراها، ولا يحصل في المال مثلُ ذلك.

3. المفسـدةُ إذا حصـلت في الأبضاع بسـبب زواج غير الأكْفاء حصَـل الضَّـررُ وتعدَّى للأولياء بالعار والفضيحة، بخلاف المال فلا يكاد يتعدَّى ذلك المرأةَ، وليس فيه من العار والفضيحة مثلُ الأبضاع.

المطلبُ الرابع: قاعدة «اليقين لا يزول بالشَّكِّ»

لقاعدة: «الأصل في الأبضاع الحرمة» علاقةٌ بهذه القاعدة.

«اليقيـن»: هـو استصحـاب الأصـل

(4) القاعـدة الفقهيَّة تجمـع فروعًا من أبواب شـتَّى، والضَّابط الفقهي يجمعها من بابٍ واحد.

(5) انظر «الاستذكار» (414/5)، و«مجموع الفتاوى» (102/32 ـ 103).

(6) اتَّفق العلماءُ على هذه القاعدة كما ذكر النَّووي في «شرح مسلم» (6/12).

(7) انظر «الفروق» للقرافي (136/3).

المُتيَقَّن، و«الشَّكُّ»: هو الشَّكُّ الطَّارئ بعد حصول اليقين.

فما كان ثابتًا مُتيَقَّنًا لا يَرتفعُ بمجرَّد طروءِ الشَّكِّ عليه؛ والأمر المُتيَقَّن لا يُزيلُه ما هو أضعفُ منه، بل ما كان أقوى منه أو مُساويًا له، والشَّكُّ لا يَقوَى على إزالة الأصلِ الثَّابت المعلوم، والسَّببُ في ذلك كما يقول ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح العمدة» (83/1): «إنَّ الشَّيءَ إذا كان في حالٍ، فانتقالُه عنها يَفتَقِرُ إلى زوالِها وحدوثِ الأخرى، وبقاءُ الأولى لا يفتقر إلاَّ إلى مجرَّد الإبقاء، فيكون البقاءُ أسهلَ من الحُدوث».

واليقينُ أقوى من الشَّكِّ فكيفَ يُمكنُ أن يُزيلَه أو يُزاحمَه؟

فالإنسان متى تحقَّق شيئًا ثمَّ شكَّ هل زال أو لا؟ فالأصلُ بقاؤه، كمن شكَّ في الحدث بعد تيقُّنه الطَّهارةَ أو عكسه بنى على المُستيقَن، وكذلك إذا شكَّ في امرأةٍ هل تزوَّجها أو لا؟ لم يكُنْ له وَطؤُها استصحابًا لأصلِ التَّحريم، وكذلك لو شكَّ هل طلَّق امرأتَه أو لا؛ لم تَطلُق، وله أن يَطأَها استصحابًا للنِّكاح، وكذلك من شكَّ في كفر المسلم فالأصل بقاؤه على الإسلام، ومن شكَّ في إسلام الكافر فالأصل بقاؤه على الكفر.

واليقين والأصلُ في الأبضاع الحُرمة، فإذا وقع الشَّكُّ في الزَّواج بامرأة، والتَّردُّدُ في تحقُّقِ شروطِه، لم تحِلَّ حتَّى يتيقَّنَ من السَّببِ المُبيح، ولا يزول يقينُ الحُرمة بالشَّكِّ في الحلِّ.

قال ابنُ رجب في «جامع العلوم والحكَم» (206/1): «وما أصلُه الحظرُ كالأبضاع ولحوم الحيوان؛ فلا يحلُّ إلاَّ بيقين حلِّه من التَّذكيَة والعقد، فإن تردَّدَ في شيءٍ من ذلك لظهور سبب آخر رَجَعَ إلى الأصل فبنى عليه، فيبني فيما أصلُه الحُرمة على التَّحريم، ولهذا نهى النَّبيُّ ﷺ عن أكل الصَّيدِ الَّذي يجدُ فيه الصَّائدُ أثرَ سهمِ غير سهمه أو كلب غير كلبه أو يَجِدُه قد وقع في ماء، وعلَّل بأنَّه لا يُدرَى: هل مات من السَّببِ المُبيح له أو من غيره».

المطلبُ الخامس:
قاعدة «إذا اجتمع الحلال والحرام غُلِّب الحرام»[8]

لقاعدة: «الأصل في الأبضاع الحرمة» علاقةٌ بهذه القاعدة.

ومعناها أنَّه إذا تعارض دليلان أحدُهما يقتضي التَّحريمَ والآخرُ يقتضي الإباحةَ، ولم يُمكنِ الجمعُ بينهما، قدِّم الدَّليلُ الَّذي يقتضي التَّحريمَ احتياطًا للدِّين وصيانةً للعرض.

وأصلُ هذه القاعدة قولُه ﷺ: «إنَّ الحَلاَلَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ...» رواه البخاري (52)، ومسلم (1599).

وروى الإمام مالك (1122) بإسناد صحيح أنَّ رجلاً سأل عثمان بنَ عفَّان عن الأُختَين من ملك اليمين: هل يُجمَع بينهما؟ فقال عثمان: «أحلَّتهما آيةٌ وحرَّمتهما آيةٌ، أمَّا أنا فلا أحبُّ أن أصنَعَ ذلك»، فخرج من عنده فلقيَ رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ فسأله عن ذلك فقال: «لو كان لي من الأمر شيءٌ، ثمَّ وجدتُ أحدًا فعل ذلك لجعلته نَكالاً»، فقال ابنُ شهاب ـ أي الزُّهري ـ: «أُراه عليَّ بنَ أبي طالب»، وفي رواية للبيهقي (163/7 ـ 164) قال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أحلَّتهما آيةٌ وحرَّمتهما آيةٌ، والتَّحريمُ أحبُّ إلينا».

وإنَّما كان التَّحريمُ أحبَّ إليه ومُقدَّمًا؛ لأنَّه واجبُ التَّرك، والحلالُ جائزُ التَّرك، فإذا ترك المباحَ حصل له اجتنابُ الحرام بخلاف العكس، وهذا كلُّه من باب الاحتياط للبضع.

والمقصودُ بالآية المحلِّلة قولُه تعالى: ﴿فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ [النِّساء: 3]، وقولُه: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ [المؤمنون: 6]، والآيةُ المُحرِّمةُ قولُه: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾ [النِّساء: 23]، فـ «ما» في قوله: ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ بمعنى «مَنْ» وهيَ منْ صيغ العُمُوم، فالآيةُ الأولى دلَّت بعمومها على حلِّ كلِّ أَمَةٍ مملوكةٍ سواء كانت مُجتَمعةً مع أختها في الوطء أم لا، وبهَذَا قَالَ داودُ الظَّاهريُّ وَمَنْ تبعَه، لَكن قوله تَعَالَى: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾ يَدُلُّ كذلك بعُمُومه عَلَى تحريم الجَمْع بين الأُخْتَيْن بِمِلْك اليَمين؛ لأنَّ الألفَ واللاَّمَ في الأُخْتَيْن صيغَةُ عُمُوم، تَشْمَلُ كُلَّ أُخْتَيْن، سَوَاء كانَتَا بعَقْدٍ أَوْ بِمِلْكِ يمين.

قال الشَّنقيطي في «أضواء البيان» (309/5ـ310): «إنَّ الآيَتَين المَذْكُورَتَيْنِ بَيْنَهُمَا عُمُومٌ وَخُصُوصٌ مِنْ وَجْه، يَظْهَرُ للنَّاظر تَعَارُضُهُمَا في الصُّورَة الَّتي يَجْتَمعَان فيهَا كَمَا قَالَ عُثمانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَحَلَّتْهُمَا آيَةٌ وَحَرَّمَتْهُمَا أُخْرَى»، وإيضَاحُهُ أنَّ آيَةَ ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾ تَنْفَرِدُ عَنْ آيَة ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ في الأُخْتَيْن المَجْمُوع بَيْنَهُمَا بعَقْد نكَاح، وَتَنْفَرِدُ آيَةُ ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ في الأَمَة الوَاحدَة أَو الأَمَتَيْن اللَّتَيْن لَيْسَتَا

(8) انظر: «الأشباه والنَّظائر» للسُّيوطي (ص95)، «الأشباه والنَّظائر» (ص121) لابن نجيم.

بأُخْتَيْن، وَيَجْتَمعَان فِي الجَمْع بَيْنَ الأُخْتَيْن، فَعُمُومُ ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾ يَقْتَضِي تَحْرِيمَهُ، وَعُمُومُ ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ يَقْتَضِي إِبَاحَتَهُ، وَإِذَا تَعَارَضَ الأَعَمَّان مِنْ وَجْه فِي الصُّورَة الَّتِي يَجْتَمِعَان فِيهَا وَجَبَ التَّرْجِيحُ بَيْنَهُمَا، وَالرَّاجِحُ مِنْهُمَا يُقَدَّمُ وَيُخَصَّصُ بِهِ عُمُومُ الآخَر».

وعُمُوم ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾ مُرجَّحٌ عَلَى عُمُوم ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ مِنْ خَمْسَة أَوْجُه[9]، منها:

- أَنَّا لَوْ سَلَّمْنَا المُعَارَضَةَ بَيْنَ الآيَتَيْن، فَالأَصْلُ فِي الفُرُوج التَّحْرِيمُ، حَتَّى يَدُلَّ دَلِيلٌ لا مُعَارِضَ لَهُ عَلَى الإِبَاحَة.

- أَنَّ العُمُومَ المُقْتَضِيَ لِلتَّحْرِيم أَوْلَى مِنَ المُقْتَضِي لِلإِبَاحَة؛ لأَنَّ تَرْكَ مُبَاحٍ أَهْوَنُ مِن ارْتِكَابِ حَرَام.

وعلى هذا إذا اجتمع في امرأة سببٌ يقتضي الحلَّ وآخرُ يقتضي الحُرمةَ ولم يُمكن التَّرجيحُ؛ غُلِّب جانبُ الحرمة احتياطًا للأبضاع، إذ الأصل فيها التَّحريم.

قال إمامُ الحرمَين في «الغياثي» (ص501): «إذا تقابل في امرأة سببا تحريم وتحليل من غير ترجيح أحد الوجهَين على الثاني، فالحُرمة مُغلَّبةٌ في البُضع على وجه الشَّرع».

وأخرج البخاري (2053)، ومسلم (1457) أن سعدَ بنَ أبي وقَّاص وعبدَ ابن زَمْعة تنازعا في ابن وليدة زَمعة، فقال سعد: يا رسولَ الله! ابنُ أخي كان قد عهد إليَّ فيه، فقال عبدُ بنُ زَمعة: أخي وابنُ وَليدة أبي، وُلد على فراشه، فقال النَّبيُّ ﷺ: «هُوَ لَكَ يَا عَبْد بنَ زَمْعَةَ»، ثُمَّ قال النَّبيُّ ﷺ: «الوَلَدُ لِلْفِرَاشِ، ولِلعَاهِرِ الحَجَرُ»، ثمَّ قال لسَوْدةَ بنت زمعة زوج النَّبيِّ ﷺ: «احْتَجِبي مِنْهُ يا سَوْدَةُ»، لِمَا رأى من شَبَهه بعتبة، فما رآها حتَّى لقيَ اللهَ».

فالنَّبيُّ ﷺ ألْحقَ الولد بعَبد بن زَمْعَة ومع ذلك أمَرَ سودة رضي الله عنها أن تَحتَجبَ منه لاحتمال أن يكون من عتبة لشبهه به، وذلك من باب الاحتياط وتوقِّي الشُّبهات في قول جمهور العلماء[10]، وقد يكون «مراعاةً للشَّبهين وإعمالاً للدَّليلَين؛ فإنَّ الفراشَ دليل لُحوق النَّسب، والشَّبَه بغير صاحبه دليل نفيه، فأعمل أمرَ الفراش بالنِّسبة للمدَّعي لقوَّته، وأعمل الشَّبَه بعتبةَ بالنِّسبة إلى ثبوت المَحرَميَّة بينه وبين سودة»[11].

وقال ابنُ عبد البرِّ رحمه الله في «التَّمهيد» (186/8): «وقالت طائفةٌ: كان منه ذلك لقطع الذَّريعة بعد حُكمه بالظَّاهر، فكأنَّه حكم بحُكمَين، حكم ظاهر وهو الولدُ للفراش، وحكم باطن وهو الاحتجابُ من أجل الشُّبهة، فكأنَّه قال: ليس بأخ لك يا سَوْدَة إلاَّ في حكم الله بالولد للفراش... قال ذلك بعضُ أصحابِ مالك».

❁ تنبيهان:

الأوَّل: قال الزَّركشي في «المنثور» (132/1): «قول الأصوليِّين: إذا اختلط الحلالُ بالحرام وجب اجتنابُ الحلال، موضعُه في الحلال المباح، أمَّا إذا اختلط الواجب بالمحرَّم رُوعي مصلحةُ الواجب».

وهذا إذا كانت مصلحةُ الواجب راجحةً، والمصلحةُ الرَّاجحةُ تُقدَّم على المفسدة المرجوحة[12].

قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [النحل]، فأجاز ـ فعلَ مفسدة التَّلفُّظ بكلمة الكفر حالةَ الإكراه تحقيقًا لمصلحة حفظ النُّفوس الرَّاجحة، قال عزُّ الدِّين بنُ عبد السَّلام في «قواعد الأحكام» (98/1): «التَّلفُّظ بكلمة الكفر مفسدةٌ مُحرَّمةٌ، لكنَّه جائزٌ بالحكاية والإكراه، إذا كان قلبُ المُكرَه مُطمئنًّا بالإيمَان؛ لأنَّ حفظَ المُهَج والأرْوَاح أكملُ مصلحةً من مفسدَة التَّلفُّظ بكلمة لا يَعتقدُها الجنَان».

وعن أُسَامَةَ بْن زَيْد رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ... «مَرَّ بِمَجْلس فيه عَبْدُ الله بنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ ـ وَذَلكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلمَ عَبْدُ الله ابْنُ أُبَيٍّ ـ فَإِذَا فِي المَجْلس أَخْلاطٌ منَ المُسْلمينَ والمُشْركينَ عَبَدَة الأَوْثَان واليَهُود وَالمُسْلمينَ، وفِي المَجْلس عَبْدُ الله ابْنُ رَوَاحَةَ... فَسَلَّمَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَيْهِمْ» رواه البخاري (4566) ومسلم (1798).

ولا شكَّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قصد بالتَّسليم المُسلمين فقط[13]، فلم يُفوِّتْ هذه المصلحةَ الرَّاجحةَ باختلاطهم بالمشركين واليهود.

ومثل ذلك اختلاطُ موتى المسلمين بموتى الكفَّار، يجب غسل الجميع والصَّلاةُ عليهم ـ عند عدم إمكانيَّة التَّوفيق ـ ويكفي التَّمييزُ بالنِّيَّة.

قال ابنُ تيمية في «المجموع» (269/24): «فَإِنَّ مَا كَانَ وَاجِبًا قَدْ يُبَاحُ فيه مَا يُبَاحُ فِي غَيْر الوَاجب؛ لكَوْن مَصْلَحَة أَدَاء الوَاجب تَغْمُرُ مَفْسَدَةَ المُحَرَّم، وَالشَّارعُ يَعْتَبرُ المَفَاسدَ والمَصَالحَ، فَإِذَا اجْتَمَعَا قَدَّمَ المَصْلَحَةَ الرَّاجحَةَ عَلَى المَفْسَدَة المَرْجُوحَة».

○○○

(9) انظرها في «أضواء البيان» (310/5ـ311).

(10) انظر: «شرح مسلم» للنَّووي (39/10)، «شرح السُّنَّة» للبغوي (282/9)، «فتح الباري» لابن حجر (293/4) و(37/12).

(11) قاله ابنُ القيِّم في «زاد المعاد» (414/5).

(12) انظر «مجموع الفتاوى» (212/28)، «زاد المعاد» (350/3).

(13) انظر «شرح مسلم» للنَّووي (145/14).

الثاني: قول «ما اجتمع الحلالُ والحرامُ إلاَّ غَلَب الحرامُ الحلالَ» حديث لا أصلَ له[14].

المطلبُ السادس: فروع لقاعدة «الأصل في الأبضاع الحرمة»

❶ إذا تقابل في المرأة حلٌّ وحُرمة غُلِّبت الحُرمة.

❷ إذا اشتبهت أُختُه من الرَّضاع بأجنبيَّة فإنَّهما تَحْرُمان عليه احتياطًا ودرءً لمفسدة نكاح الأخت[15].

❸ لو اختلطت محرَّمةٌ بنسوة قرية كبيرة جاز له الإقدام بخلاف إذا كنَّ محصورات بعدد.

وإنَّما جاز له النِّكاحُ في صورة غير المحصورات من باب الرُّخصة؛ لئلاَّ يَنْسَدَّ باب النِّكاح ولا تتعلَّق مصلحتُه.

ورأى النَّووي رحمه الله أنَّه لا يجوز الإقدامُ في هذه الصُّورة ـ مطلقًا ـ لأنَّ الأبضاعَ يُحتَاطُ لها[16].

وهذا يدخل تحت قاعدة اشتباه المباح بالمحظور، قال ابنُ القيِّم في «بدائع الفوائد» (258/3): «إنْ كان له بَدَلٌ لا اشتباهَ فيه انْتَقَلَ إليه وتَرَكَه، وإن لم يَكُنْ له بدلٌ ودَعَت الضَّرورةُ إليه اجتَهَدَ في المُباح واتَّقى اللهَ ما استطاع... ولو اشتبهت أختُه بأجنبيَّة انتقل إلى نساء لم يُشْتَبَهْ فيهنَّ، فإنْ كان بلدًا كبيرًا تحرَّى ونَكَح».

(14) انظر: «سلسلة الأحاديث الضَّعيفة» للألباني (387).

(15) «قواعد الأحكام» لابن عبد السَّلام (22/2).

(16) انظر: «المنثور» للزَّركشي (177/1)، «الأشباه والنَّظائر» للسُّيُوطي (ص44)، «المجموع» (258/1).

وللشَّوكاني تفصيلٌ حسنٌ، يقول في «تنبيه الأعلام ـ ضمن فتاواه» (2084/4): «إذا كانت الرَّضيعةُ المذكورةُ في البلدة بيقين، وكذلك المَحرَم، فإن كان مَنْ فيها من النِّساء مُنْحَصِرات بحيث يضطرب الظَّنُّ ويختلجُ الشَّكُّ في كون المرأة الَّتي أراد نكاحها قد تكون هي المَحرَم أو الرَّضيعةُ، فالتَّجنُّبُ لنكاح نسوة ذلك المحلِّ ليس من اتِّقاء الشُّبهة، بل من اتِّقاء الحرام غير المجوَّز، فلا يجوز الإقدام، وإن كان مَن في ذلك المحلِّ من النِّساء غير مُنْحَصِرات بحيث لا يحصل للنَّاكح ظنٌّ أنَّ المنكوحةَ هي المحرَمُ أو الرَّضيعةُ، فالاجتنابُ للنِّكاح من ذلك المَحلِّ هو الوَرَعُ، وهو نفسُ اتِّقاء الشُّبهة؛ لأنَّ الحلالَ البَيِّنَ هو نكاح مَنْ عدا الرَّضيعة أو المحرَم من نساء البلد، والحرامُ البيِّن هو الرَّضيعة أو المحرَم، فمجموع مَن في البلد من الرَّضيعة وغيرها والمحرَم وغيرها واسطةٌ بين الحلال والحرامَ، وما كان واسطةً فهو المشْتَبَهُ الَّذي يقف المؤمنون عنده».

وبعض هذه الأمثلة يدخل تحت قاعدة: «ما لا يتمُّ الواجب إلاَّ به فهو واجبٌ».

❹ الشَّكُّ في وجود الرَّضاع أو في عَدَده لا يُوجبُ تحريمًا، والأصلُ عدمُه والأقلُّ هو المستيقَنُ وما زاد فمشكوك فيه، واليقين لا يزول بالشَّكِّ، هذا قولُ جمهور العلماء[17].

قال ابن قدامة رحمه الله في «المغني» (172/8): «وإذا وقع الشَّكُّ في وجود الرَّضَاع أو في عدد الرَّضاع المُحرِّم هل كملا أو لا؟ لم يثبت التَّحريم؛ لأنَّ الأصلَ عدمُه، فلا نَزُول عن اليقين بالشَّكِّ، كما لو شكَّ في وجُود الطَّلاق وعَدَده».

لكن لا يخفى أنَّ الوَرَعَ مُستَحبٌّ خاصَّةً إذا قوي الشَّكُّ، فإنَّ المسألةَ تكون ـ حينئذ ـ من الشُّبهات الَّتي يكون اجتنابُها أولى، لحديث: «فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِه وَعِرْضِه»، ولا يحكم بالتَّحريم.

قال ابنُ تيمية في «المجموع» (52/34): «وَأَمَّا إِذَا شَكَّ فِي صِدْقِهَا ـ أي المرضعة ـ أَوْ فِي عَدَدِ الرَّضَعَاتِ فَإِنَّهَا تَكُونُ مِنَ الشُّبُهَاتِ، فَاجْتِنَابُهَا أَوْلَى وَلا يُحْكَمُ بِالتَّفْرِيقِ بَيْنَهُمَا إلاَّ بِحُجَّةٍ تُوجِبُ ذَلِكَ».

فالشَّكُّ لا يُوجِبُ شيئًا، والأصل واليقين جوازُ النِّكاح واستدامتُه.

والاحتياطُ للأبضاع مُتأكِّدٌ، ويزداد الأمرُ تأكيدًا إذا كان مُختَصًّا بالمحارم[18].

❺ زواج المتعة: وهو أن يتزوَّجَ المرأةَ إلى مدَّة معلومة أو مجهولة، ومثالُه أن يَقدَم شخصٌ بلدةً فيَتزوَّجَ لشهر أو سنة مدَّةَ إقامَته خوفًا من الوقوع في الزِّنا، وسُمِّيَ مُتعةً لأنَّ المقصودَ منه الاستمتاعُ فقط.

هذا الزَّواجُ باطلٌ باتِّفاق العلماء، قال القرطبي رحمه الله في «المُفهِم» (93/4): «وعلى الجملة فالرِّواياتُ كلُّها مُتَّفقةٌ على وقوع إباحة المُتعة، وأنَّ ذلك لم يَطُلْ وأنَّه نُسِخ، وحُرِّمَ تحريمًا مُؤبَّدًا، وأَجْمَعَ السَّلَفُ والخَلَفُ على تحريمها، إلاَّ ما رُوِيَ عن ابن عبَّاس، ورُوِيَ عنه أنَّه رَجَعَ عنه، وإلاَّ الرَّافضةَ، ولا يُلْتَفَتُ لخلافهم؛ إذ ليسوا على طريقة المسلمين».

عن سَبْرَةَ الجُهَنِي رضي الله عنه أنَّه كان مع رَسُول الله ﷺ فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَذِنْتُ لَكُمْ فِي الاسْتِمْتَاعِ مِنَ النِّسَاءِ، وَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» رواه مسلم (1406).

والأصلُ في الأبضاع الحُرمة فلا يَحلُّ

(17) «روضة الطَّالبين» للنَّووي (9/9)، «المغني» لابن قدامة (172/8)، «كشَّاف القناع» للبهوتي (445/5).

(18) «روضة الطَّالبين» للنَّووي (9/9)، «الفروق» للقرافي (281/4)، «إيضاح المسالك» للونشريسي (ص193)، «كشَّاف القناع» للبهوتي (456/5).

شيءٌ منها إلَّا بزواجٍ مُستوفٍ الشُّروطَ أو تَسَرٍّ صحيحٍ، ونكاحُ المتعة ليس منهما.

ثمَّ إنَّ الزَّواجَ الإسلاميَّ شُرِعَ لمقاصدَ نبيلةٍ وغاياتٍ جليلةٍ، منها: العفَّةُ عن الحرام والسَّكنُ النَّفسيُّ والتَّناسُلُ النَّافعُ وتَكوينُ أسرةٍ صالحةٍ وبناءُ مُجتمعٍ مُتماسكٍ، كما أنَّ الأصلَ فيه الدَّوامُ إلَّا لطلاقٍ أو وفاةٍ، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سُورَةُ الرُّومِ]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النحل: 72]، ونكاح المتعة ليس فيه شيءٌ من ذلك، بل هو قضاءُ وَطَرٍ وبَذْلُ فَرْجٍ مُقابلَ أجرٍ خبيثٍ، ولا يُشتَرطُ فيه شهودٌ ولا وليٌّ، وليس فيه طلاقٌ، وإنَّما يَنْفسِخُ بانتهاءِ المُدَّةِ، وهذا هو حقيقةُ الزِّنا.

❻ نكاحُ التَّحليلِ: وهو أن يَتزوَّجَ الرَّجلُ امرأةً مُطلَّقةً ثلاثَ تطليقاتٍ ثمَّ يُطلِّقَها لتَحِلَّ للزَّوجِ الأوَّلِ.

والزَّوجُ إذا طَلَّقَ امرأتَه ثلاثَ تطليقاتٍ فلا تَحِلُّ له حتَّى تَنكِحَ زوجًا غيرَه نكاحًا صحيحًا مُستوفيًا جميعَ الشُّروطِ، ليس بنكاحِ مُتعةٍ مُؤقَّتٍ، وليس بنيَّةِ التَّحليلِ، قال الله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة: 230]، ثمَّ إنَّ الثَّاني إذا طلَّقها جاز للأوَّل أن يتزوَّجها، لقوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 230]، وأمَّا إذا قَصَدَ بزواجِه أو طلاقِه تحليلَها للأوَّل فإنَّها لا تَحِلُّ، ويكون العَقدُ باطلًا في قولِ أكثرِ أهلِ العلم[19].

وثبت في الأحاديث لعنُ من فعل ذلك، فقد روى أحمد (4284) والنَّسائي (3416) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ... وَالمُحَلِّلَ وَالمُحَلَّلَ لَهُ».

المُحلِّل هو المتزوِّجُ المُطلَّقةَ ثلاثًا ليُحلَّها للأوَّل، والمُحلَّل له هو زوجها الأوَّلُ الَّذي يُريدُ مُراجعتَها.

ويُؤخَذُ من ترتُّبِ اللَّعنِ على التَّحليلِ أنَّه من كبائرِ الذُّنوبِ، وهذا دليلٌ على أنَّ النِّكاحَ باطلٌ، والبُضعُ باقٍ على أصلِ التَّحريم.

وروى الحاكم (199/2) وصحَّحه ووافقه الذَّهبي والألباني في «الإرواء» (311/6) عن نافع رحمه الله قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما فَسَأَلَهُ عَنْ رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا، فَتَزَوَّجَهَا أَخٌ لَهُ مِنْ غَيْرِ مُؤَامَرَةٍ مِنْهُ لِيُحِلَّهَا لِأَخِيهِ، هَلْ تَحِلُّ لِلأَوَّلِ؟ قَالَ: «لا، إِلَّا نِكَاحُ رَغْبَةٍ، كُنَّا نَعُدُّ هَذَا سِفَاحًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ».

ونكاح التَّحليل أنواع:

- أن يُشترَطَ ذلك في العقد، فهذا باطلٌ عند عامَّة أهل العلم.

- أن يُشترَطَ قبل العقد ويَنويَه في العقد، فهذا باطلٌ أيضًا في قول الجمهور.

- ومثل الثَّاني إذا نواه من غير اشتراطٍ مُطلقًا، وهذا يراه بعضُ أهل العلم أنَّه مكروهٌ فقط، والنِّكاح صحيحٌ.

والصَّحيحُ الأوَّل؛ لأنَّ الحديثَ عامٌّ عمومًا لفظيًّا ومعنويًّا، يشمَلُ كلَّ أنواعِ التَّحليلِ ويُبطِلُها، وربَّما كانت صورةُ النِّيَّةِ أكثرَ وقاعًا من صورة الاشتراط[20]، والأعمال بالنِّيَّاتِ، والقصودُ مُعتَبَرةٌ في العقود.

إنَّ التَّحليلَ مثلُ المُتعَةِ بل أخْبَث، وهو عارٍ من مقاصد الزَّواج الشَّرعي، وليس فيه دوامٌ ولا استقرارٌ، بل لا طائلَ تحتَه إلَّا تحليلُها للأوَّل وقضاءُ الشَّهوة كما يفعل التَّيسُ المُستَعارُ، روى عبدُ الرَّزَّاق (266/6) بإسناد حسن عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّه قال: «كِلاهُمَا زَانٍ، وَإِنْ مَكَثَا كَذَا وَكَذَا، ـ وَذَكَرَ عِشْرِينَ سَنَةً أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ـ إِذَا كَانَ اللهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُحِلَّهَا لَهُ».

❼ الزَّواج الصُّوري: وهو أن يَعقِدَ على امرأةٍ عقدًا صُوريًّا من أجل الحصول على الوَثائقِ أو غرضٍ آخرَ ثمَّ يُطلِّقُها، وقد لا يَدخُلُ بها ولا يمَسُّها، هذا شبيهٌ بالزَّواج المُؤقَّت، فهو باطلٌ، كما أنَّ فيه تلاعبًا وخداعًا[21].

والأصلُ في الأبضاعِ الحرمة، فلا تحلُّ بمثلِ هذه الحِيَلِ والمخادعاتِ والهزْءِ والتَّلاعب.

❽ يرى جمهورُ أهل العلم حُرمةَ المناكحةِ بين الإنس والجنِّ ـ على فرض إمكانيَّة وقوعه ـ لأدلَّة منها:

أنَّه لم يَرِدِ الإذنُ من الشَّرع في ذلك، والله تعالى يقول: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: 3]، والنِّساءُ اسم لإناث بني آدم خاصَّةً، فبقي ما عداهنَّ على التَّحريم؛ لأنَّ الأصلَ في الأبضاع الحُرمةُ حتَّى يَرِدَ دليلٌ على الحِلِّ[22].

(19) انظر: «الاستذكار» لابن عبد البرِّ (449/5)، «شرح السُّنَّة» للبغوي (101/9)، «المغني» لابن قدامة (180/7)، «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (93/32)، «إعلام المُوقِّعين» ابن القيِّم (43/3)، «سبل السَّلام» للصَّنعاني 315/3

(20) انظر: «إعلام المُوقِّعين» (226/3)، و«سبل السَّلام» (315/3).

(21) انظر: «فتاوى اللَّجنة الدَّائمة» (448/18).

(22) انظر: «الأشباه والنَّظائر» للسُّيوطي (ص257)، «أضواء البيان» للشِّنقيطي (415/2).



أسس ودعائم في الدعوة إلى الله

عباس ولد عمر
إمام خطيب. الجزائر

إنَّ على كلِّ مسلم عَلِمَ شيئًا من الخير أن يسعى في نَشره وإذاعته بين النَّاس، حتَّى يَعُمَّ الخيرُ ويقلَّ الشَّرُّ؛ لأنَّ الَّذي يُفسدُ ويَهدمُ في الأمَّة كثيرٌ والنَّاصحون قليلٌ.

لا سيَّما وأنَّ سوادًا عظيمًا من الأمَّة لا يَصلُ إليهم صوتُ العلماء، وخلائقَ لا تحصى من المسلمين لا يحضرون إلى المساجد ولا يشهدون الخُطَبَ والمواعظَ، وهم أحوَجُ ما يكونون إلى الدَّلالة على الخير والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

وقد ظنَّ كثيرٌ من النَّاس أنَّ أمرَ الدَّعوة إلى الله مَسؤوليَّةُ المشايخِ والعلماءِ وَحدَهم، أو هو واجبُ الوُعَّاظِ والخطباءِ دون غيرِهم، وليس الأمر على ما ظنُّوا.

يقولُ الشَّيخُ ابنُ باز: «فعند قلَّة الدُّعاة، وعند كثرة المُنكَرات، وعند غلبة الجهل. كحالنا اليوم. تكون الدَّعوةُ فرضَ عينٍ على كلِّ واحد بحَسْبِ طاقته»[1]، ويشهد لهذا الَّذي قرَّره الشَّيخُ قولُ النَّبيِّ ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»[2]، فهذا خطابٌ لعموم الأمَّة يتناول كلَّ فرد من أفرادها غيرَ أنَّ للدَّعوة أسسًا ودعائمَ لا بدَّ من مراعاتها حتَّى تكونَ ناجحةً وتُؤتيَ ثمراتِها بإذن ربِّها.

أوَّلُ ذلك وأهَمُّه:



الإخـــلاص

بـأن يبتغي الدَّاعي وجـهَ ربِّه ويرجُوَ حسـنَ ثوابِه ويكـونَ همُّه رجـوعَ النَّاس إلى دينهم وتخليصَـهم ممَّا يكون سببًا في هلاكهـم، فالدَّعوة مـن جملة القُرَب المُتعبَّـد بهـا، وقـد اشـترط اللهُ للقُرَب حتَّى تكونَ مقبولةً عنده أن تكونَ خالصةً لوجهـه، قال الله تعـالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيّنة: 5]، وقـال النَّبـيُّ ﷺ: «إنَّ اللهَ لاَ يَقْبَـلُ مِـنَ العَمَلِ إلاَّ مَا كَانَ لَهُ خَالِصًـا وابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»[3].

هذا في عمـوم الأعمال، وأمَّا ما يدُلُّ على اشـتراطِ الإخلاصِ في الدَّعوة على وجـه الخصـوص فهـو قولُـه تعـالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [سورة يوسف]، فقولُـه: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ تضـمَّن الدَّلالـةَ علـى المعبودِ والإرشادَ إلى دينه والإخلاصَ له

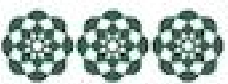
(1) «الدَّعوة إلى الله وأخلاق الدُّعاة» (ص18).
(2) رواه البخاري (3461).
(3) رواه النَّسـائي (3140)، وهـو في «صحيح التَّرغيب» (8).



في ذلك، فلا يجوزُ للدَّاعيةِ أن يَبتَغيَ مِنْ وراءِ عَمله إلاَّ وجهَ ربِّه سبحانه، لا رياءً ولا سمعةً ولا حظًّا من حظوظِ الدُّنيا كما أَخبرَ سبحانه عن رُسلِه في مثلِ قوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ].

ومن الإخلاصِ أن لا يَدعُوَ لنَفسه ولا لحزبه ولا لجماعته، بل لله تعالى وحدَه، ومنه أن لا يَغترَّ بكثرةِ الأتباعِ فليس ذلك دليلاً على الصِّدقِ في الدَّعوة فقد لبث نبيُّ الله نوحٌ ألفَ سنة داعيًا في قومه ليلاً ونهارًا سرًّا وجهارًا ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ٤٠﴾ [سُورَةُ هُودٍ]، وقد قال ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فرَأَيْتُ النَّبيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، والنَّبيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ والرَّجُلَانِ، والنَّبيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ»[4]، وأيضًا لا يَنبغي أن يستَوحِشَ مِنْ قِلَّتهم؛ لأنَّ هدايةَ القلوبِ بيَدِ علَّامِ الغيوبِ، ولا رَيبَ أنَّ الدَّاعيةَ يَفرَحُ ويَنشَطُ باستجابَةِ النَّاس له، لكن إذا قدَّرَ اللهُ غيرَ ذلك فإنَّ حَسْبَه من الخيرِ أن يكونَ قامَ على ثغرٍ عظيمٍ من ثغورِ الإسلام، وأقامَ اللهُ به الحجَّةَ على الأنام.

ومِمَّا يقدحُ في الإخلاصِ أن يتألَّمَ ويتحسَّرَ إذا استجابَ النَّاسُ لغَيرِه ولم يَستَجيبوا له، فهذا دليلٌ على أنَّه إنَّما يدعو لنَفسه وليس لربِّه؛ لأنَّ الدَّاعيةَ المُخلصَ يَهمُّه أن يَرجِعَ النَّاسُ إلى ربِّهم سواءٌ جرى ذلك الخيرُ على يدِه أو يدِ غيرِه.



متابعة السُّنَّة

لا بُدَّ أن تَكُونَ الدَّعوةُ على الطَّريقةِ النَّبويَّةِ السَّلفيَّة، لا على طريقةِ أهلِ الأهواءِ البدعيَّة، واتِّباعُ السُّنَّةِ هو الشَّرطُ الثَّاني لقَبُولِ الأعمالِ بعد الإخلاص، والدَّعوةُ لا تَخرُجُ عن ذلك لأنَّه قُربَةٌ إليه سبحانه، قال ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[5]، فلا بدَّ من مُتابَعةِ سنَّةِ النَّبيِّ ﷺ في أسلوبِ وطريقةِ دَعوَته، ولا يجوزُ بحالٍ مُخالفَتُها والخروجُ عن هَديه فيها؛ لأنَّ ما فعلَه ﷺ كلَّه توقيفٌ من ربِّه تبارك وتعالى، فقد قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ٤٦﴾ [سُورَةُ الأَحْزَابِ]، قال ابنُ تيمية: «ودعوتُه إلى الله هي بإذنه لم يَشرَعْ دينًا لم يَأذَنْ به الله كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ٤٥﴾، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ٤٦﴾، خلافَ الَّذين ذَمَّهم في قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾»[6].

ويتحقَّق الاتِّباعُ بالدَّعوةِ إلى ما كان يدعو إليه ﷺ من غيرِ إحداثٍ فيه ولا إخلالٍ بشيءٍ منه، قال ابنُ باديس: «فمَنْ دعا إلى ما دعا إليه النَّبيُّ ﷺ فهو من دُعاةِ الله، يدعو إلى الحقِّ والهدى، ومَنْ دعا إلى ما لم يَدْعُ إليه مُحمَّدٌ ﷺ فهو من دُعاةِ الشَّيطانِ يدعو إلى الباطلِ والضَّلال»[7].

ومن ذلك أن يَبدأَ بما بدأ به ﷺ ويَهتَمَّ بما اهتمَّ به ويُقدِّمَ ما قدَّمَه ويُؤخِّرَ ما أخرَّه ويَتوقَّفَ عند ما حدَّه، ولا رَيبَ أنَّ أوَّلَ ما بدأ به وأعظمَ ما اهتمَّ به ﷺ أمرُ النَّاسِ بالتَّوحيدِ ونَهيُهم عن الشِّرك كما هو معلوم من سيرته، ولهذا قال ﷺ لمعاذ لمَّا بعَثه إلى اليمن: «إنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى»[8]، والتَّوحيدُ أصلُ أصولِ الدِّين، ولذلك فإنَّ كلَّ دعوةٍ لا تَهتَمُّ به أو ترى تقديمَ غيرِه عليه فهي دعوةٌ فاشلةٌ مخالفةٌ لمنهاجِ النُّبوَّة، وقد قرَّرَ شيخُ الإسلام قاعدةً عظيمةً نافعةً في باب الدَّعوةِ وهي قولُه: «لا يُدعَى إلى الفرعِ مَنْ لا يُقرُّ بالأصل»[9]، ولا بدَّ كذلك من ترتيبِ المُهمَّاتِ فيُدعَى بعد التَّوحيدِ إلى أركانِ الإسلامِ ومَبانيه العظام، ويُدعَى إلى لزومِ السُّنَّةِ واجتنابِ البِدعة، وفي باب المَنهيَّاتِ يُقدَّمُ التَّحذيرُ من الكبائرِ على الذُّنوبِ الصَّغائرِ وهكذا؛ يُقدَّمُ الأهمُّ فالمُهمُّ، وهذا كلُّه يَشهَدُ له ما جاء في تمام حديث معاذ السَّابق.



(4) رواه البخاري (5705)، ومسلم (220) واللَّفظُ له.

(5) رواه بهذا اللَّفظ مسلم (1718)، وهو مُعلَّقٌ عند البخاري (3/69).

(6) «الفتاوى» (15/161).

(7) «مجالس التَّذكير» [ضمن «الآثار»] (1/67).

(8) مُتَّفقٌ عليه، وهو بهذا اللَّفظ عند البخاري (7372).

(9) «الفتاوى» (15/160).

العلم

فالعلمُ من الأسسِ العظيمةِ الَّتي تقومُ عليها الدَّعوةُ وهو من أنفع ما يَتزوَّدُ بـه الدُّعاةُ إلى دينِ الله تعالى، فالجاهلُ لا يَصلُحُ أن يكونَ داعيةً وكيف يعطي شيئًا هو فاقدُه؟! قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾، فبيَّن سبحانه أنَّ دعوةَ نبيِّه وأتباعه على بصيرة، والبصيرةُ العلمُ، فلا بدَّ للدَّاعيةِ أن يكون عالمًا مُتثبِّتًا ممَّا يدعو إليه، والعلمُ إنَّما هو الكتاب والسُّنَّةُ وما استُمِدَّ منهما، يقول الشَّيخ ابنُ عثيمين[10]: «وإنَّ أوَّلَ زادٍ يتزوَّدُ به الدَّاعيةُ إلى الله ﷻ أن يكون على علم مُستَمَدٍّ من كتاب الله تعالى، ومن سنَّةِ رسولِه ﷺ الصَّحيحةِ المقبولة، وأمَّا الدَّعوة بدون علم فإنَّها دعوةٌ على جهل، والدَّعوةُ على الجهل ضررُها أكبر من نَفعها لأنَّ هذا الدَّاعيةَ قد نَصَّبَ نفسَه مُوجِّهًا ومُرشِدًا فإذا كان جاهلاً فإنَّه بذلك يكون ضالاًّ مُضِلاًّ والعياذُ بالله، وليس معنى هذا الكلام أن لا يدعو إلاَّ العلماءُ ولكنَّ المقصودَ أن لا يدعو الرَّجلُ إلاَّ إذا علم؛ لأنَّ العلمَ يَتجزَّأُ والدَّعوة كذلك، فمتى علم المسلمُ شيئًا ينبغي أن يَحرِصَ على دعوةِ النَّاس إليه، ولهذا قال ﷺ: «نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»[11].

(10) «زاد الدَّاعية إلى الله» (ص11).

والعلمُ الَّذي يُبلِّغُه الدَّاعي إلى النَّاس يَدُورُ في جملته حول ثلاثة أمور:

أوَّلُها: تعريفُ النَّاس بمعبودهم، ثانيها: دلالتُهم على الطَّريقِ المُوصلة إليه، ثالثُها: بيانُ حُسنِ ثوابِه للطَّائعين وسوءِ عقابِه للعاصين.

فمن أراد أن يكونَ مفتاحًا للخير فعليه أن يَجتهِدَ في مَعرِفَةِ هذه الأمورِ الَّتي بَيَّنَها اللهُ في كتابه ونبيُّه ﷺ في سنَّته، ثمَّ ليَعْمَلْ على تبصير النَّاس بها، ومن العلم الَّذي يحتاج إليه الدَّاعيةُ العلمُ بحالِ المَدعُوِّين حتَّى يَستعمِلَ الأسلوبَ المُلائمَ لكُلِّ صنف منهم، ولهذا جاء في حديث معاذ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ»، فأعلَمَه بحالِ المَدعُوِّين حتَّى يُخاطِبَهم بما يُناسِبُهم، فيحتاج الدَّاعيةُ إلى مُراعَاة هذا الأمرِ واعتبارِه حتَّى يُنزِلَ كلَّ إنسانٍ مَنزلتَه ويُخاطبَه بما يكون أنْفَعَ له، فالجاهلُ لا يُخاطَبُ بما يخاطب به المُتعلِّمُ، ولا من وقع في معصية كمن وقع في بدعة، وفرق بين مُتحرِّ الحقِّ وصاحبِ الهوى، وبين من كان رأسًا في الضَّلالة ومن كان فيها تابعًا، ومن كان يقرُّ بالأصل ومن كان ينازع فيه، ومن فعل المُحرَّمَ المعلومَ ومن وقع في الخفيِّ من الإثم، وهَلُمَّ جرًّا، وقد دلَّ على هذا أيضًا قولُ الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: 125] وقولُه: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت: 46].

(11) الحديث مَرْوِيٌّ من طُرُقٍ، وهو بهذا اللَّفظ عند التِّرمذي (2657).

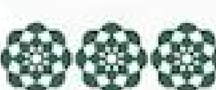


ومن انتصب للدَّعوة إلى الله من غير علم فلْيَعْلَمْ أنَّه سيُفسِدُ ولا يُصلِحُ ويضُرُّ ولا ينفع، كحالِ بعض الجماعات الَّتي اتَّخذَت الدَّعوةَ شعارًا لها بينما نراهم لا يرفعون بالعلم رأسًا، فيُزَهِّدُون أتباعَهم فيه إلاَّ نوعًا واحدًا منه، ويُهمِلُونَ أصلَ دعوة النَّبيِّين والمُرسَلين الَّذي هو توحيدُ ربِّ العالمين، ويَخرُجُون دعاةً بعد ذلك ومنهم من لم يَمضِ على تَوبَته من الكبائرِ وتَركِ الصَّلاةِ إلاَّ أيَّامًا يسيرةً، وضررُ هؤلاء وأمثالُهم على الدَّعوة من وجوه:

أحدُها: القولُ على الله بغير علم، فقد قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف].

الثَّاني: إشاعةُ الباطل بين النَّاس وصرفُهم عن الصِّراط المستقيم.

الثَّالث: ردُّ الحقِّ الَّذي خالفوه ومحاربَتُهم لأهله.



الحكمة

للآية الَّتي مرَّت وهي قولُه سبحانه: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾، والحكمةُ في وضع اللغة المنع، وهي الَّتي تَمنعُ صاحبَها من الجهل والسَّفه والظُّلم، والحكمةُ إصابةُ الحقِّ، ومعرفةُ الحقِّ وقولُه والعملُ به، وهي وضعُ الشَّيءِ في مَوضعه.

أمَّا فيما يتعلَّقُ بتفسير الآية فممَّا نصَّ العلماءُ على دُخوله في معنى الحكمةِ: الرِّفقُ واللِّينُ في الدَّعوة.

ويشهد لهذا قولُه تعالى لموسى وهارون: ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة طه]، فهذا فرعون من أشدِّ أهل الأرض طُغيانًا وأعظمِهم تَجبُّرًا وكفرانًا مع ذلك أمر الله تعالى نبيَّيْه باستعمال اللِّين في مُخاطبَته؛ لأنَّه أدعى لقبول الحقِّ واتِّباعه، ويدلُّ عليه الأحاديثُ الكثيرةُ الَّتي أَمَرَ فيها ﷺ بالرِّفق في الأمرِ كلِّه، ونهى فيها عن العُنف والشِّدَّة.

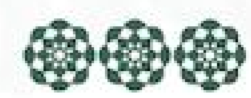
ومن أعظم الأشياء الَّتي يزينها الرِّفقُ ويشينها العنفُ الدَّعوةُ إلى الله، لأنَّ النَّاسَ مجبولون على الاستجابة لمن كان ليِّنًا معهم مُترفِّقًا بهم، بل إنَّهم في بعض الأحيان يقبلون الباطلَ ويَتَّبِعُونَه ويَترُكُون الحقَّ ويعارضونه لا لشيء إلاَّ لأنَّ أهلَ تلك الدَّعوة الباطلة عاملوهم بالرِّفق واللِّين، وقد بيَّن اللهُ لنبيِّه ﷺ أنَّه لو تَجرَّدَ من ذلك في دَعوَته لانصرَفَ النَّاسُ عنه كما في قوله: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾ [آل عمران: 159]، وهذا قد قاله سبحانه لنبيِّه ﷺ وهو أفصَحُ النَّاس لسانًا وأحسَنُهم بيانًا وأَقوَاهُمْ حجَّةً وبرهانًا، فعلم بذلك أنَّ الدَّعوةَ لا يَحصُلُ نَفعُها ولا تُجتَنَى ثمرَاتُها إلاَّ بإعمالِ الرِّفقِ واللِّين فيها، ولنا عبرةٌ بالغةٌ في ما كان يعامل به النَّبيُّ ﷺ النَّاسَ وهو يُعلِّمُهم.

❁ ومن الحكمة في الدَّعوة التَّبشيرُ وتركُ التَّنفير:

وقد تقدَّم قولُ الله تعالى في ذكر أوصاف نبيِّه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴾، وهو ما كان يُوصي به ﷺ أصحابَه إذا بعثَهم إلى الله داعين؛ فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا بعث أحدًا من أصحابه في بعض أمره قال: «بَشِّرُوا ولاَ تُنَفِّرُوا، ويَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا»[12].

❁ ومنها: عرضُ الحقِّ في أحسن صُوَرِه: والدَّليلُ عليه قولُه تعالى: ﴿وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ [النساء: 63] والآية تتكلَّم على أهلِ النِّفاقِ ومع ذلك أمرَ اللهُ نبيَّه بالموعظة والقولِ البليغ، فلا يُكتفَى بمُجرَّدِ البلاغِ بل لا بُدَّ من البلاغ والبلاغة معًا، قال ابنُ تيمية: «وإنَّما البلاغةُ المأمورُ بها في مثل قوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ [سورة النساء]، هي علمُ المعاني والبيان، فيَذكُرُ من المعاني ما هو أكمَلُ مناسبةً للمطلوب، ويذكر من الألفاظ ما هو أكملُ في بيان تلك المعاني، فالبلاغة بلوغُ غاية المطلوب، أو غاية الممكن، من المعاني بأَتَمِّ ما يكون من البيان، فيجمع صاحبُها بين تكميلِ المعاني المقصودة، وبين تبيينها بأحسن وجه»[13] اهـ.

وإنَّما كان الدَّاعيةُ محتاجًا إلى البلاغة في القول لأنَّه يأمُرُ النَّاسَ في أحيانٍ كثيرة بما تَكرَهُه النَّفسُ ويَنهَاهُم عن ما يُفوِّتُ عليها حظَّها من الشَّهوة، فهو داعيةٌ إلى الجنَّة صادٌّ عن النَّار، وقد أَخبَرَنا نبيُّنا ﷺ أنَّ الجنَّةَ حُفَّتْ بالمكاره وأنَّ النَّارَ حُفَّتْ بالشَّهوات، فالحقُّ بهذا الاعتبارِ ثقيلٌ لا سيَّما على النُّفوس المُعرِضَة، فاحتاج مع ذلك إلى ما يُليِّنُ هذه القلوبَ ويرقِّقُها، وبالجملة فإنَّه متى كان كلامُ الدَّاعية بليغًا وقارَنَ ذلك الإخلاصُ والصِّدقُ مع السَّداد وإصابة الحقِّ كان أَجْدَرَ بأن يَقَعَ في النَّفس مَوقِعَه، وأن يُؤَثِّرَ في القلب ويَترُكَ فيه أثَرَه.



العمل

فحتَّى تكونَ الدَّعوةُ مُثمِرَةً يجب على الدَّاعيةِ أن يكون أسبقَ النَّاس إلى الخيرِ الَّذي يدعو إليه، ولهذا جمع اللهُ تعالى في الآية الَّتي مدح فيها الدُّعاةَ إلى دينه بين وَصفَيْن استحقُّوا بهما ذلك المدحَ وهما القولُ الحسن والعملُ الصَّالح، قال سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾، والعملُ بما يدعو إليه الإنسانُ من أعظم ما يُزيِّنُ دعوتَه، وتركُ ذلك

(12) رواه مسلم (1732)، وهو عند البخاري (69) من حديث أنسٍ بتقديمٍ وتأخير.

(13) «منهاج السُّنَّة النَّبويَّة» (8/43).

من أعظم ما يَشينُها ويَقدَحُ فيها، ولهذا قال نبيُّ الله شُعيبٌ بعد أن دعا قومَه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: 88] وقد ذمَّ الله تعالى من دعا إلى خيرٍ ولم يكنْ عاملاً به فقال: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة البقرة]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة الصف]، وقد جاء في حديث النَّبيِّ ﷺ قولُه: «مَثَلُ العَالم الَّذي يُعَلِّمُ النَّاسَ الخَيْرَ ويَنْسَى نَفسَهُ كَمَثَلِ السِّراجِ يُضيءُ للنَّاسِ ويُحْرِقُ نَفْسَهُ»[14]، وجنايةُ من كان كذلك على الدَّعوةِ عظيمةٌ لأنَّه يدعو النَّاسَ بلسانه إلى الجنَّة، بينما تدعوهم أفعالُه إلى النَّار، ومعلومٌ أنَّ أثرَ الفعلِ في القلب أبلَغُ من القول، ولذلك فإنَّ تركَ الدَّاعيةِ للعملِ من أكبر أسباب الصَّدِّ عن سبيلِ الله تعالى، وفي هذا يقولُ ابنُ القيِّم: «علماءُ السُّوءِ جلسوا على بابِ الجنَّة يدعون إليها النَّاسَ بأقوالهم ويدعونهم إلى النَّارِ بأفعالهم، فكُلَّما قالت أقوالُهم للنَّاسِ هَلُمُّوا، قالت أفعالُهم لا تَسمَعُوا منهم فلو كان ما دَعَوْا إليه حقًّا كانوا أوَّلَ المُستَجيبين له، فهم في الصُّورةِ أدلَّاءُ وفي الحقيقةِ قُطَّاعُ الطُّرُقِ»[15].

❁❁❁

(14) رواه الطَّبراني (1681)، وهو في «صحيح التَّرغيب» (131).

(15) «الفوائد» (ص61).

الصَّبرُ على مَشاقِّ الدَّعوة وأذى المَدعُوِّين

ممَّا يَحتاجُ الدَّاعيةُ إلى التَّسلُّح به في سبيل دعوته الصَّبرُ، لأنَّه قد يُقابَلُ بالإعراض والصُّدود، فيَتصبَّرُ حتَّى لا يَنقَطِع في أوَّلِ الطَّريق، وقد يعامَل بالجفاء أو يَتجرَّأُ عليه السُّفهاءُ، فإن لم يكنْ معه زادٌ من الصَّبرِ لن يَستَطيعَ تَحمُّلَ الأذى، ولهذا جاء في وَصيَّة لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [سورة لقمان]، ذلك أنَّ النَّاصحَ والدَّاعيةَ يأتي النَّاس في أكثر الأحيان بما لا تهواه أنفسُهم فيكون جزاؤهم له بالتَّكذيب والاستهزاء والشَّتم والضَّرب وقد يتعدَّى الأمرُ إلى محاولةِ الفتك به، والدَّاعيةُ إنَّما يقوم في الأمَّة مقامَ النَّبيِّ ﷺ، وقد قال الله له: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [سورة الفرقان]، فهي سُنَّته الَّتي أمضاها في الَّذين خَلَوْا من قبلُ ولن تجدَ لسنَّة الله تبديلاً، ولهذا قال ورَقةُ ابنُ نَوفَل للنَّبيِّ ﷺ في أوَّل مَبعثه: لم يأتِ رَجُلٌ بما جئتَ به إلاَّ أُوذيَ[16]، وإنَّما قال له ذلك حتَّى يُوطِّنَ نفسَه على المكاره، ولمَّا كان الدُّعاةُ وَرَثةَ الأنبياء وَجَبَ عليهم أن يُوطِّنوا أنفُسَهم على أنَّه سَيُصيبُهم بعضُ ما أصابَ سَلَفَهم، ولهذا أمَرَ اللهُ سبحانه بالاقتداء برُسُله فيما كانوا عليه من الصَّبرِ والاحتساب، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: 35]، ويدُلُّ عليه أيضًا قولُه تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [سورة العصر].

(16) رواه البخاري (4953).

ومن الصَّبرِ في الدَّعوةِ أن لا يَستَعجِل الدَّاعيةُ أو يقع في اليأس من استجابة النَّاس، فعليه أن يستفرغ الوسعَ ويعتقد بعد ذلك أنَّ الهدايةَ بيد الله تعالى، وعدمُ استجابة النَّاسِ في المرَّة الأولى لا يعني بالضَّرورة أنَّ هؤلاء النَّاس لا يهتدون، لأنَّ الكلمةَ قد لا تُؤثِّرُ في حينها، لكن تظهَرُ ثَمرَتُها بعد زَمنٍ قد يطول وقد يَقصُرُ، وأحيانًا تأتي الاستجابةُ ممَّن لا يُرجَى رجوعُه، فيُقبِلُ الأبعَدُ ويُعرِضُ الأقرَبُ.

فهذه بعضُ أُسسِ الدَّعوةِ إلى الله تعالى الَّتي دلَّ عليها كتابُ الله تعالى وسنَّةُ نبيِّه، متى أخذ بها الدُّعاةُ حقَّقَ الله لهم رجاءَهم وأجرى الخيرَ على أيديهم، وكانوا سببًا في صلاح أمَّتهم والتَّمكين لدينهم، نسأل الله تعالى أن يَجعلَنا منهم.



من جرائم الشِّيعة الرافضة عبر التاريخ

محمد مرابط

إنَّ ممَّا ينبغي أن يُدركَه الباحثُ أنَّ الرَّوافضَ يدينون بدينِ الإماميَّةِ الَّذي يُشكِّلُ هجينًا من عقائد الزَّنادقة والكفَّار، فهم أمَّةٌ لا تتقيَّدُ بالإسلام؛ لا في أصولِه ولا في فروعِه، لذا «اجتمعت الأمَّةُ على تكفيرِ الإماميَّة»[1]، وعليه فلا يَشُكُّ ذو لبٍّ أنَّ هذا التَّبايُنَ في الملَّة بين الرَّوافضِ والمسلمين جَعلَهم يمقتون الإسلامَ ويَنظُرون إلى أهلِه نَظرَةَ احتقارٍ واستصغارٍ، فالمسلم عندهم لا يَستأهلُ ـ قولاً واحدًا ـ إلاَّ القتلَ والاضطهادَ، وإطلالةٌ خاطفةٌ في كُتُبِهم ستُوقِفُ الباحثَ على فظاعة أفكارِهم! فمثلاً: المسلمُ السُّنِّيُّ يُعتَبَرُ ابنَ زنا! ويَرْوُونَ في ذلك مُعضلاتٍ وفظائع، منها: «مَنْ وجَدَ بَرْدَ حُبِّنا على قلبِه فليُكْثِرِ الدُّعاءَ لأمِّه فإنَّها لم تَخُنْ أباه»[2]، والمسلم أيضًا في مُعتقَدِهم كافرٌ مشركٌ، ما دام لا يَدينُ بعقيدتِهم، وممَّا ورد في كُتُبِهم من المآسي الشَّنيعة روايتُهم: «مَنْ أصبحَ مِنْ هذه الأمَّة لا إمامَ له من الله عزَّ وجلَّ أَصبح تائهًا مُتحيِّرًا ضالاًّ، إن ماتَ على هذه الحال مات ميتةَ كُفرٍ ونفاقٍ»[3]، لا سيَّما إذا كان من العرب! فوظيفةُ مَهدي الرَّافضة يومَ خُروجِه أنَّه: «يَسيرُ في العَرب بالذَّبح»[4]، وغير هذا من الحماقة والرُّعونة العقديَّة في دين الرَّوافض، وقد طبَّقَ الرَّافضةُ عبْرَ العصورِ هذه العقيدةَ بحذافيرها، لا سيَّما في عصرنا؛ يقول المَرجعُ المشهورُ أبو الفضل البُرْقُعي أحدُ أكبَرِ المُقرَّبين للخُمَيْني سابقًا: «تدَهْوَرت الحالةُ ودخلت الدَّولةُ الإيرانيَّةُ مع العراق في حرب، والإمام الخميني يُصِرُّ على الاستمرار، وحُجَّتُه أنَّ دولةَ العراق كافرةٌ»[5]، فهذه الرُّؤيَةُ الخُمَيْنِيَّةُ للعراق هي رؤيةُ كلِّ الرَّافضَة لبلاد الإسلام، وكلُّ من تَفطَّنَ لهذه الجزئيَّة نال حظَّهُ الأوْفَرَ من فهم الأحداث، وأدركَ حقيقةَ كلِّ المَذابح الَّتي شَهِدَتْها أوطانُ المسلمين.

إنَّ الباحثَ الألمعيَّ يَرَى في هذه العقيدة المُفعَمَة بالحقد والكراهية للمسلمين أنَّها السَّببُ الأكبرُ الَّذي جَعَلَ جهودَهم تنحصر في غزو بلاد الإسلام، والسَّعي في إثارة الفوضى والنَّعَرَاتِ بين أهلِها، وفي نفس الوقتِ لا تَجِدُ للرَّافضة مطامعَ في بلاد اليهود والنَّصارى، وبالأخصِّ أوروبا وأمريكا! اللَّهمَّ إلاَّ إدخالَ الأقلِّيَّات المسلمة في دين الرَّافضة، وهو مَسلَكٌ يَلتَزِمُونَ به مُنذُ زمنٍ بعيد، يقول مُبارَك الميلي رحمه الله: «والحكومةُ العُبَيْديَّةُ لا تَعترفُ بأيَّة حكومة أخرى، فكانت تُرسلُ الدُّعاةَ إلى جميعِ الأوطان الإسلاميَّة دون بلاد الكفر!»[6]، ومن شواهد العصر المُؤكِّدَة لهذه الحقيقة اتِّفاقيَّةُ (أدنبرة) سنة (1910م) بين أمريكا وإيران والَّتي تقضي بالسَّماح لفِرَق التَّبشير النَّصراني بالعمل في مناطق السُّنَّة[7]! فالأفضلُ للمسلم عندهم أن يتحوَّلَ لديانة أخرى حتَّى يَسلَمَ من مكائد الرَّوافض! وانظر في كلام الخميني الهالك: «يُعتَبرُ في المُتصَدَّق عليه في الصَّدقة المندوبة الفقرُ لا الإيمان والإسلام، فتجوز على الغنيِّ وعلى الذِّميِّ والمُخالف إن كانا أجنبيين، نعم ولا تجوز على النَّاصبي»[8]، والنَّاصبي عندهم هو المُسلمُ السُّنِّيُّ!

(1) «الأنساب» للسَّمعاني (188/3).
(2) «بحار الأنوار» للمجلسي (89/27).
(3) «الغيبة» للنُّعماني (ص127).
(4) بتصرف من «بحار الأنوار» للمجلسي (491/52).
(5) «سوانح الأيَّام» (ص222).
(6) «تاريخ الجزائر» (138/2).
(7) «تاريخ إيران السِّياسي» لأمال السُّبكي (ص106).
(8) «تحرير الوسيلة» (86/2).

وسأسْرُدُ وقائعَ بعضِ الجرائمِ الرَّافضيَّةِ عبرَ التَّاريخِ سالكًا في ذلك طريقَ التَّدرُّجِ التَّاريخي:

ففي سنة (23 هـ): غَدَرَ عدوُّ الله ورسوله ﷺ أبو لؤلؤة المجوسي بالخليفة الرَّاشِد الفاروق عمرَ بنِ الخطَّاب رضي الله عنه، فطعنه في ظَهره وهو يُصلِّي بالنَّاس إمامًا، وهي واقعةٌ تُعتَبَر عند من عقل بوَّابةَ الغَدرِ الرَّافضي بالمسلمين، وتُلحَقُ بجرائم الرَّافضة لاعتبارَيْن:

أمَّا الأوَّل: فالشَّقيُّ أبو لؤلؤةَ يَرجِعُ أصلُه إلى نَهَاوَنْد الفارسيَّة، وذهب الكثيرُ من الرَّوافض إلى أنَّ أبا لؤلؤة كان مواليًا للشِّيعة، وهذا ما دَفعَه لارتكاب ذلك الجُرم الفظيع، وقد أورد الرَّافضي مُحمَّد العبَيدان القطيفي في بحثه «أبو لؤلؤة بابا شجاع» روايات منها: «إنَّ أبا لؤلؤة فَيرُوز لمَّا اطَّلع على فسادِ عمر وبغضِه لأهل البيتِ (ع) مضى إلى الحداد».

وأمَّا الاعتبارُ الثَّاني: فكلُّ الرَّوافض عبرَ العُصورِ فرِحُوا بجريمتِه النَّكراءِ وسَجَّلُوا رضاهم بها، بل أثبتوا مُشاركَتَهم في مَقتَلِ الفاروق كما ذكر الرَّافضي المرندي في كتابه «مجمع النُّورين»، ووضعوا فضائل كثيرةً في استحباب زيارة قبر قاتله والاحتفالِ بيوم وفاة عمر رضي الله عنه، وغير خافٍ على أهل الإيمان ما حلَّ بالإسلام والمسلمين بعد مَقتَلِ الخليفة الرَّاشِد عمر رضي الله عنه! عن الحسن بن أبي جعفر قال: «بلغنا أنَّه لمَّا قُتِلَ عمر بن الخطَّاب أظلَمَت الأرضُ كلُّها، فجعل الصَّبيُّ يأتي أمَّه فيقول: يا أُمَّهْ أقامَتِ القيامةُ؟ فتقول: لا يا بُنَيَّ ولكن عمر بن الخطَّاب قُتِل»[9].

❀❀❀

وفي سنة (35 هـ): تسبَّبَ رأسُ الرَّافضة ابنُ سَبإٍ في جريمة مَقتَلِ عثمان بنِ عفَّان رضي الله عنه، بعدما ألَّبَ عليه سفهاءَ القوم وأشرارَهم، ونشر فيهم عقيدةَ الرَّجعة والإمامة، فدفعهم لارتكاب ذلك الجرم الفظيع الشَّنيع[10].

❀❀❀

وفي سنة (38 هـ): أعاد ابنُ سبأ ومن معه الكرَّةَ نفسَها، وأشغل الأمَّةَ وشَقَّ صفَّها، لكن بطريقة أخرى، فسلَكَ مَسْلَكَ الإطراءِ والغُلوِّ في الخليفة الرَّاشد عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه حتَّى ادَّعى فيه الرُّبوبيَّة، فما كان من الخليفة الرَّاشد إلَّا إحراقَ مَنْ أدركَه منهم بالنَّار[11]، ولم يقتصرْ بلاءُ الشِّيعة على هذه الحادثة فحسبُ، بل تورَّطوا في خذلان وخيانةِ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قتاله للخوارج[12].

❀❀❀

وفي سنة (61 هـ): قُتِلَ سبطُ رسول الله ﷺ الحُسَينُ تصابُرًا مُحتَسِبًا مظلومًا، بعدما خذلَه رافضةُ العراقِ وغَدَرُوا به[13]، فكان جُرحًا من جِرَاحِ الأمَّةِ الَّتي لم تَندَمِلْ.

❀❀❀

وفي سنة (66 هـ): استحوذ المختارُ على الكوفة بعدما أظهر التَّشيُّعَ ونادى بالثَّأر للحسين رضي الله عنه، وبسبب ذلك التفَّتْ حولَه جماعاتٌ كثيرةٌ من الشِّيعة، وشرعوا في جرائمهم ضدَّ مُخالِفيهم وأكثَرُوا فيهِمُ القَتْلَ[14].

❀❀❀

وفي سنة (129 هـ): زعم الرَّافضةُ أنَّ أبا مسلم الخراساني رجلٌ من أهل البيت وجبت طاعتُه، فنفخوا فيه وقاموا بتأليبه على الخليفة الأمويِّ، فعلى يدَيْه سقطت الخلافةُ الأمويَّةُ وقامت الخلافةُ العبَّاسيَّةُ، فوقعت مَقتَلَةٌ كبيرةٌ قُطِعَتْ فيها رؤوسُ المسلمين، وكان أبو مسلم شرًّا من الحجَّاج وأسْفَكَ للدِّماء، ما زال بمَكرِه، حتَّى قَلَبَ دولةً وأقام دولةً، وذلَّتْ له رقاب الأمَم، وحكم في العرب والعجم، وراح تحت سَيفه ستُّمائة ألف أو يزيدون، وبقي أبو مسلم يُثِيرُ الفتَنَ في زمن المنصور الخليفة العبَّاسي الثَّاني حتَّى قتلَه واستراح النَّاسُ من بلائه[15].

❀❀❀

وفي سنة (278هـ): ظهر القرامطةُ أتباعُ قَرمَطٍ في الكوفة وادَّعَوْا مذهبَ أهلِ البيت! وقاموا باعتراض الحُجَّاج، وقتلوا عشرين ألفًا منهم، ودخلوا البصرةَ، وهرب أكثرُ النَّاس فألقَوْا أنفسَهم في الماء فغَرِقَ كثيرٌ منهم، ومَكَثُوا بها سبعةَ عشرَ يومًا يَقتُلُونَ ويَأْسِرُون، ويَأخُذُون من أموالها، وساروا الى مكَّةَ في موسم الحجِّ، فقتَلُوا ثلاثةَ عشر ألفًا من المسلمين، حتَّى مَنْ كان منهم مُتعلِّقًا بأستارِ الكعبة، واقتلعوا الحجرَ الأسود، وأبوابَ الكعبة وأخذوا كسوَتَها، وقاموا بسَبْيِ أربعة آلاف عذراء

(9) انظر في مقتل الفاروق رضي الله عنه كتاب «محض الصَّواب» لابن المبرد (803/3).

(10) «الكامل» لابن الأثير (46/3)، «تاريخ ابن خلدون» (1119/2).

(11) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (475/42)، «الكافي» للكليني (164/7)، والأثر عند البخاري في «صحيحه» (6922).

(12) «تاريخ الطبري» (90/5).

(13) «تاريخ اليعقوبي» (391/1)، «أعيان الشِّيعة» لمحسن الأمين (26/1).

(14) «البداية والنِّهاية» (5/12).

(15) «ميزان الاعتدال» للذَّهبي (590/2)، «تاريخ ابن خلدون» (1167/2).

ثمَّ أمرَهم قائدُهم بذبحهنَّ جميعًا[16].

❁❁❁

وفي سنة (286 هـ): ظهر بنو عُبَيْد بالمغرب وأسَّسُوا الدَّولةَ الرَّافضيَّةَ العُبَيْديَّة، واسْتَوْلَوْا على مصر سنة (358 هـ)، ثمَّ ملكوا الشَّامَ إلى أن انْقَرَضَتْ دولتُهم سنة (565 هـ)[17]، وكان عامَّةُ من انضمَّ إليهم من أهل الزَّنْدَقَة، لهذا ضَعُفَ الإسلامُ كثيرًا، ودخلت النَّصارى إلى الشَّام، فَبنو عبيد مَلاحِدةٌ مُنافِقُون ليس لهم غَرضٌ في الجهاد في سبيل الله، فاستولت النَّصارى في دَولَتِهم على أكثر الشَّام[18]، كان وزيرُهم مرَّةً يهوديًا فقَويت اليهوديَّةُ! ومرَّةً نصرانيًّا فقَويت النَّصارى! وبنَوْا كنائسَ بأرض مِصْرَ[19]، وقتلوا أربعةَ آلاف رجل في دار النَّحر ما بين عالم وعابد، ليَرُدُّوهم عن التَّرضِّي على الصَّحابةِ، فاختاروا الموتَ[20].

❁❁❁

وفي سنة (334 هـ): ظهر أحفادُ ابن بُوَيْه وأسَّسوا دَولَتَهم البَابَوِيَّة وهم من رافضة الدَّيْلَم، فشرعوا في غزو البلاد الإسلاميَّة بعد ضعف الدَّولة العبَّاسيَّة، وأسَّسوا دولتَهم البابويَّة، وأعانهم في ذلك وزيرُ الخليفة العبَّاسي الشِّيعي ابنُ مقلة! واستَوْلَوْا على بلاد فارس، وعُمَان وأَذْرَبِيجَان وواسِط والبصرة والموصل وبغداد، فاضطربَ النَّاسُ وعَظُمَ النَّهبُ، وضُرِبَت المُكُوسُ وأُخذَت أموالُ النَّاس، وكُتب على باب الجامع ببغداد لَعنٌ صريحٌ لأصحاب رسول الله ﷺ[21]، وكانت مدَّةُ حُكمهم إلى أن انْقرَضُوا مائة وثلاث سنين[22]، عاش فيها المسلمون في خوف ورُعب، وفي هذه الفترة كان الكُفَّارُ من الرُّوم وعلى رَأْسهم نَقْفُور قد عاثوا فسادًا في أرض المُسلمين وهم على دراية بأنَّ الرَّافضةَ سَنَدُهم ولن يَقفُوا في وجههم! فاستَحْوَذُوا في أيَّامهم على كثير من السَّواحل، وذلك لتَقصير أهل ذلك الزَّمان، وظهور البدع الشَّنيعة، وكثرة التَّشيُّع منهم، فلهذا تَسلَّطَ أعداءُ الإسلام، فانتزعوا ما بأيديهم من البلاد مع الخوف الشَّديد ونَكَد العيش والفرار من بلاد إلى بلاد، فلا يَبِيتُون ليلةً إلاَّ في خوف من قوارع الأعداء وطوارق الشُّرور المترادفة، فالله المستعان، وقد وَرَدُوا حلب، وقتلُوا من أهلهَا ما لا يعلمه إلاَّ الله، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون[23].

❁❁❁

ومن سنة: (349 هـ) إلى سنة (456 هـ) وفتنة الرَّافضة قائمةٌ في العراق لم تَنطَفئْ نارُها، فكانت مَقاتلُ هائلة بين الرَّافضة والسُّنَّة، في كلِّ وقت تَستَعرُ الفتنةُ بسبب الرَّوافض فتَحصُلُ منهم إثارةُ عواطف أهل السُّنَّة بإحياء المناسبات الشِّركيَّة تارةً، وبسبِّ الصَّحابة تارةً أخرى، لا سيَّما إذا كان السُّلطان يُجاريهم أو كان منهم، فكان القتلُ وحَرقُ البيوت ونَبشُ القُبور يَجري في بغداد وغيرها طوالَ هذه المُدَّةِ[24].

❁❁❁

وفي سنة (490 هـ): نفى بدر الجمالي عن مصر والقاهرة كلَّ مَنْ وَقَعَتْ عليه سيماءُ العلم بعد أن قَتلَ خلقًا كثيرًا من العلماء، وقال: العلماء أعداءُ هذه الدَّولة هم الَّذين يُنَبِّهون العوامَّ على ما يقولونه، ونفى مُذكِّري أهلِ السُّنَّة، وحمل النَّاسَ أن يُكبِّرُوا خمسًا على الجنائز، وأن يسدلوا أيمانهم في الصَّلاة، وأن يَتختَّمُوا في الأيمان، وأن يُثوِّبوا في صلاة الفجر «حيَّ على خير العمل» وحبس أقوامًا رَوَوْا فضائلَ الصَّحابةِ وكان من مساوئ الدُّنيا فاتكًا جبَّارًا[25].

❁❁❁

وفي سنة (558 هـ): تَجبَّر شاور العُبيدي وظلم فخرج عليه ضرغام العبيدي، ففرَّ شاور، وأقبلت الرُّومُ وحصَلَتْ وقعةٌ كبرى قُتلَ فيها خلقٌ، فاجتمع شاور بنور الدِّين السُّنِّي، فأكرمه، ووعده بالنُّصرَة، ووعد نور الدِّين بتمليك مصر، فجهَّز معه جيشًا، فالتقى الجيشان، فانكسر العبيديُّون، فشرع شاور في خيانته لنور الدِّين الَّذي نصره، فكتب شاور إلى الرُّوم يَستَنْفرُهم ويُمَنِّيهم، فدهمت الرُّومُ وجرت لجيش نور الدِّين معهم وقعات، وبقي الرُّوم يَتقوَّى بهم شاور، وقرَّر لهم مالاً، وبالغ شاور في ظلم النَّاس وتَمنَّوْا أن يلي نورُ الدِّين شأنَهم، فسار إليهم جيشُ نور الدِّين من الشَّام، فاستَصْرَخَ شاور بملك الفرنج، وقرَّر لهم أربعمائة ألف دينار، فحاصر الفرنج الإسكندريَّةَ

(16) «كشف أسرار الباطنيَّة» للحمادي (ص49 ط.الأزهريَّة، «البداية والنِّهاية» (5/12)، (5/15)، «تاريخ ابن خلدون» (1250/2)، «تاريخ الإسلام» للذَّهبي (16/22)، «تاريخ الطَّبري» (119/11)..

(17) «تاريخ ابن خلدون» (1427/2)..

(18) بتصرُّف من «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (508/4)، (501/17)..

(19) «مُختصر الفتاوى المصريَّة» لابن تيمية (ص557)..

(20) «العبر» للذَّهبي (17/2).

(21) «تاريخ ابن خلدون» (1299/2).

تنبيه: لقد أضحى العلمانيُّون والرَّافضةُ من أكثر النَّاس احتجاجًا بأقوال ابن خلدون، في إثبات خُزَعْبلاتهم، مثل طَعنهم في العرب! لهذا آثرت في مواطن من هذا البحث أن أنقل عنه، فتنبَّهْ!.

(22) «السُّلوك» للمقريزي (129/1 ـ 136).

(23) بتصرُّف من «البداية والنِّهاية» (292/6).

(24) «العبر في خَبَر من غَبَر» (79/2 ـ 304).

(25) «المنتظم» (242/16) لابن الجوزي، «النُّجوم الزَّاهرة» (119/5) لابن تغري بردي.

وبها صلاحُ الدِّين، واشتدَّ القتالُ، ثمَّ أَقْبَلَ طاغيةُ الرُّوم ووقع في النَّاس قتلاً وسبيًا، وهرب المصريُّون، وأُحرقت البيوتُ، وتهتَّكت الأستارُ، وعمَّ الدَّمارُ، ودام البلاءُ أشهرًا، فطلبوا المهادنةَ، فاشترط الكلبُ شروطًا لا تُطاقُ، فجاء جيشُ نور الدِّين، فتقهقرَ العدوُّ وفي أيديهم اثنا عشر ألف أسير، فما وسع شاور إلاَّ الخروج إلى جيش نور الدِّين مُعتذرًا، فصفح عنه، إلى أن حاول شاور تدبير مكيدة أخرى فأُخذَ ثمَّ قُتِلَ[26].

❁❁❁

وفي سنة (656هـ): أخذت التَّتارُ بغدادَ وقتلوا أكثرَ أهلها، وانقضت دولةُ بني العبَّاس، وسبب ذلك أنَّ نصير الدِّين الطُّوسي الرَّافضي اللَّعين كان وزيرًا لهولاكو من جهة، والرَّافضي ابنُ العلقمي وزيرًا للخليفة العبَّاسي من جهة أخرى! فخان ابنُ العلقمي الخليفةَ وغدرَ به، ووصل هولاكو بغداد بجنوده الكثيرة الظَّالمة الغاشمة، ممَّنْ لا يُؤمِنُ بالله ولا باليوم الآخر، فقتلُوا الخليفةَ العبَّاسي رفسًا، وعاثوا فسادًا في العراق فقتلُوا جميعَ مَنْ قدرُوا عليه من الرِّجال والنِّساء والولْدان والمشايخ، ودخل كثيرٌ من النَّاس في الآبار والحشوش، ولم ينجُ سوى اليهود والنَّصارى، فلم يُؤرِّخْ أبشعَ من هذه الجريمة منذ بُنيَتْ بغداد، وكان الرَّجل يُستدعى فيخرجُ بأولاده ونسائه وجواريه، فيُذهب به إلى مقبرة، فيُذبح كما تُذبحُ الشَّاةُ، ويُؤسَرُ مَنْ يختارُون من بناته وجواريه، وقُتلَ الخطباءُ والأئمَّةُ، وحَمَلَةُ القرآن، وتعطَّلت المساجدُ والجماعاتُ والجُمُعات، وبقيت بغداد خاويةً على عروشها، والقتلى في الطُّرُقات كأنَّها التُّلُولُ، وقد سقط عليهم المطر، فتغيَّرتْ صُوَرُهم، وأنْتَنَت البلدُ من جيَفهم، وتغيَّر الهواءُ، فحصل بسببه الوباءُ الشَّديدُ، حتَّى تعدَّى وسَرَى في الهواء إلى بلاد الشَّام، فمات خلقٌ كثيرٌ من تغيُّر الجوِّ وفساد الرِّيح، فاجتمع على النَّاس الغلاءُ والوباءُ والفناءُ والطَّعنُ والطَّاعون، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وأُلقيَتْ كتبُ العلم الَّتي كانت بخزائنهم جميعُها في دجلة، وكانت شيئًا لا يُعبَّرُ عنه، قيل: إنَّهم بَنَوْا بها جسرًا من الطِّين والماء عوضًا عن الآجرِّ! وقد اختلف النَّاس في عدد من قُتلَ ببغداد من المسلمين، فقيل: ثمانمائة ألف، وقيل: ألفُ ألف وثمانمائة ألف. وقيل: بلغت القتلى ألفي ألف نفس، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوَّةَ إلاَّ بالله العزيز الحكيم العلي العظيم[27].

والرَّافضةُ يَفتخرُون بهذا الإثم المُبين ويَعتبرُونه من أجلِّ مناقبهم! كما في «روضات الجنَّات» للخوانساري (279/6).

❁❁❁

وفي سنة: (717هـ): خرجت النُّصيريَّةُ عن الطَّاعة، وحملوا على مدينة جبلة في بلاد الشَّام، وقتلوا خلقًا من أهلها، وخرجوا منها يقولون: لا إله إلاَّ علي، وسبُّوا الشَّيخَيْن، وصاح أهلُ البلد فلم يكُنْ لهم يومئذ ناصرٌ ولا مُنجدٌ، وجعلوا يبكون ويتضرَّعون إلى الله ﷻ، وخرَّبوا المساجدَ، واتَّخذُوها خمَّارَات، وكانوا يقولون لمن أسروه من المسلمين: قل: لا إله إلاَّ علي، واسجد لإلهك المهدي الَّذي يُحيي ويُميت حتَّى يُحقَنَ دمُكَ[28].

❁❁❁

وفي سنة (896 هـ): استولى النُّصيري تيمور لنْك على الشَّام وحلَب، وبنى بها مَراقدَ الأنبياء، وأمْعَنَ في القتل والنَّهب والتَّعذيب حتَّى أنشأ من رؤوس البشر تلة عظيمة، ولم يسلم من بطشه إلاَّ النَّصارى، واتَّجه إلى بغداد فاستولى عليها وعلى الموصل وقتل بها تسعين ألفًا[29].

❁❁❁

وفي سنة (907 هـ/1501م): أطلَّتْ قُرونُ الدَّولة الصَّفويَّة الحاقدة، ودخل زعيمُها إسماعيل صفوي في حروب مع الدَّولة العُثمانيَّة، وأشغَلَها عن فتح فيينا السُّويسريَّة وتوقَّفَ الفَتحُ العُثماني بسبب تشغيب الرَّافضة، ثمَّ هاجَمَ الصَّفويُّون العراقَ وضُمَّتْ إلى دَولتهم، وارْتكبُوا مذابحَ في حقِّ أهلِ السُّنَّة الأكراد، ومن قسوة قلوبهم قاموا بتهجير خمسة عشر ألف عائلة كرديَّة وتمَّ وَضعُها كدروع فاصلة في حرب الصَّفويِّين مع الأوزبك، ودخل شاه إسماعيل تبريز واعتلى المنبر وأعلن البراءةَ من أهل السُّنَّة ولعن الصَّحابة ثمَّ أمر بقتلِ المسلمين فقتلُوا عشرين ألفًا[30].

❁❁❁

وفي سنة (1011هـ/1602م): نقضَ الصَّفويُّون الصُّلحَ المُبرَمَ مع العُثمانيِّين وشنَّ الشَّاه عبَّاس هجمات على المسلمين، ثمَّ عَقَد الصُّلحَ مرَّةً ثانيةً ونَقضَه الصَّفويُّون كعادَتهم ودَامَتْ هذه الحربُ إلى سنة: (1026هـ/1616م)،

(26) بتصرُّف من «سير أعلام النُّبلاء» (242/16) للذَّهبي.

(27) «البداية والنِّهاية» (360/17. 362)، «تاريخ ابن خلدون» (1415/2)، «النُّجوم الزَّاهرة» (48/7).

(28) «البداية والنِّهاية» (168/18).

(29) «خيانات الشِّيعة» (ص70. 71) لعماد حسين.

(30) «تاريخ الدَّولة الصَّفويَّة» مُحمَّد طقُّوش، «الصِّراع العربي الفارسي» لمصطفى قطيع.

وفي سنة (1030هـ/1620م) احتلَّ الصَّفويُّون بغداد[31].

❁❁❁

وفي سنة (1135هـ/1722م) تقريبًا: استعان شاه إيران بالقيصر الرُّوسي في حَربه مع الدَّولة العثمانيَّة، وتنازلَ الصَّفويُّون للرُّوس عن بعض أراضيهم، إلى أن جاءت اتِّفاقيَّةُ فرنسا سنة (1136هـ/1723م)[32].

❁❁❁

وفي سنة (1218هـ/1803م): قُتِلَ الإمامُ عبدُ العزيز بنُ محمَّد ابن سعود في مَسجِد الدِّرعيَّة وهو ساجدٌ، قتَلَهُ رافضيٌّ خبيثٌ قَدِمَ للدِّرعيَّة بنيَّة الثَّأر، ونجَّى اللهُ أخاه عبدَ الله منْ طَعن الرَّافضي، فاضطرَبَ النَّاسُ واشتَدَّ الأمرُ بالمسلمين، فقد كان زَمَنُ عبد العزيز زَمَنَ عدلٍ ورحمة بالرَّعيَّة، وكان رجلاً زاهدًا كثيرَ الخَوف من الله سبحانه، وكان يُلقَّبُ بمهديِّ الزَّمان[33].

❁❁❁

وفي سنة (1399هـ/1979م): أثار رأسُ الزَّندَقة الهالكُ الخُمَيْني الشَّعبَ الإيراني على حُكومتِه، ووَقَعَتْ مَقتَلَةٌ كبيرةٌ، قُدِّرَ عددُ القَتْلَى فيها بعشرة آلاف قتيل، وقُتِلَتْ (600) امرأة في يوم واحد عُرِفَ باليوم الأسود[34]، ومنذ ذلك اليوم والمسلمون يُعانون الوَيْلات جرَّاءَ هذه الثَّورة الَّتي قَرَّرَ زعيمُها الخُمَيْني تَصديرَها للعالم الإسلامي.

(31) «الصِّراع الصَّفوي العثماني» لمحمد العوفي.
(32) «تاريخ الدَّولة الصَّفويَّة» (ص237).
(33) «عنوان المجد في تاريخ نجد» لابن بشر (261/1).
(34) «الثَّورة الإسلاميَّة في إيران» للرَّافضي جعفر حسين نزار (ص166).



هذا فيما يَخُصُّ جنايات الرَّافضة في حقِّ المسلمين مُنذُ القديم.

❁❁❁

أمَّا في عَصرنا الحديث فقد تمادى الرَّوافضُ في غَيِّهم، واعتراهم جُنونُ القَتل، بما لا يكاد يُتَصوَّرُ في العقل، وأنا أنقُلُ مُوجَزًا وافيًا بإذن الله لأهمِّ الوقائع، ومُحصَّلُه:

أنَّ الثَّورات العربيَّة المزعومة أثبَتَتْ في سنة (1433هـ . 2011م) بما لا يَترُكُ مجالاً للشَّكِّ أنَّ الرَّافضةَ هم أوَّلُ المُستَثْمِرين في هموم الأمَّة! فهذا قائدُ الرَّافضة في العالم خامنئي يقول: «الشَّعب الايراني وبعد سنوات من المجاهدة يرى صدى صوته يُسمَعُ اليوم بقوَّة وصلابة في الأحداث الأخيرة في شمال إفريقيا»[35]، وهذا الَّذي جاهَرَ به خامنئي هو سياسة رافضيَّةٌ قديمةٌ! يقول الشَّيخُ مُبارَك الميلي رَحِمَهُ اللهُ: «لَمْ يَخْفَ عن أئمَّة الشِّيعة بالمشرق ما عليه المغربُ من ضعف سياسي ومادِّيٍّ، فأرسلوا دعاتَهم إليه، وتأسَّسَت الدَّولةُ العُبَيْديَّةُ»[36]، سبحان الله! وكأنَّه يتَحدَّثُ عن إيران اليوم! رحم اللهُ ابنَ خلدون

(35) خطبة ألقاها في (طهران) يوم الجمعة: 2011/02/04، نقلتها «قناة العالم».
(36) «تاريخ الجزائر» (130/2) بتصرُّف..

القائل: «الماضي أشبه بالحاضر من الماء بالماء»[37].

❁❁❁

وفي السُّعودية: أحبطَ الأمنُ السُّعودي في سنة (1406هـ/1985م) محاولةَ إدخالِ مُتفجِّرات مع حُجَّاج إيرانيِّين، وفي سنة (1407هـ/1986م)، قامت تَجمُّعاتٌ من الإيرانيِّين بتشكيل مَسيرَة صاخبة في ساحة الحرم المكِّيِّ، ورفعوا فيها صُورةَ الخُمَيْني وشعارات الضَّغينة، فحالت تلك المسيراتُ دون تمكُّن الحُجَّاج من الانطلاق لمصالحهم، وأفسدَتْ على الطَّائفينَ والمُصَلِّين عبادَتَهم، وفي سنة (1409هـ/1988م) وقعت تفجيراتٌ في محيط الحرم المكي بتخطيط من خليَّة تَلَقَّت الأوامرَ من إيران، وفي سنة (1418هـ/1997م) قام «حزب الله الحجاز» بتفجيرَيْن في مَنشَأة بالسُّعوديَّة، وأنبوب لنقل الغاز، وصدرَ قرارٌ بالإعدام بحقِّ المُتَّهمين، وفي ردِّ فعل على إعدامهم، تمَّ اغتيالُ السَّكرتير السُّعودي في أنْقَرَة، كما جَرَتْ محاولَةُ اغتيال دبلوماسيِّين آخَرين[38].

❁❁❁

وفي مصر: تمكَّنت الجهاتُ الأمنيَّةُ سنة (1430هـ/2009م) من القبض على خَليَّة تابعة لحزب الله بتهمة التَّخابُر والتَّخطيط للقيام بأعمال إرهابيَّة وتَصنيع العَبَوَات ورَصْد الطُّرق[39].

وفي الكويت أَحبَطَتْ أجهزَةُ «الدَّاخليَّة» سنة (1430هـ) مُخطَّطًا لخليَّة إرهابيَّة كان يستهدف زعزعةَ

(37) «مقدِّمة ابن خلدون» (ص17).
(38) «الحراك الشِّيعي في السُّعودية».
(39) جريدة «الأهرام»، عدد: (44793) بتاريخ: 5 شعبان 1430هـ، بتصرُّف..

أمـن الكويـت، عـبر تهريـب وتخزيـن كمِّيَّاتٍ كبيرةٍ من الأسلحة[40].

❁❁❁

وفي البحريـن: والَّتـي تُعَدُّ مـن أَكْثَرِ البلـدان الإسـلاميَّة تعرُّضًـا للإرهـاب الرَّافضـي الصَّـفوي، أَحبَطَت القُوَّاتُ الأمنيَّـةُ سـنة (1425هـ/2004م) محاولـةً انقلابيَّةً من خليَّة تابعة لإيران، وفي سنة (1436 هـ/2015م) تمَّ إحباطُ مُحاوَلَة تهريب متفجِّرَات من إيران، وفي نفس السَّـنة قُبِضَ علـى خليَّـة إرهابيَّة مُدرَّبة في إيران، وعليه سَحبَت البحرين سفيرَها من إيران وقدَّمَتْ شكوى رسميَّةً لهيئة الأمم المتَّحدَة.

❁❁❁

وفي أفغانستان: تعاون رافضةُ إيران في سنة (1423هـ/2002م)، مع أمريكا وأَسْـقَطُوا أفغانسـتان، وهـذا ما شَـهِدَ به رَفْسَـنْجَاني الرَّئيسُ السَّـابق لإيران، والَّـذي أَكَّدَ بَـأَنَّ قُوَّاته شـارَكَتْ في قتالِ طالِبان مع أمريكا[41].

❁❁❁

وفي العراق: دخل الخُمَيْني في حرب قَـذِرَة مع العـراق دامت ثَماني سـنواتٍ خَلَّفَـتْ ما يقارب المليون قتيل! وفي سـنة (1425هـ/2004م) أسـهمت إيـران إسهامًا واضـحًا في غزو العراق، وهو ما اعترف به نائبُ الرَّئيس الإيراني مُحمَّد أَبْطَحي[42]، فسقط مرَّةً أخرى ما يقارب مليون قتيل أو أكثر في العراق وحدها[43].

❁❁❁

وفي سوريا: شرَعَ النُّصَيْرِيَّةُ أعداءُ الله ورسـوله ﷺ سنة (1432هـ/2011م)، في تقتيـل أهل السُّـنَّة في سـوريا بمعونة حـزب الله اللُّبناني وعصـابات الرَّفض العراقيَّـة، وأظهرت إحصـائيَّةٌ أجراها المَرصَدُ السُّوري لحقوق الإنسان أنَّ عدد القتلى الَّذين سـقطوا في سوريا هو 220 ألف قتيل.

❁❁❁

وفي اليمـن: جَرَّت عصـابةُ الحوثي التَّابعـةُ لإيـران الدَّولَـةَ اليمنيَّـةَ إلى سـبعة حـروب كاملـة خَلَّفَتْ مـا يُقاربُ 30 ألـف قتيـل، وأكـثر مـن 700 ألـف نـازحٍ، ومن جرائمهم حصـارُهم لقرية دمَّاج السُّـنِّيَّة وتَجويـعُ أهلهـا وإذلالُهم بالتَّشـريد والتَّهجـير، وكانـت حصيلةُ ضـحايا أهل السُّـنَّة في أشـهر قليلة من سـنة (1436هـ/2015م) ثلاثـة آلاف قتيل مدني!

ولا يليق بالكاتب في مثل هذه المباحث أن يُخليَ مقالَه من إشارة سريعة لجرائم الرَّافضة في أوطانهم في حقِّ أهل السُّنَّة، فـلا يُعقَـلُ أن يَضـطَهِدَ الرَّوافضُ أهلَ الإسلام في خارج بلادهم، ثمَّ يَتركُونَهم يَسعَدُون بالعيش داخلَ أرضهم.

وأنا أنقـل هنا برهانًـا واحدًا هو في غاية الجلاء، يشهد لما تقرَّرَ سالفًا.

ففي سـنة (1403هـ/1982م) وجَّه مُفتـي أهل السُّـنَّة في إيـران أحمد زاده رَحِمَهُ اللهُ (ت: 1413هـ/1992م) خطابَيْنِ للخُمَيْني، يشـتكي فيه معاناةَ أهل السُّنَّة ويُظهِرُ لـه أشـكالَ البَغي الَّتـي يَتعَرَّضُ لهـا المسـلمون السُّـنَّةُ، وممَّـا جـاء في خطابَيْـه: «إنَّ الظُّـلمَ والتَّمييزَ الخاطئَ اللَّذَيْـن يحمـلان علـى أهـل السُّـنَّة لا يختصَّان بكردسـتان، بل يَعُمَّان المناطق السُّـنِّيَّة بأسـرهَا، يدُلُّ على هذا مشروعُ صَـرف مُتَّبِعي سُـنَّة رسولِ الله ﷺ عن مَذهَبِهم»[44].

ومِـن المُفيد أن أَنقُلَ جُـزءً مُهمًّا من التَّقرير الَّذي قام به الإخوانُ المسـلمون يومَهـا، والَّذي كَشَـفَ بشـهادَتهم - وهم دُعاةُ التَّقريب! - أنَّ الرَّافضَـةَ مُستَمرُّون في قَمعِ أهـلِ السُّـنَّة! مـن غـير مُبالاَة بأحـد، حيـث جـاء في التَّقرير: «وتمرُّ الأيَّامُ وتتـوالى الأحداثُ، ويتأَكَّدُ الاتِّجاهُ المذهبـي للدَّولـة، الإعـلام الخارجـي الإيـراني يُركِّـزُ علـى تجاوُزِ الحسِّ المذهبي، وأنَّه يتناول الإسلامَ وقضـايا المسلمين، ولكنَّ الممارسـةَ العمليَّةَ بَقِيَتْ غيرَ هذا، ولا سيَّما في مجال التَّعامل مع المناطق السُّنِّيَّة»[45].

أسـألُ اللهَ أن يَكفـيَ المُسـلمينَ شـرَّ الرَّوافض، وأن يُهيِّئَهُمْ للنُّهوضِ في وجه غَزوِهـمُ الغاشـم إنَّـه على ذلك قـادرٌ، مُنتَهى المُرادِ والحمد لله ربِّ العالمين.

❁❁❁

(40) جريدة «الأنبياء» الكويتيَّة، عدد: «14184»، ليوم: الجمعة 29 شوال 1436 هـ.

(41) جريدة «الشَّرق الأوسط»، عدد: «8474»..

(42) على هامش: «مؤتمر الخليج وتحدِّيَات المُستَقبَل»، تنظيم «مركز الإمارات للدِّراسات والبحوث الاستراتيجيَّة» في يوم: الثُّلاثاء 2004/1/15م.

(43) مركز استطلاعات الرَّأي «أوبينيون ريسيرتش بيزنس»، نقلاً عن جريدة «الشَّرق الأوسط»، عدد: «10657» ومجلَّة «لانسيت الطبيَّة» نقلاً عن «بي بي سي» بتاريخ: «2011/12/15».

(44) بتصرُّف من كتاب: «موقف الشِّيعة من أهل السُّنَّة» للمجاهد محمد مال الله رَحِمَهُ اللهُ (ص48-60)، وقد أشار أحد أكبر مراجع الرَّافضة وهو البرقعي في كتابه: «سوانح الأيام» (ص195)، إلى الظُّلم الَّذي تَعرَّض إليه أحمد زاده رَحِمَهُ اللهُ.

(45) بتصرُّف من العدد: «77» من مجلَّة «الدَّعوة»، لسنة: «1403هـ».





من أصول الأدب:
ترك الغضب

فريد نمار
إمام خطيب. الإمارات العربية المتحدة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رجلاً قال للنَّبيِّ ﷺ: أوصني.

قال: «لَا تَغْضَبْ».

فردَّد مرارًا، قال:

«لَا تَغْضَبْ»[1]

وروى الإمام أحمد[2] عن جارية ابن قدامة السَّعدي أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله قل لي قولا ينفعني، وأقلل عليَّ لعلِّي أعيه. فقال رسول الله ﷺ: «لَا تَغْضَبْ».

حتَّى أعاد عليه مرارًا كلُّ ذلك يقول: «لَا تَغْضَبْ».

(1) رواه البخاري (6116).

(2) «المسند» (3570) وصحَّحه الألباني في «صحيح الترغيب».

هذا الحديث أصل من أصول الأدب، قال الإمام الجليل أبو محمَّد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني إمام المالكيَّة بالمغرب في زمنه: «جماع آداب الخير وأزمَّته تتفرَّع عن أربعة أحاديث: قول النَّبيِّ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»، وقوله ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»، وقوله ﷺ للَّذي اختصر له في الوصيَّة: «لَا تَغْضَبْ»، وقوله ﷺ: «المُؤْمِنُ يُحِبُّ لأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[3] اهـ.

قال أبو عمر ابن عبد البرِّ: «هذا من الكلام القليل الألفاظ الجامع للمعاني الكثيرة والفوائد الجليلة، ومن كظم غيظه وردَّ غضبه أخزى شيطانه، وسلمت مروءته ودينه، ولقد أحسن القائل:

«لا يعرف الحلم إلاَّ ساعة الغضب».

وقال عليُّ بن ثابت:

العقل آفته الإعجاب والغضب
والمال آفته التَّبذير والنَّهب

وقال أبو العتاهية:

ولم أر في الأعداء حين خبرتهم
عدوًّا لعقل المرء أعدى من الغضب

وكلُّ هؤلاء إنَّما حاموا ودندنوا حول معنى هذا الحديث، وكان رسول الله ﷺ قد أوتي جوامع الكلم»[4].

قال ابن رجب: «فهذا الرَّجل طلب من النَّبيِّ ﷺ أن يوصيه وصيَّة وجيزةً جامعةً لخصال الخير، ليحفظها عنه خشية أن لا يحفظها لكثرتها، فوصَّاه النَّبيُّ ﷺ أن لا يغضب، ثمَّ ردَّد هذه المسألة عليه مرارًا [يلتمس أنفع من ذلك، أو أبلغ، أو أعمَّ، فلم يزده في الوصيَّة على «لا تغضب»]، فهذا يدلُّ على أنَّ الغضب جماع الشَّرِّ، وأنَّ التَّحرُّز منه جماع الخير»[5]

لهذا روى الإمام أحمد[6] عن رجل من أصحاب النَّبيِّ ﷺ قال: قال رجل يا رسول الله أوصني قال: «لَا تَغْضَبْ».

(3) «الثَّمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني» (386. 387).

(4) «التَّمهيد» (7/250).

(5) «جامع العلوم والحكم» (ص360) وما بين الحاصرتين من «فتح الباري» لابن حجر (10/519).

(6) (23171) وصحَّحه الألباني في «صحيح التَّرغيب».

قال: ففكرت حين قال رسول الله ﷺ ما قال فإذا الغضب يجمع الشَّرَّ كلَّه..

قال جعفر بن محمَّد: «الغضب مفتاح كلِّ شرٍّ»[7].

قال النَّووي: «الغضب من نزغات الشَّيطان، ولهذا يخرج به الإنسان عن اعتدال حاله ويتكلَّم بالباطل ويفعل المذموم وينوي الحقد والبغض، وغير ذلك من القبائح المترتِّبة على الغضب»[8].

وقال بعض العلماء: «ويترتَّب على الغضب تغيُّر الظَّاهر والباطن كتغيُّر اللَّون، والرِّعدة في الأطراف، وخروج الأفعال عن غير ترتيب، واستحالة الخلقة، حتَّى لو رأى الغضبان نفسه في حال غضبه لكان غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته، هذا كلُّه في الظَّاهر.

وأمَّا الباطن فقبحه أشدُّ من الظَّاهر لأنَّه يولِّد الحقد في القلب والحسد، وإضمار السُّوء على اختلاف أنواعه، بل أوَّل شيء يقبح منه باطنُه، وتغيُّر ظاهره ثمرة تغيُّر باطنه، وهذا كلُّه أثره في الجسد.

وأمَّا أثره في اللِّسان فانطلاقه بالشَّتم والفحش الَّذي يستحي منه العاقل، ويندم قائله عند سكون الغضب.

ويظهر أثر الغضب أيضًا في الفعل بالضَّرب والقتل، وإن فات ذلك بهرب المغضوب عليه رجع إلى نفسه فيمزِّق ثوب نفسه، ويلطم خدَّه، وربَّما سقط صريعًا، وربَّما أُغمِيَ عليه، وربَّما كسر الآنية وضرب من ليس له في ذلك جريمة.

ومن تأمَّل هذه المفاسد عرف مقدار ما اشتملت عليه هذه الكلمة اللَّطيفة من قوله ﷺ: «لاَ تَغْضَبْ» من الحكمة واستجلاب المصلحة، ودرء المفسدة ممَّا يتعذَّر إحصاؤه والوقوف على نهايته»[9].

□ قوله ﷺ: «لاَ تَغْضَبْ» يحتمل أمرين:

. أحدهما: أن يكون مراده الأمرَ بالأسباب الَّتي توجب حسن الخلق من الكرم والسَّخاء والحلم والحياء والتَّواضع والاحتمال وكفِّ الأذى، والصَّفح والعفو، وكظم الغيظ، والطَّلاقة والبِشر، ونحو ذلك من الأخلاق الجميلة، فإنَّ النَّفس إذا تخلَّقت بهذه الأخلاق وصارت لها عادة أوجب لها ذلك دفع الغضب عند حصول أسبابه[10].

فإنَّ الأمر بالشَّيء أمر به، وبما لا يتمُّ إلاَّ به، والنَّهي عن الشَّيء أمر بضدِّه، وأمر بفعل الأسباب الَّتي تعين العبد على اجتناب المنهيِّ عنه وهذا منه[11].

. والثَّاني: أن يكون المراد: لا تعمل بمقتضى الغضب إذا حصل لك، بل جاهد نفسك على ترك تنفيذه والعمل بما يأمر به، فإنَّ الغضب إذا ملك ابن آدم كان كالآمر والنَّاهي له، ولهذا المعنى قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾[12] [الأعراف: 154].

فعليه إذا غضب أن يمنع نفسه من الأقوال والأفعال المحرَّمة الَّتي يقتضيها الغضب.

فمتى منع نفسه من فعل آثار الغضب الضَّارَّة، فكأنَّه في الحقيقة لم يغضب وبهذا يكون العبد كامل القوَّة العقليَّة، والقوَّة القلبيَّة، كما قال النَّبيُّ ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»[13].

والصُّرعة: الَّذي يصرع النَّاس ويكثر منه ذلك، «فأراد عليه السَّلام أنَّ الَّذي يقوى على ملك نفسه عند الغضب، ويردُّها عنه هو القويُّ الشَّديد والنِّهاية في الشِّدَّة، لغلبته هواه المردي الَّذي زيَّنه له الشَّيطان المغوي، فهذا هو الفاضل الممدوح الَّذي قلَّ من يقدر على التَّخلُّق بخلقه ومشاركته في فضيلته.

فدلَّ هذا أنَّ مجاهدة النَّفس أشدُّ من مجاهدة العدوِّ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ جعل للَّذي يملك نفسه عند الغضب من القوَّة والشِّدَّة ما ليس للَّذي يغلب النَّاس ويصرعهم»[14].

□ وكان النَّبيُّ ﷺ يأمر من غضب بتعاطي الأسباب الَّتي تدفع عنه الغضب وتسكِّنه، فمن ذلك:

1. أن يستعيذ بالله فإنَّ ذلك سبب لزوال غضبه؛ لأنَّ الغضب للنَّفس من نزغات الشَّيطان قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت].

وفي الصَّحيحين[15] عن سليمان ابن صُرَد قال: استبَّ رجلان عند النَّبيِّ ﷺ ونحن عنده جلوس أحدهما يسبُّ صاحبه مغضبًا قد احمرَّ وجهه فقال النَّبيُّ ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ».

وروى ابن عدي[16] عن أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِذَا غَضِبَ الرَّجُلُ

(7) «جامع العلوم والحكم» (ص362).
(8) «شرح مسلم للنَّووي» (162/16).
(9) «فتح الباري» لابن حجر (521-520/10).
(10) «جامع العلوم والحكم» (ص364).
(11) «بهجة قلوب الأبرار» للسَّعدي (ص163).
(12) «جامع العلوم والحكم» (ص364).
(13) «بهجة قلوب الأبرار» (ص163).
(14) «شرح مسلم للنَّووي» (162/16)، «شرح البخاري» لابن بطَّال (296/9).
(15) البخاري (6048)، مسلم (2610).
(16) «الكامل» (297/1) وصحَّحه الألباني في «السِّلسلة الصَّحيحة» (1376).

فَقَالَ أَعُوذُ بِاللهِ سَكَنَ غَضَبُهُ».

وقد حكي عن بعض السَّلف أنَّه قال لتلميذه: ما تصنع بالشَّيطان إذا سوَّل لك الخطايا؟ قال: أجاهده قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده قال: هذا يطول، أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها ومنعك من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده وأردُّه جهدي قال: هذا يطول عليك، ولكن استغث بصاحب الغنم يكفَّه عنك[17].

2. أن يسكت ولا يتكلَّم: روى البخاريُّ في «الأدب المفرد» (245) عن ابن عبَّاس أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «عَلِّمُوا وَيَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ».

قال ابن رجب: «وهذا أيضا دواء عظيم للغضب؛ لأنَّ الغضبان يصدر منه في حال غضبه من القول ما يندم عليه في حال زوال غضبه كثيرًا من السِّباب وغيره ممَّا يعظم ضرره، فإذا سكت زال هذا الشَّرُّ كلُّه عنه، وما أحسن قول مُوَرِّق العجلي: «ما امتلأت غيظًا قطُّ ولا تكلَّمت في غضب قطُّ بما أندم عليه إذا رضيت»[18].

3. التَّباعد عن حالة الانتقام: روى أبو داود (4782) من حديث أبي ذرٍّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الغَضَبُ وَإِلاَّ فَلْيَضْطَجِعْ».

وهذا لأنَّ القائمَ متهيِّئ للحركة والبطش، والقاعد دونه في هذا المعنى والمضطجع ممنوع منهما[19].

4. وممَّا يعين على ترك الغضب: استحضار ما جاء في كظم الغيظ من الفضل، وما جاء في عاقبة الغضب من الوعيد[20].

روى ابن ماجه[21] عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ».

وروى أبو داود[22] عن معاذ بن أنس أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُؤُوسِ الخَلاَئِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللهُ مِنَ الحُورِ العِينِ مَا شَاءَ».

وروى الطَّبرانيُّ[23] عن ابن عمر أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «..وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ القِيَامَةِ».

يقال: كظم غيظه يكظمه ردَّه وحبسه[24]، وكظمت السِّقاء أي ملأته وسددت عليه[25].

والكظيم والكاظم الَّذي قد امتلأ غيظًا وغضبًا وكظم عليه وتجرَّعه وردَّه وحبسه فلم يخرجه أي ردَّه في جوفه ولم يظهره[26].

قيل لبعض السَّلف: أو ما تغضب؟ فقال: وما يغني عنِّي سعة جوفي إذا لم أردِّد فيه الغضب حتَّى لا يظهر[27].

5. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنَّه سأل رسول الله ﷺ ماذا يباعدني من غضب الله عزَّ وجلَّ قال: «لاَ تَغْضَبْ»[28].

وقال أبو الدَّرداء: أقرب ما يكون العبد إلى غضب الرَّبِّ عز وجل إذا غضب[29].

والواجب على المؤمن أن يكون غضبه لله لا لنفسه وهكذا كان هدي نبيِّنا ﷺ فإنَّه كان لا ينتقم لنفسه، ولكن إذا انتهكت حرمات الله غَضبَ لله ولم يضربْ بيده خادمًا ولا امرأةً إلاَّ أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيءٌ قطُّ فينتقم من صاحبه إلاَّ أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عزَّ وجلَّ.

ولمَّا بلغه قول الخارجي في قسمة قسمها: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، شقَّ ذلك عليه وتغيَّر وجهه وغضب، ولم يزد على أن قال: «قَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»[30].

وكان ﷺ إذا رأى أو سمع ما يكرهه الله غضب لذلك، وقال فيه ولم يسكت، وقد دخل بيت عائشة فرأى سترًا فيه تصاوير فتغيَّر وجهه وهتكه وقال: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ»[31].

وسئلت عائشة عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: «كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ»[32] تعني أنَّه كان يتأدَّب بآدابه، ويتخلَّق بأخلاقه، فما مدحه القرآن كان فيه رضاه، وما ذمَّه القرآن كان فيه سخطه.

❁❁❁

(17) «تفسير القرطبي» (348/7).
(18) «جامع العلوم والحكم» (ص366).
(19) «كشف مشكل الصَّحيحَيْن» لابن الجوزي (540/3).
(20) «الفتح» (521/10).
(21) (4189) وصحَّحه الألباني.
(22) (4777) وحسَّنه الألباني.
(23) «الكبير» (13646) وحسَّنه الألباني في «الصَّحيحة» (906).
(24) «القاموس المحيط» (279/3).
(25) «تفسير القرطبي» (206/4).
(26) «عدة الصَّابرين» (24) بتصرُّف.
(27) «جامع العلوم والحكم» (ص366).
(28) رواه أحمد (6635) وحسَّنه الألباني في «صحيح الترغيب».
(29) «المجالسة وجواهر العلم» للدِّينَوَرِي (1444).
(30) رواه البخاري (3150).
(31) رواه البخاري (5954).
(32) رواه مسلم (746).



أ.د.محمد علي فركوس
أستاذ بكلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر

كيفيَّةُ استيفاء المال المأخوذ ظلمًا

السُّؤال:

رجلٌ استأجر أُجَراءَ ليُنْجِزوا له عملاً ثمَّ لم يُوَفِّهم حقَّهم، فهل يجوز لهم أخذُ حقِّهم بالقوَّة إن استطاعوا أو يأخذونه خُفيةً إن كانوا ضعفاءَ، ومن إخواننا من خرَّج هذا الصنيعَ على حديث هندٍ عندما شكَتْ زوجَها إلى رسولِ ﷺ ونَسَب ذلك إلى ابنِ حزمٍ -رحمه الله- وشكرًا.

الجواب:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على مَنْ أرسلَه اللهُ رحمةً للعالمين، وعلى آله وصَحبِه وإخوانِه إلى يوم الدِّين، أمَّا بعدُ:

فإنَّ ما تضمَّنه فحوى السؤال يُعرَفُ بمسألة الظَّفَر، وللعلماء فيها أقوالٌ، والجمهورُ على استحبابِ عدم مجازاة مَنْ أساء بالإساءة لحديث أبي هريرةَ رضي الله عنه: قال رسولُ الله ﷺ: «أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»[1]، والحاملُ على القول بالاستحبابِ آياتٌ تدلُّ على جواز مجازاة السيئة بمثلها، كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى: 40]، ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ﴾ [النحل: 126]، وغيرها.

والرَّأيُ المعتبَرُ في هذه المسألة القولُ بوجوب الأخذِ قدْرَ حقِّه من مالِ ظَفِرَ به عند ظالم سواء كان من جنسِ ما أُخِذَ منه أو مِن غيره مع إنصافِ المظلوم الظَّالم، وذلك باستيفاء حقِّه بعد البيعِ فما زاد عن حقِّه ردَّه له أو لورثته، وإن كان دون حقِّه بقي مطلوبًا في ذمَّة الظَّالم، ولا يخرج عن هذا الحكم إلاَّ بالتحليلِ والإبراء.

والمعتمدُ في ذلك قولُه تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ۝٤١﴾ [سورة الشورى]، وقولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ۝٣٩﴾ [سورة الشورى]، وقولُه تعالى: ﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞ﴾ [البقرة: 194]، وقولُه عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: 194]، أمَّا من الحديث فبقوله ﷺ لهند زوجة أبي سفيان: «خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالمَعْرُوفِ»[2] لحقِّها في النَّفقة، ولما رواه البخاري: «إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأَمَرُوا لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ»[3].

هذا، وحديثُ أبي هريرةَ المتقدِّم: «وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ» فعَلَى تقدير صحَّته فلا وجهَ للاحتجاج به في مثل هذه المسألة؛ لأنَّه لا يُعَدُّ انتصافُ المرء خيانةً بل هو حقٌّ وواجبٌ وإنَّما الخيانةُ أن يخونَ بالظُّلم والباطل من لا حقَّ له عنده، كذا قرَّره ابنُ حزم الظَّاهري وتبعه الصَّنعاني فقال: «ويؤيِّدُ ما ذهب إليه حديث: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»[4]، فإنَّ الأمرَ ظاهرٌ في الإيجاب ونصرُ الظَّالم بإخراجه عن الظُّلم وذلك بأخذِ ما في يدِه لغيره ظلمًا»[5].

قلتُ: وهذا كلُّه فيما إذا لم يترتَّبْ على استيفاءِ حقِّهم بهذا الطَّريقِ مفسدةٌ مساويةٌ للمصلحة المرادِ تحقيقُها أو أقوى منها، فإنْ ترتَّب على فعلهم مفسدةٌ فلا يجوز عملاً بقاعدة: «دَرْءُ المَفَاسِدِ أَوْلَى مِنْ جَلْبِ المَصَالِحِ».

والعلم عند الله تعالى.

(1) أخرجه التِّرمذي (1264)، وأبو داود (3535)، والدَّارمي (2652)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والحديث صحَّحه الألباني في «الصَّحيحة» (424).

(2) أخرجه البخاري (5364)، ومسلم (4574) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(3) أخرجه البخاري (2461)، ومسلم (4613)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(4) أخرجه البخاري (2443)، من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه، ومسلم (6747)، من حديث جابر رضي الله عنه.

(5) «سبل السَّلام» للصَّنعاني (3/69).

في حكمِ مَنْ وَجَدَ مبيعَه المسروقَ عند مَنِ اشتراه مِنَ السَّارق



■ **السُّؤال:**

ما حكمُ مَنْ وَجَدَ مبيعَه المسروقَ عند مَنِ اشتراه مِنَ السَّارق؟ وهل يجوز له أَخْذُه منه، أم يجب عليه اتِّباعُ السَّارق؟ أفيدونا جزاكُمُ الله خيرًا.

■■■

■ **الجواب:**

ففي تقديري أنَّه يجب التَّفريقُ ـ في هذه المسألة ـ بين حالةِ العلم وتهمةِ التَّورُّط، وبين حالةِ عدمِ العلم وانتفاءِ التُّهمة:

ففي حالة العلم بأنَّ المالَ مسروقٌ واشتراه شخصٌ مِنَ السَّارق أو الغاصب، فإنَّ صاحبَ المال إنْ وَجَدَ مالَه عند مَن اشتراه مِنَ السَّارق فهو أَحَقُّ بعينِ ماله، وعلى المشتري مُلاحَقةُ المعتدي عند القاضي؛ بناءً على سوءِ نيَّةِ المشتري واتِّهامه بالتُّورُّط في عقدٍ منهيٍّ عنه شرعًا، وذلك عملاً بحديثِ سَمُرَةَ رضي الله عنه: «مَنْ وَجَدَ عَيْنَ مَالِهِ عِنْدَ رَجُلٍ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ، وَيَتَّبِعُ البَيِّعُ مَنْ بَاعَهُ»[6]، ويُؤيِّده ما كَتَبَ الخليفةُ معاويةُ رضي الله عنه إلى مروانَ: «أَيُّمَا رَجُلٍ سُرِقَ مِنْه سَرِقَةٌ فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا حَيْثُ وَجَدَهَا»[7].

أمَّا في حالة عدم العلم بأنَّ المالَ مسروقٌ واشتراهُ مِنَ السَّارق حملاً له على الصَّلاح، فلِصاحبِ المالِ التَّخييرُ بين أمرَيْن وهُما:

1. أنْ يأخذَ مالَه بثمن.
2. أو مُتابعةُ السَّارقِ ومُلاحَقتُه قضائيًّا.

وتقرَّرَ التخييرُ ـ خلافًا للحالةِ الأولى ـ بناءً على حُسْنِ نيَّةِ المشتري وعدمِ اتِّهامه، ويدلُّ على هذا التَّخيير ـ بهذا المعنى ـ حديثُ أُسَيْدِ بن ظُهَيْرٍ الأنصاري رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا كَانَ الَّذِي ابْتَاعَهَا مِنَ الَّذِي سَرَقَهَا غَيْرَ مُتَّهَمٍ يُخَيَّرُ سَيِّدُهَا: فَإِنْ شَاءَ أَخَذَ الَّذِي سُرِقَ مِنْهُ بِثَمَنِهَا، وَإِنْ شَاءَ اتَّبَعَ سَارِقَهُ»، ويشهد له قضاءُ الخُلَفاءِ الرَّاشدين.

وحديثُ سَمُرَةَ رضي الله عنه وإنْ أَعَلَّه الشَّيخُ محمَّد ناصرُ الدينِ الألباني ـ كما بيَّنه في التَّعليق على «المشكاة» ـ ومَنَعَ صلاحيتَه لمُعارَضة حديث أُسَيْد رضي الله عنه ـ على ما ذَكَرَهُ في «سلسلة الأحاديث الصَّحيحة»[8] ـ إلاَّ أنَّ التَّعارُض بين الحديثَيْن ـ في تقديري ـ ينتفي إذا حُمِلَ الحديثُ الأوَّلُ على حالة الاتِّهام وسوءِ النِّيَّة، وحُمِلَ الثَّاني على حالةِ عدمِ الاتِّهام وحُسْنِ النيَّة، وينتفي التَّعارُضُ ـ أيضًا ـ بين قضاءِ الخُلَفاءِ الرَّاشدين وحديثِ أُسَيْدِ بنِ ظُهَيْر، وبين قضاءِ معاويةَ بنِ أبي سفيانَ ـ الَّذي صحَّحه الشَّيخُ الألباني نَفْسُه ـ إذا ما تمَّ الحملُ على الحالتَيْن السَّابقتَيْن، هذا ما ظَهَرَ لي في هذه المسألة.

والعلم عند الله تعالى،

❁❁❁

---

(6) أخرجه أبو داود (3531)، والنَّسائي (4681)، وابنُ ماجه (2331)، من حديث سَمُرَةَ بن جندب رضي الله عنه، وقال الألباني في «الضَّعيفة» (2061): «مُنْكَرٌ بهذا اللَّفظ».

(7) أخرجه النَّسائي (4680)، وعبد الرَّزَّاق في «مُصنَّفه» (18829)، من حديث أُسَيْد ابنِ ظُهَيْرٍ الأنصاريِّ رضي الله عنهما، وقد وَرَدَ عند النَّسائي وغيرِه بلفظ: «حُضَيْر» وهو وهمٌ مِنْ بعض الرُّواة كما بيَّنه أهلُ العلم بالحديث، وصحَّحه الألباني في «الصَّحيحة» (164/2).

(8) انظر: «الصَّحيحة» (165/2).



ابن مُعط الزَّواوي وجهودهُ النحوية

عمر تشيش
مرحلة الدكتوراه ـ جامعة تلمسان

يُعَدُّ ابن مُعْط الزَّواوي (628هـ) واحدًا من العلماء الجهابذة الَّذين أنجبَتْهم الجزائرُ زمانَ المُوَحِّدين، فهو مبرِّزٌ في غير ما فنٍّ؛ جمَعَ إلى النَّحو فقهًا بالشَّريعة، وكان شاعرًا مُجيدًا مُقتدرًا على النَّظْم، وخطيبًا مُفوَّهًا، فضلًا عن علمه بالبلاغة والأدب، بَيْدَ أنَّ نَزعَتَه النَّحويَّةَ غَلبتْ عليه؛ ويظهر ذلك من كثرة مُصنَّفاته النَّحويَّة الَّتي أَخَذَتْ القسطَ الأَوْفَر من إنتاجه العلمي، حتَّى عُرِفَ بالنَّحو أكثَرَ من غيره من العلوم، فوَصَفه الذَّهبي ـ مثلًا ـ بأنَّه «العلاَّمة شيخُ النَّحو»[1].

ولا أَدَلَّ على نبوغ ابن مُعط في علم النَّحو وجهوده الَّتي لا تُنْكَر فيه من أنَّه صاحبُ أوَّل منظومة ألفيَّة في هذا الفنّ، وهي المُسمَّاة «الدُّرَّة الأَلْفيَّة في علْم العَرَبيَّة»، وهي الَّتي كان ابنُ مالك الأندلسي يُدرِّسُها تلامذتَه قبل أن يَنسُجَ على منوالها أَلفيَّتَه الشَّهيرةَ.

فمن هو ابنُ مُعْط الزَّواوي؟ وإلى أيِّ مدى أَسْهَمَ في خدمة النَّحو العربي؟

(1) «سير أعلام النُّبلاء» (324/22).

أوَّلًا: ترجمة ابن معطٍ الزَّواوي

هو زين الدِّين أبو الحسين يحيى ابنُ عبد المُعطي بن عبد النُّور الزَّواوي المغربي الحنفي النَّحوي[2]، المعروف بابن مُعط[3]، وُلِدَ في قرية إفْرَاوْسَنْ بجبال جرجرة ببجاية سنة أربع وستِّين وخمسمائة من الهجرة (564هـ)[4].

وإذا كانت الكُتُبُ الَّتي تَرجَمَتْ له لم تَذكُرْ تفاصيلَ نشأته، فإنَّه ما من شكٍّ أنَّ ابنَ مُعْط نَشَأَ نشأةً جادَّةً بمَسقط رأسه مُقبلًا على صنوف العِلم والمعرفة؛ فقد كانت بجاية من أبرز الحواضر العلميَّة زمانَ المُوحِّدين، وتُعَدُّ زْوَاوَة[5] الَّتي يُنسَبُ إليها ابنُ مُعْط مدرسةً هامَّةً لعلم النَّحو.

○ ويُرجَّح أنَّه تَلْمَذَ بها للجزولي شيخه المباشر الَّذي أقام مُدَّةً ببجاية والنَّاسُ يَشتَغِلُون عليه، فانتفع به خَلقٌ كثيرٌ[6].

ويظهر أنَّ ابنَ مُعْط لم يَطُل به المُقامُ ببجاية؛ إذ وَجَّه رِكَابَهُ نحو الشَّام، ويَدُلُّ على سَفره المُبكِّر هذا أنَّه نَظَمَ ألفيَّته النَّحويَّةَ بدمشق وفرغ منها وهو ابن إحدى وثلاثين سنة[7]، وبدمشق دَرَسَ على التَّاج الكندي وابن عساكر، وبها أقام طويلًا يُقرئُ النَّاسَ النَّحوَ والأدبَ، كما اتَّصلَ بالملك الأيُّوبي عيسى ابن مُحمَّد سلطان الشَّام الَّذي أكرمه وولاَّه النَّظرَ في مصالح المساجد[8]، وبعد وفاته عام أربعة وعشرين وستِّمائة (624هـ) اتَّصل ابنُ مُعْط بالمَلِكِ الكامل سلطان الدَّولة الأيُّوبيَّة بمصر، ولبث بها يتصدَّرُ لتعليم النَّاس النَّحوَ والأدبَ بالجامع العتيق[9] أربع سنوات إلى أن توفَّاه الله بالقاهرة عام ثمانية وعشرين وستِّمائة (628هـ)[10].

○ وقد اشتغل على ابن مُعْط خلقٌ كثيرٌ وانتفعوا به وحملوا عنه العلم،

(2) «بغية الوُعَاة» للسُّيوطي (288/2).
(3) الأصل في الاسم المنقوص أن تُحذَفَ ياؤُه حالَ التَّنكير، لكن يجوز إثباتُها في الرَّفع والجرّ، وقد ورد ذلك كثيرًا في أسلوب الإمام الشَّافعي رحمه الله، وكلامُه في اللُّغة حجَّةٌ كما ذكر السُّيوطي، ينظر: «الاقتراح في علم أصول النَّحو» (ص48)، على أنَّ صاحبَ التَّرجمَة نفسَه كان يَكتُبُ اسمَه «ابن معط».
(4) «أعلام الفكر والثَّقافة في الجزائر المحروسة» ليحيى بوعزيز (288/1).
(5) هي مَنطِقَةُ القبائل بأرض الجزائر الطَّيِّبَة.

(6) «وفيات الأعيان» لابن خلِّكان (489/3).
(7) مُقدِّمة «الفصول الخمسون» لمحمود محمَّد الطَّنَّاحي (ص13).
(8) المرجع نفسُه (ص19).
(9) «مُعجَمُ الأدباء» لياقوت الحموي (2831/3).
(10) «إنباه الرُّواة» للقفطي (44/4).

ومن أبرز تلامذتـه: أبو بكر بنُ عمر بن عليٍّ بن سـالم الَّذي أخذ عنـه العربيَّةَ، وعـزُّ الدِّيـن أبو إسـحاق إبراهيـم ابنُ مُحمَّد بن طرخان الأنصـاري الدِّمشقي المعروف بالسُّـويدي الحكيـم، وإبراهيم ابـنُ أبي عبد الله بن إبراهيم بن محمَّد ابن يوسف أبو إسحاق الأنصاري الكاتب المعروف بابن العطَّار[11].

○ وأمَّـا مكانتُـه العلميَّـةُ فمرموقةٌ سَـنيَّةٌ؛ إذ أثنـى عليـه غـيرُ مـا عالـم مُنوِّهًـا بفضلـه في خدمـة العلـم، فهذا مُعاصِـرُهُ ياقـوت الحمـوي يقـول عنه: «فاضـل معاصـر، إمـام في العربيَّـة، أديـب شـاعر»[12]، وذاك ابـنُ خَلِّـكان يُشـيدُ بأنَّـه «كان أحـدَ أئمَّة عصـره في النَّحو واللُّغة»[13]، وعنه يقول السُّـيوطي: «كان إمامًـا مُـبرِّزًا في العربيَّة، شـاعرًا مُحسـنًا»[14]، ويقـول ابـنُ الخبَّـاز أحدُ شُـرَّاح ألفيَّة ابن مُعْط: «كان في العربيَّة نسـيجَ وَحدِه»[15]، ويَصِـفُهُ الذَّهبي بأنَّه «العلاَّمةُ شيخُ النَّحو».

وتجـدُرُ الإشـارةُ إلى أنَّ رِحلَـةَ ابـن مُعْـط وتعدُّدَ مَشـاربه العلميَّـة أثَّرتْ في مذهبِـه الفقهي؛ فـكان مالكيًّا بالمغرب، شافعيًّا بدمشق، حنفيًّا بمصر[16].

ثانيًا: جهود ابنِ مُعطِ النَّحويَّة

إنَّ جهودَ ابن مُعط النَّحويَّةَ لتتَّضِحُ جليَّةً من مُؤلَّفاتـه الكثيرة في هذا العلم فضـلاً عـن مُصـنَّفاته في فنـون أخرى لغويَّـة ودينيَّـة[17]؛ إذ ألَّـفَ في البلاغـة واللُّغـة والقـراءات، ولـه ديـوانُ شـعرٍ وديوانُ خُطَب.

○ **وسأقْصُرُ الحديثَ عمَّا خَلَّفَه لنا في النَّحوِ دون سواه لأنَّـه المُرادُ من هذا البحث:**

1. **«الألفيَّة»**: واسمها الكامل «الدُّرَّةُ الألفيَّـةُ في علم العربيَّـة»، وهي منظومةٌ نحويَّـةٌ تقـع في واحـد وعشـرين وألـف بيت[18] ولعلَّها أبـرزُ ما أنْتَجَه ابنُ مُعْط، والسَّببُ الأكبر الَّذي اشتهر به، وسأرجئُ الحديثَ عنها - بشيءٍ من التَّفصيل - إلى المبحث الموالي.

2. **«الفصـول الخمسون»**: وهو كتابٌ نحويٌّ تعليميٌّ سَلَكَ فيه ابنُ مُعط مَسلَكًا لعلَّه أوَّلُ من اسـتَحْدَثَه؛ إذ قسَّـمَ رؤوسَ المسـائل إلى أبواب، وتحـت كلِّ باب تقع عدَّةُ فصـول، بحيث وصل عددُ الفصول إلى خمسين فصـلاً، وفي ذلك يقول ابنُ مُعط: «فـإنَّ غَرَضَ المبتـدئ الرَّاغب في علمِ الإعراب حَصَرْتُه في خمسين فصلاً يشـتمل عليها خمسـةُ أبواب»[19]، ويرى محمـود الطَّناحـي أنَّ هـذا الكتاب بما حواه من مسائل، وما تضمَّنَه من قواعدَ وشـواهدَ وتعليـلات، إنَّمـا يُلبِّـي حاجةَ المبتـدئ والمنتهي علـى حدٍّ السَّـواء، بل هو أقرب إلى مسـتوى المُتقدِّمين منه إلى مستوى المُبتَدئين[20].

3. **«شـرح المُقدِّمـة الجزوليَّة»**: وهي مُقدِّمَةٌ في النَّحو أَصلُها حواش وضـعَها الجَـزُوليُّ علـى «جُمَـلِ الزَّجَّاجـي» ثـمَّ أفرَدَها في كتاب، فجاءت عسـيرةَ المنال مُغلَقَـةً لا يفهمها إلاَّ كبـارُ العلماء، ممَّا دفع ابنَ مُعط إلى شـرح مُقدِّمَة شيخه، وتيسـيرها لطُلاَّب النَّحـو، وقد نقل عن هذا الشَّـرح السُّيوطي في كتابه «الأشباه والنَّظائر»، وياسين العليمي في «حاشيته على التَّصريح»[21].

4. **«العقود والقوانين في النَّحو»**.

5. **«شرح الجُمَل في النَّحو»** للزَّجَّاجي.

6. **«شرح أبيات سيبويه»**، وهو نظم.

7. **«حواش على أصول ابن السَّرَّاج»**.

على أنَّه لم يَصِلْنَا من مُصنَّفاتِه كلِّها سـوى «الألفيَّة» و«الفصـول الخمسـون»، فضلاً عن مَنظومَته في علم البديع؛ فأمَّا «الألفيَّة» فقد نشرها المستشرق السُّوَيْدي زتسـترين بليبزج سـنة (1900م)، وأمَّا «الفصـول الخمسـون» فقد عُنِيَ الأستاذ محمود الطَّنَّاحي بدراسته وتحقيقه، ونال به درجة الماجستير في النَّحو من كُلِّيَّة دار العلوم بالقاهرة عام (1972م)[22].

وبتأمُّـل عناويـن مُؤلَّفاتـه النَّحويَّـة السَّـابقة، يظهـر أنَّ ابنَ مُعـط قد خَدَمَ هذا العلم خدمةً جليلةً، فهو يُؤلِّفُ ابتداءً نَظمًـا ونـثرًا، ويَشـرَح مؤلَّفَـات العلماء تارةً، ويُعلِّقُ الحواشـيَ تارةً أخرى، وهذا إن دلَّ علـى شـيء فإنَّمـا يـدُلُّ على علوِّ كَعبه في النَّحو، وتمكُّنه من ناصيَته.

وبالإضافة إلى ما أَنتَجَهُ ابنُ مُعْط في حَقلِ النَّحو، تكشـف لنا مُؤلَّفاتُه الأخرى عن شَخصـيَّته المُولَعَة بالعربيَّة، وعنايَته الواضـحة بالنَّظم التَّعليمي، والَّذي كان في حياته إمامَه غيرَ مُدافَع[23].

(11) مُقدِّمَة «الفصول الخمسون» (ص20).

(12) «مُعجَم الأدباء» (2831/3).

(13) «وفيات الأعيان» (197/6).

(14) «بغية الوُعَاة» للسُّيوطي (288/2).

(15) نقـلاً عن: مُقدِّمَة «الفصـول الخمسـون» لمحمود الطَّنَّاحي (ص21).

(16) مُقدِّمة «الفصول الخمسون» (ص23).

(17) «مُعجَـم أعـلام الجزائـر» لعـادل نويهض (ص167 - 168).

(18) «تاريخ الأدب العربي» لعمر فَرُّوخ (664/5).

(19) «الفصول الخمسون» (ص149).

(20) مُقدِّمة «الفصول الخمسون» (ص89).

(21) «شـرح ألفيَّة ابن معطي» لعلي موسـى الشُّوملي. (31/1).

(22) مُقدِّمة «الفصول الخمسون» (ص27).

(23) «الشِّـعر التَّعليمـي في الأدب الجزائـري القديم علـى عهـد المُوحِّديـن» مُذكِّـرَة ماجسـتير لعبد الرَّحمن عبَّان (ص82).

ثالثًا: خصائص ألفيَّة ابنِ مُعْطِ النَّحويَّة

لعلَّ ألفيَّةَ ابنِ مالك النَّحويَّةَ هي أشهَرُ ما أُلِّفَ في هذا الفنِّ إلى زماننا، على أنَّ مُؤلِّفَها ليس رائدًا في هذا المجال، فقد سبقه ابنُ مُعْطٍ بألفيَّته المعروفة بـ«الدُّرَّة الألفيَّة في علم العربيَّة».

وإذا كان ابنُ مُعْطٍ هو أوَّلُ من سَمَّى منظومَتَه بالألفيَّة لوقوعها في ألفٍ وواحد وعشرين بيتًا؛ فإنَّه - هو الآخر - ليس أوَّلَ مَنْ صَنَّفَ أرجوزةً يفوق عَددُ أبياتها ألفَ بيت؛ فقد ذكر السُّيوطي في «الأشباه والنَّظائر» نقلاً عن أبي حَيَّان أنَّ أحمد ابنَ مَنصُور اليَشْكُري (370هـ) نَظَمَ أرجوزةً في النَّحو، عِدَّتُها ثلاثةُ آلاف بيت إلاَّ تسعين بيتًا، احتوت على نظم سهل وعلم جَمٍّ[24]، وربَّما كانت أوَّلَ أرجوزة مُطوَّلة نُظِمَتْ في علم النَّحو.

○ **وفيما يلي رَصدٌ للخصائص العامَّة الَّتي تميَّزَتْ بها ألفيَّةُ ابنِ مُعْطٍ، مع مُقارنَتها بألفيَّة ابن مالك الَّتي تُعدُّ النَّموذَجَ القياسي للألفيَّات النَّحويَّة:**

1. يُعدُّ ابنُ مُعْطٍ - كما ذَكرْتُ آنفًا - أوَّلَ مَنْ نَظَمَ ألفيَّةً في النَّحو، وعددُ أبياتها ألفٌ وواحدٌ وعشرون بيتًا، وهو أوَّلُ من استعمل هذه التَّسمية، ذكر ذلك في خاتمة نظمه قائلاً:

هَذَا تَمَامُ الدُّرَّةِ الأَلْفيَّه
تَحْوِيهِ أَشْعَارُهُمُ المَرْوِيَّه

وقد فتح ابنُ مُعْطٍ البابَ أمام الَّذين أَتَوْا مِنْ بَعدِه لِيُؤَلِّفوا على مِنوَاله ألفيَّات في النَّحو، ومن أشهَرهم ابنُ مالك (672هـ)، والآثاري (828هـ)، والسُّيوطي (911هـ)، ويكفي أن نَذكُرَ أنَّ ابنَ مَالك قد عَرَفَ لابن مُعْط حقَّه فأشاد به[25] في مُقدِّمَة ألفيَّته حيث قال:

وَتَقْتَضِي رِضًى بِغَيْرِ سُخْطِ
فَائِقَةً أَلْفِيَّةَ ابْنِ مُعْطِ
وَهْوَ بِسَبْقٍ حَائِزٌ تَفْضِيلاً
مُسْتَوْجِبٌ ثَنَائِيَ الجَمِيلاَ

2. حَظِيَتْ ألفيَّةُ ابن مُعْط بشُهرَة واسعة أوَّلَ الأمر، وتلقَّاها النَّاسُ بالقبول؛ فقَرَؤُوها وأَقْرَؤُوها، ونظموا في مَدحِها، ولا أدلَّ على عُلُوِّ مَكانَتها بين دارسي النَّحو ومُدرِّسيه من أنَّ ابنَ مالك نفسَه كان يُقْرِئُها تلامذتَه قبل أن يَنْظِم ألفيَّتَه[26]، ومن الَّذين أثنَوْا على «الدُّرَّة الألفيَّة في علم العربيَّة» ابنُ الوردي الَّذي قَرَنَها بـ«كتاب سيبويه» إذ يقول إنَّها: «شاهدةٌ لناظمها بإصابة الصَّواب، والتَّفنُّن في الآداب، حتَّى كأنَّ سيبويه ذا الإعراب قال له: يا يحيى خذ الكتاب»[27].

3. وممَّا يدلُّنا كذلك على شهرتها الواسعة كثرةُ شروحها، فقد تعاقب عليها كثيرٌ من العلماء بالشَّرح، أذكر منهم[28]:

- ابنُ الخبَّاز الإربلي الموصلي النَّحوي الضَّرير (673هـ).
- ابنُ الوردي الحلبي (649هـ)، واسمُ شَرحه «ضوء الدُّرَّة».
- سعفص المراغي النَّحوي (666هـ).
- الشَّريشي، محمَّد بنُ أحمد ابن محمَّد بن عبد الله ابن سُجْمان (685هـ)، واسم شرحه «التَّعليقات الوفيَّة بشرح الدُّرَّة الألفيَّة».
- عزُّ الدِّين أبو الفضل عبد العزيز ابن جمعة بن زيد القوَّاس الموصلي (696هـ).
- ابن النَّحويَّة (718هـ).
- أحمد بن محمَّد المرداوي (728هـ).
- الرُّعيني (779هـ).

وبهذه الشُّروح وغيرها أَسهمَتْ ألفيَّةُ ابن مُعْط في نشاط الدَّرس النَّحوي في القَرنَيْن السَّابع والثَّامن الهجريَّيْن.

4. نَظَمَ ابنُ مُعْطٍ ألفيَّتَه النَّحويَّةَ

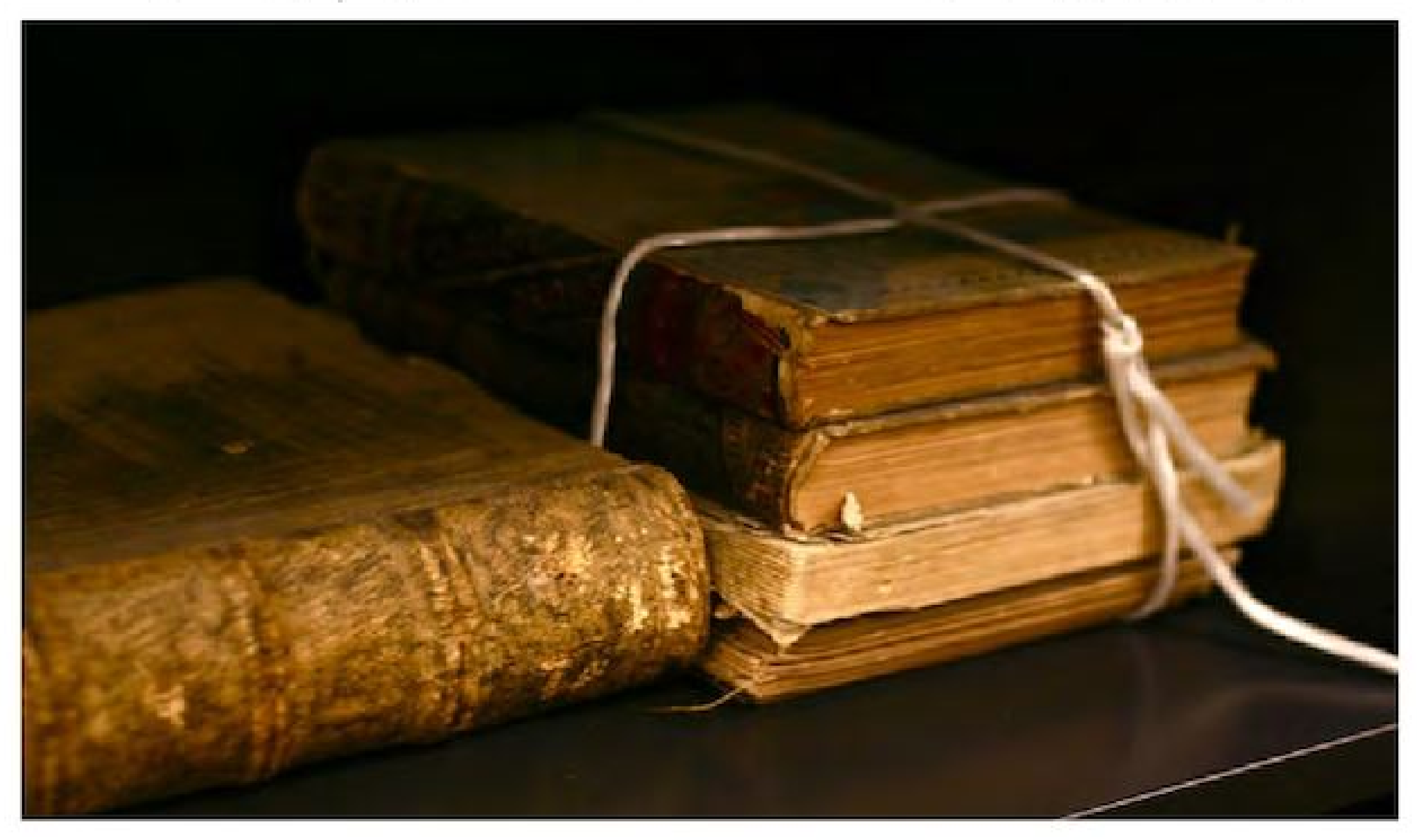
(24) «الأشباه والنَّظائر» (123/1).

(25) مقدِّمة «ألفيَّة ابن مُعْطٍ» لسليمان إبراهيم البلكيمي (ص13).

(26) مقدِّمة «الفصول الخمسون» (ص49).

(27) «تاريخ ابن الوردي». «تتمَّة المختصر في أخبار البشر». لابن الوردي. (232/2).

(28) مُقدِّمَة «ألفيَّة ابن مُعْطٍ» (ص13.15).



ابتداءً على غير منوال معهود وهو في الحادية والثلاثين من عُمُره، فكان: تَعُوزُهُ الخبرةُ، وأمَّا ابنُ مَالك فقد نَظَمَ ألفيَّتَه مُحتَذيًا حذوَ ابن مُعْط، فأفاد من تجربَته، وتدارك نقائصَه فيها، فضلًا عن كونه صَنَّفَها بعد رسوخ قدمه في دراسة النَّحو وتدريسه والتَّأليف فيه، فخبرَتُه به أكبرُ من خبرة ابن مُعْط[29].

5. من أَبْرَز السِّمَات المُمَيِّزَة لألفيَّة ابن مُعْط أنَّه نَظَمَها على بَحْرَيْن اثنين هما الرَّجَزُ والسَّريع، وهذه سُنَّةٌ مُبتَكرةٌ لم تَأْلَفْها العربُ في نَظمها؛ إذ يقول ابنُ القوَّاس: «واعلَمْ أنَّ الطَّريقةَ الَّتي ارتكبها يحيى لم تَسلُكْها العربُ؛ إذ ليس في نَظمها قصيدةٌ من بَحْرَيْن»[30]، واختيار ابن مُعْط هذا يُنبِئُ عن حسٍّ عروضيٍّ مُرهَف، لتقارب البحرَيْن من حيث تفعيلاتهما، ذلك أنَّ تفعيلات الرَّجَز هي:

(مستفعلن - مستفعلن - مستفعِلُنْ) في كلِّ شطر.

وتفعيلات السَّريع (مستفعلن - مستفعلن - مفعولاتُ) في كلِّ شطر.

فليس ثمَّةَ فرقٌ بينهما إلَّا في الوَتَد الأخير؛ إذ هو مجموعٌ في الرَّجَز مفروق في السَّريع، ولذلك فإنَّ مَنْ لا يُحسنُ العَروضَ رُبَّما حسبَ السَّريعَ رَجَزًا كما قال البغدادي في «خزانة الأدب» (213/2).

6. ممَّا يُؤخَذُ على ابن مُعْط أنَّه - من حيث التَّبويب - كان يُدمِجُ المسائلَ الكثيرةَ تحت الباب الواحد، ومردُّ ذلك - كما عرفنا - إلى أنَّه نَسَجَ الألفيَّةَ على

(29) «شرح ألفيَّة ابن معطي» (ص76 - 77).

(30) «الصَّفوة الصَّفيَّة في شرح الدُّرَّة الألفيَّة» للنِّيلي (20/1)، نقلاً عن: «شرح ابن القوَّاس» (اللَّوحة رقم 6).



غير نَمَط مألوف، وعلى عكس ذلك، نجد ابنَ مالك لخبرته بالتَّأليف النَّحوي «يمتاز بتشقيق المسائل وفصلها في أبواب مُنفَصلَة»[31]، بمعنى أنَّ ألفيَّةَ ابن مالك أكثرُ إحكامًا في تبويب موضوعاتها من ألفيَّة ابن مُعْط.

7. أثَّرَ ابنُ مُعْط في ابن مالك تأثيرًا واضحًا من حيث صياغةُ الألفيَّة وأسلوبها؛ فكثيرًا ما يَقتَبِسُ ابنُ مالك شطرًا بعينه من «الدُّرَّة الألفيَّة»، وأحيانًا أخرى يأخذ فكرةَ ابن مُعط ويصوغها بأسلوب قريب من أسلوبه[32]، والأمثلةُ على ذلك عديدةٌ، أذكُرُ منها مثالاً واحدًا وهو قولُ ابن مُعْط في «التَّوابع»:

القَوْلُ فِي تَوَابِعِ الكَلِمِ الأُوَل
نَعْتٌ وَتَوْكِيدٌ وَعَطْفٌ وَبَدَل

فلمَّا نَظَمَ ابنُ مالك بابَ التَّوابع تأثَّرَ بابن مُعْط في صياغة الشَّطرِ الأوَّل،

(31) «شرح ألفيَّة ابن معطي» (ص77).

(32) المرجع نفسُه (ص77).

وأخذ الشَّطرِ الثَّاني منه حرفيًّا فقال:

يَتْبَعُ فِي الإِعْرَابِ الأَسْمَاءَ الأُوَل
نَعْتٌ وَتَوْكِيدٌ وَعَطْفٌ وَبَدَل

وتجدرُ الإشارةُ - مُجدَّدًا - إلى أنَّ ابنَ مالك قد أفاد من ألفيَّة ابن مُعط إفادةً عظيمةً مَكَّنَتْه من أن يَستَدرِكَ هَنَاتها، ولذلك جاء نَظمُه من حيث الموضوع جامعًا للأحكام النَّحويَّة الَّتي أغفلَها ابنُ مُعْط وأمَّا من حيث الأسلوب فلعلَّ التَّفوُّقَ هو إلى جانب ابن مُعْط، وفي ذلك يذهب المَقَّري - وهو من أوائل الَّذين وازنوا بين الألفيَّتَيْن - إلى أنَّ: «نظمه [أي: ابن مالك] أجمع وأوعب، ونظم ابن معطي أسلس وأعذب»[33].

وأمَّا عُمَر فرُّوخ فيرى أنَّ ألفيَّةَ ابن مُعْط جافَّةٌ شديدةُ الإيجاز، لا تُفهَمُ إلَّا بشرح طويل «حيث جمع بين اللَّفظ القليل والمعنى الكثير»[34]، ولعلَّها مُفيدَةٌ لمن يُتقنُ النَّحوَ والصَّرفَ، أمَّا الَّذي يَبتَدئُ تَعلُّمَ النَّحو بحفظها فلا يستطيع أن يستفيد منها ولا من أمثالها شيئًا[35].

8. ألفيَّةُ ابن مُعْط يكثُر فيها الاستشهادُ بالآيات القرآنيَّة والشَّواهد الشِّعريَّة، وهذا قليلٌ في «ألفيَّة ابن مالك»[36]، ومن أمثلة تضمين ابن مُعْط هذه الشَّواهد في «دُرَّته الألفيَّة» ما أورده في باب الحال إذ قال:

وَالحَالُ مَا نُكِّرَ قَبْلَهُ يُحَلّ
كَقَوْلِه: لِمَيَّ مُوحِشًا طَلَل
وَالحَالُ قَدْ تَكُونُ تَأْكِيدًا كَمَا
قَالَ: هُوَ الحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا

فقوله: «لِمَيَّ مُوحِشًا طَلَل» شاهدٌ

(33) «نَفحُ الطِّيب» (232/2).

(34) مُقدِّمَةُ «الفصول الخمسون» (ص21).

(35) «تاريخ الأدب العربي» لعمر فرُّوخ (664/5).

(36) «شرح ألفيَّة ابن مُعطي» (ص79).

نحويٌّ معروفٌ[37]، وقوله: «هُوَ الحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا»[38] شاهد من القرآن الكريم.

9. وممَّا تتميَّزُ به ألفيَّةُ ابنِ مُعْط كذلك أنَّها أَيْسَرُ من ألفيَّة ابنِ مالكٍ في موضوعات عديدة، وأقربُ منها إلى الأساليبِ التَّربويَّة الحديثة في طُرُقِ التَّدريس، ذلك أنَّ ابنَ مُعْط عادةً ما يَنتقِلُ من الكلِّ إلى الجزء، بحيث يذكر القاعدةَ ثمَّ يَنتقِلُ إلى التَّفاصيل. في حين يكثر عند ابنِ مالك التَّطرُّقُ للتَّفاصيل مباشرةً دونما مُقدِّمة[39]؛ ومن الأمثلة على ذلك باب «الاسم»؛ فقد عرَّفه ابنُ مُعْط أوَّلاً بقوله:

فَالاِسْمُ مَا أَبَانَ عَنْ مُسَمَّى

فِي الشَّخْصِ وَالمَعْنَى المُسَمَّى عَمَّا

ثمَّ شرع بعد هذا التَّعريف في ذكر مميِّزاتِ الاسم قائلاً:

فَالاِسْمُ عَرِّفْهُ وَأَخْبِرْ عَنْهُ

وَثَنِّهِ وَاجْمَعْهُ أَوْ نَوِّنْهُ

وَاجْرُرْهُ أَوْ نَادِهِ أَوْ صَغِّرْهُ

وَانْعَتْهُ أَوْ أَنِّثْهُ أَوْ أَضْمِرْهُ

وأمَّا ابنُ مالك فقد طفق يتحدَّثُ عن الاسم مباشرةً دون تعريف، ذاكرًا العلامات الَّتي تميِّزُه في قوله:

بِالجَرِّ وَالتَّنْوِينِ وَالنِّدَا وَأَلْ

وَمُسْنَدٍ لِلاِسْمِ تَمْيِيزٌ حَصَلْ

10. ومن مميِّزات «الدُّرَّة الألفيَّة في علم العربيَّة» قدرةُ صاحبها على صياغة عناوين الأبواب نظمًا؛ إذ يستهلُّ كلَّ بابٍ بعنوانه مُبتدِئًا بعبارة: «القول في...» ثمَّ يأتي بالعنوان[40]، نحو قوله في باب الإعراب والبناء:

القَوْلُ فِي الإِعْرَابِ وَالبِنَاءِ

الأَصْلُ فِي الإِعْرَابِ لِلأَسْمَاءِ

وأمَّا ابنُ مالك فإنَّه يأتي بعناوين الأبواب والفصول نثرًا.

11. ومن الخصائص المميِّزة لألفيَّة ابنِ مُعْط أنَّها اشتملت على مواضيع لم تتناوَلْها ألفيَّةُ ابنِ مالك؛ ومن ذلك قواعد الإملاء، وإدغام الحروف المتقاربة المخارج[41].

12. وأمَّا عن آرائه النَّحويَّة فيذهب بعضُ الدَّارسين لـ«دُرَّته الألفيَّة» إلى أنَّ ابنَ مُعْط قد اختار بعضَها من مذهب البَصريِّين، وانتخب أخرى من مذهب الكوفيِّين، وكان على مذهب البَغْداديِّين في مسائلَ أُخْرَى. على أنَّه لم يكن مُقلِّدًا فقط، بل اجتهد في كثير من المسائل، مُتفرِّدًا بآراء[42] شذَّ فيها عن الجمهور، حتَّى قال بعضُهم عن «ألفيَّته»: «وفي هذه الأرجوزة جوازات شاذَّةٌ لا أعلم إذا كانت من صاحبها أو من النُّسَّاخ»[43].

إنَّ الباحثَ في سيرة ابن مُعْط وآثاره العلميَّة يَجِدُه بحقٍّ عالمًا فذًّا من الطِّرَازِ الأوَّل، قد حباه الله بفهم وذكاء وصبر جميل؛ ويتجلَّى ذلك في قدرته على النَّظم في علوم مختلفة، ولا يقوى على ذلك إلاَّ من تمكَّن من ناصيتها ورسَخَتْ قَدمُه فيها، فضلاً عن تحكُّمه في صَنْعَتَي العروض والقافية.

ومَن يبحث في إنتاج ابن مُعْط العلميِّ يلحظ أنَّ جهودَه لا تُنْكَرُ في خدمة العربيَّة، ولا سيَّما ما تعلَّق بنَحْوِها، ويكفي لاستبانة ذلك إلقاءُ الضَّوء على عناوين مُؤلَّفاته؛ إذ يَظهَرُ بوضوح أنَّ النَّحوَ قد أخذ منها القسطَ الأوفر، وأنَّ ابنَ مُعْط أسهم إسهامًا جليلاً في خدمة هذا الفنِّ نظمًا وتأليفًا وشرحًا وتعليقًا، ممَّا يدُلُّ على تبحُّره فيه واقتداره عليه.

ولعلَّ خيرَ ما يَعكسُ الجهودَ النَّحويَّة الَّتي بذلَها الزَّواوي أرجوزتُه الَّتي نَظَمَها في هذا العلم؛ إذ هي أوَّلُ منظومة نحويَّة تحمِلُ اسمَ الألفيَّة، وإذا كانت هذه الألفيَّةُ غيرَ مشهورة في زماننا لأنَّ ألفيَّةَ ابن مالك طغَتْ عليها حتَّى أخْمَلَتْ ذِكْرَها، فإنَّ ذلك لا يَضَعُ من قِيمَتِها، ويكفي ناظمَها فخرًا أنَّ ابنَ مالك نفسَه قد اشتغل عليها ودرَّسَها تلامذتَه قبل أن ينسج على منوالها ألفيَّته الشَّهيرة.

والحمدُ لله أوَّلاً وآخِرًا.



(37) يُنظَر: «خزانة الأدب» (209/3) الشاهد رقم (195).
(38) البقرة: الآية (91).
(39) «شرح ألفيَّة ابن مُعطي» لعلي موسى الشُّوملي (ص82 ـ 83).
(40) المرجعُ نفسُه (ص83 ـ 84).
(41) المرجع نفسُه (ص85).
(42) «تاريخ النَّحو العربي في المشرق والمغرب» لمحمَّد المختار ولد أبَّاه (ص291).
(43) «تاريخ الأدب العربي» لعمر فرُّوخ (664/5).





جزءٌ فيه:
عشرون حديثًا
منتقاة من كتاب الصفات للدارَقُطْني

انتقاء:
ناصر الدين محمد بن طُغْرِيل الدمشقي الخوارزمي
(المُتَوَفَّى سنة 737هـ)

قرأه وقدَّم له وعلّق عليه: عمّار تمالت
باحث بمركز الملك فيصل ـ الرياض

هذه أحاديثُ نبويَّةٌ شريفةٌ، تتَّصلُ بالعقيدةِ الصَّحيحةِ المنيفةِ، تتعلَّقُ بصفاتِ الله سبحانه الثَّابتةِ له ثبوتًا على الحقيقةِ، دون تعطيلٍ ولا تحريفٍ، ولا تمثيلٍ ولا تكييفٍ، وهي الصِّفاتُ الَّتي يجبُ على كلِّ مسلمٍ الإيمانُ بها على اليقين، وإثباتُها للرَّبِّ سبحانه كما أثبتَها لنفسه وأثبتَها له رسولُه ﷺ في الوحيَيْن، وقدوتُه في ذلك سلفُه الصَّالح، من الصَّحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ والتَّابعين ـ رحمة الله عليهم ـ، وتابعيهم بإحسانٍ من العلماءِ العاملين إلى يوم الدِّين.

وإثباتُ الصِّفات لله ـ جلَّ وعلا ـ مِنْ أَجَلِّ أبوابِ الاعتقاد الَّتي يجب على المسلم الحرصُ عليها، ولذلك أكَّدَ عليها علماءُ السَّلف، وأَوْصَوْا بها، واستدلُّوا لها، وحاربوا وجهَّلوا مَنْ خالفها وتنكَّبَها؛ لأنَّها صفاتُ الله ـ جلَّ جلالُه ـ القائمةُ بذاته، فمَنْ أثبتَ الذَّات يلزمُه أن يُثبتَ معها الصِّفات، ومَنْ أنكرَ الصِّفات أو تأوَّلَها فكأنَّما أنكر الذَّاتَ ـ والعياذ بالله ـ.

وقد عُنِيَ علماءُ السَّلفِ بالتَّأليفِ في هذا الباب، وجمعوا ما تيسَّرَ لهم فيه من الأدلَّة بأسانيدهم الصَّحيحة، إحْقاقًا للحقِّ، ونصيحةً للأمَّة، ووصلَتْنا بعضُ كتُبِهم ومُؤلَّفاتِهم في ذلك صحيحةً جليَّةً، ومنها: «كتابُ الصِّفات» الَّذي جمعه الإمامُ الحافظُ النَّاقد: أبو الحسن علي بنُ عُمَر الدَّارقطني البغدادي المتوفَّى عام (385هـ)، أسندَ فيه ما صحَّ له عن النَّبيِّ ﷺ وعن سلف هذه الأمَّة من إثبات بعض صفات الله سبحانه، فجاء كتابًا غنيًّا بالأدلَّة، مُتَّسعَ الطُّرق والرِّوايَات، رُغمَ صِغَرِ حَجمِه وقِلَّةِ أوراقِه، فانتشر كتابُه هذا فيمن بعده، وتناقلوه روايةً ودرايةً، وقد طُبِعَ بتحقيق عبد الله الغنيمان عام (1402هـ).

ثمَّ أتى عالمٌ محدِّثٌ من أهل القرن الثَّامن الهجري، فانتقى من «كتاب الصِّفات» واقتبس منه عشرين حديثًا، اجتمع فيها ما تشعَّبَ من الرِّوايات والطُّرق الَّتي ساقها الإمامُ الدَّارقطني، وجلُّها أحاديثُ صحيحة مُخرَّجةٌ في «الصَّحيحين» وغيرهما.

وهو: ناصر الدِّين محمَّد بنُ طُغْرِيل الدِّمشقي الخُوَارِزْمي، عُرف بابن الصَّيْرَفي، وُلِدَ بمدينة خُوارِزْم[1] سنة

(1) تُسَمَّى اليوم: خوية، وهي في أوزباكستان.

(693هـ)، وعاش في دمشق، وتعلَّمَ فيها، وسمع بها الحديثَ وكان مُكثرًا منه، سمع من أبي بكر بن عبد الدَّائم والمُطعِّم وغيرهما، قال الذَّهبيُّ في وصفه[2]: «طالبٌ ذكيٌّ جدًّا، جيِّدُ التَّحصيل، مليحُ التَّخريج، كثيرُ الشُّيوخ، حسنُ القراءة»، وقال ابنُ حجر[3]: «وكان سريع القراءة فصيحَها، يأتي فيها إتيانَ السَّيل إذا تحدَّرَ، لا يكترثُ ولا يدْأَبُ فيها»، وقال أيضًا[4]: «وكان مُكثرًا جدًّا، وكتب بخطِّه، وقرأ بنفسه، وخرَّج لجماعة، ورحل إلى البلاد الشَّماليَّة وأفاد أهلَها، ثمَّ سافر إلى حماة فمات بها في (12) ربيع الأوَّل سنة (737هـ)».

وقد اعتمدتُّ في تحقيق هذا الجزء على صورة من نسخته الخَطِّيَّة المحفوظة اليومَ في المكتبة الظَّاهريَّة بدمشق ضمن المجموع (117) من مجاميع المدرسة العمريَّة.

تقع النُّسخة في خمس ورقات (من 205 حتَّى 209)، ويليها سماعاتٌ عليها في نحو أربع ورقات، مُسطَّرتها (17 سطرًا)، كُتِبَتْ بخطٍّ نَسخيٍّ واضحٍ، اعتُنِيَ فيها بالمقابلة والتَّصحيح.

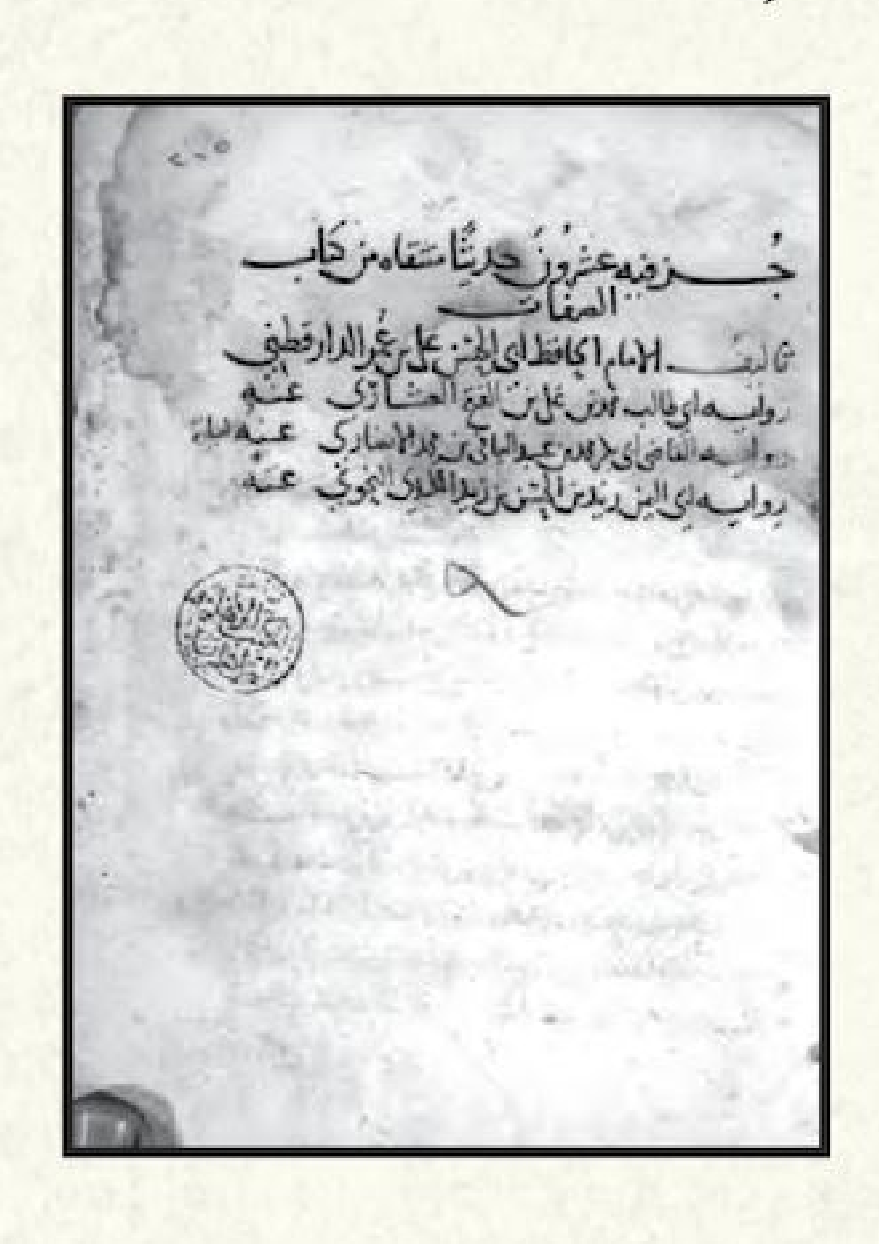
وكان تاريخ تأليف هذا المنتقى سنة (724هـ)، بمدينة بعلبكّ بالشَّام، فقد جاء في آخره:

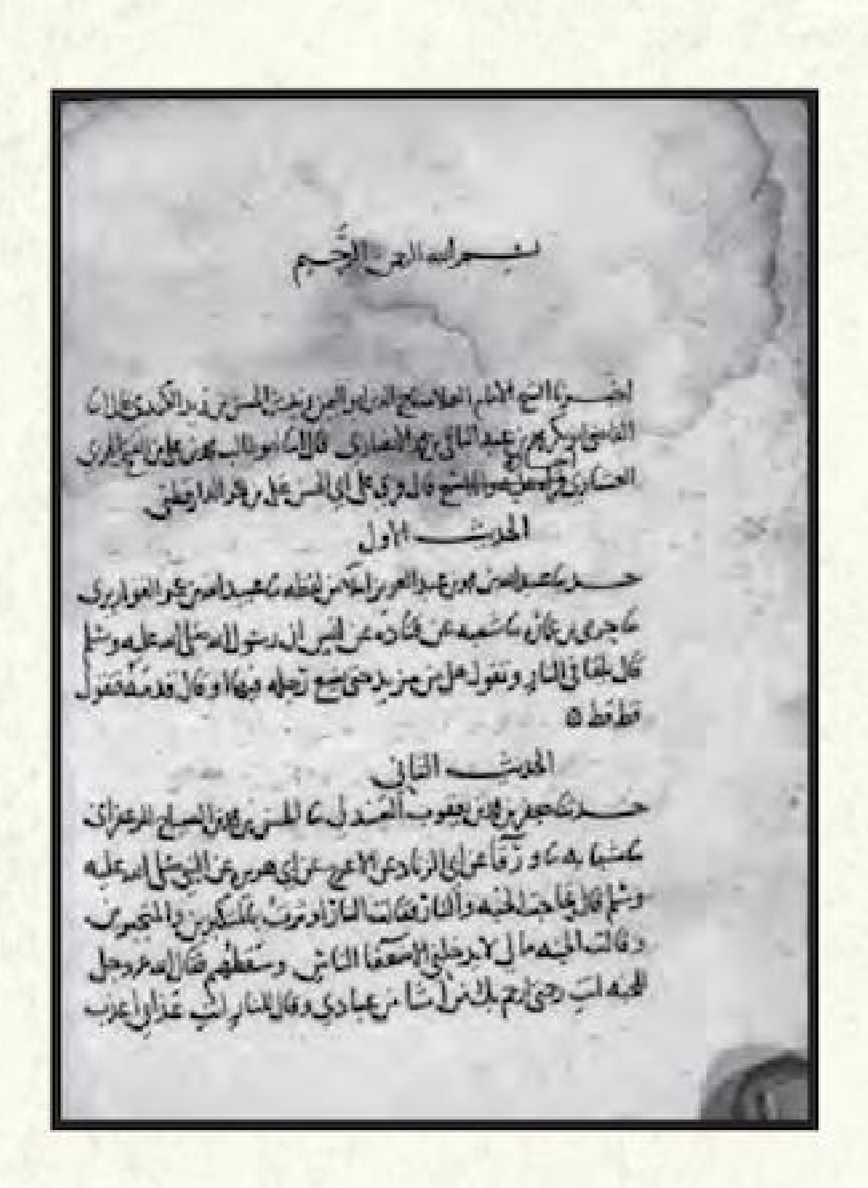
«آخرُ الأحاديث العشرين المُنتقاة من الصِّفات للدَّارقطني، انتقاها المُحدِّث ناصر الدِّين مُحمَّد بنُ طُغْريل الصَّيرفي في العشرين من رجب سنة أربع وعشرين وسبعمائة، بمدينة بعلبكّ المحروسة».

(2) «المُعجَم المُختصُّ بالمُحدِّثين» (ص 118).
(3) «أعيان النَّصر» (4/481).
(4) «الدُّرر الكامنة» (5/203 . 204).

وبلغ عددُ السَّماعات على هذا الجزء (14) سماعًا، تمَّتْ في سنوات: (724هـ)، و(725هـ)، و(732هـ)، سُمِّيَ فيها عددٌ هائلٌ من الشُّيوخ والتَّلاميذ من المُحدِّثين.

وقد صدَّرَ المُؤلِّف منتقاهُ هذا بإسناده إلى «كتاب الصِّفات» للدَّارقطني، وساق في كلِّ حديثٍ انتقاه إسنادَ الدَّارقطني نفسِه.





◎ **وهذا نصُّ الجزء:**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أخبرنا الشَّيخ الإمامُ العلاَّمةُ تاج الدِّين أبو اليُمْن زَيْدُ بنُ الحسن ابن زَيْد الكِنْدي، قال: أبنا القاضي أبو بكر محمَّدُ بنُ عبد الباقي بن محمَّد الأنصاري، قال: أبنا أبو طالب محمَّد ابنُ علي بن الفتح الحربي العُشاري ـ إجازةً ـ، قال: قُرِئَ على أبي الحسن علي ابنِ عُمَر الدَّارقطني:

[الحديث الأوَّل]

حدَّثنا عبدُ الله بنُ محمَّد بن عبد العزيز ـ إملاءً من لفظه ـ، ثنا عُبَيْد الله ابنُ عُمَر القواريري، ثنا حَرَميُّ ابنُ عمارة، ثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال:

«يُلْقَى فِي النَّارِ، وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فِيهَا» ـ أو قال: «قَدَمَهُ» ـ، «فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ»[5].

[الحديث الثاني]

حدَّثنا جعفر بنُ مُحمَّد بن يعقوب الصَّنْدَلي، ثنا الحسن بنُ محمَّد ابن الصَّبَّاح الزَّعْفَراني، ثنا شَبَابة، ثنا وَرْقاء، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ قال:

«تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالمُتَكَبِّرِينَ وَالمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ: مَا لِي لا يَدْخُلُنِي إِلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ؟ فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلجَنَّةِ: أَنْتِ رَحمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ

(5) أخرجه البخاري (4848) عن عبدِ الله بن أبي الأسود عن حرمي بن عمارة.

عبادي، وقال للنَّار: أنت عَذَابي أُعذِّبُ بك مَنْ أَشَاءُ مِنْ عبادي، ولِكُلِّ واحد منكُما ملؤُها، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ قَدَمَه عَلَيْهَا فَتَقُول: قَطْ قَطْ، فهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ ويَزْوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ»[6].

[الحديث الثالث]

حدَّثنا أبو الفضل جعفر بنُ مُحمَّد ابن يعقوب الصَّنْدَلي، أبنا الحسن ابنُ مُحمَّد بن الصَّبَّاح الزَّعْفراني، ثنا شبابة بنُ سَوَّار، ثنا وَرْقَاءُ، عن أبي الزِّنَاد، عن الأعرَج، عن أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ قال:

«يَمِينُ الله ﷻ مَلأَى، لا يَغِيضُهَا شَيْءٌ للنَّفَقَة، سَحَّاءُ[7] اللَّيلَ والنَّهارَ[8]»، وقال:

«أَرَأَيْتُم مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَات والأَرْضَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مِمَّا فِي يَمِينِه»، قال:

«وعَرْشُهُ عَلَى المَاء، وبِيَدِهِ الأُخْرَى المِيزَانُ يَخْفِضُ ويَرْفَعُ»[9].

[الحديث الرابع]

حدَّثنا جعفر بنُ مُحمَّد الصَّنْدَلي، ثنا الحسن بنُ محمَّد، ثنا شبَابة، ثنا وَرْقَاء، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كتَاب فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي»[10].

[الحديث الخامس]

حدَّثنا مُحمَّد بنُ سهل بن الفُضَيْل، ثنا عُمر بنُ شَبَّة، ثنا صفوان بنُ عيسى، ثنا محمَّد بنُ عجلان، عن أبيه، عن أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»[11].

[الحديث السادس]

حدَّثنا أبو صالح الأصبهاني عبد الرَّحمن بنُ سعيد، أبنا عَقيل بنُ يحيى، ثنا سفيان بنُ عُيَيْنَة، قال: قال أبو الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «قَالَ اللهُ ﷻ: يا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ؛ فَإِنَّ يَمِينَ الله سَحَّاءُ مَلأَى، لا يَغِيضُهَا شَيْءٌ باللَّيْل والنَّهَار»[12].

[الحديث السابع]

حدَّثنا أبو محمَّد يحيى بنُ صاعد، ثنا محمَّد بنُ زُنْبُور، ثنا فُضَيْل ابنُ عياض، عن الأعمش، عن عَمْرو بن مُرَّة، عن أبي عُبَيْدَة، عن أبي موسى قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَه لِمُسِيءِ اللَّيْلِ لِيَتُوبَ بالنَّهَار، ولِمُسِيءِ النَّهَار لِيَتُوبَ باللَّيْل، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[13].

[الحديث الثامن]

حدَّثنا أبو بكر النَّيسابوري عبدُ الله ابنُ محمَّد بن زياد والحسين بنُ يحيى ابن عَيَّاش، قالا: ثنا الحسن بنُ محمَّد ابن الصَّبَّاح الزَّعْفراني.

ح وأخبرنا عليُّ بنُ عبد الله بن مُبَشِّر، ثنا أحمد بنُ سِنان القطَّان؛ قالا: ثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال:

جاء إلى رسول الله ﷺ رجلٌ ـ وقال الزَّعْفراني: أتى النَّبيَّ رجلٌ ـ من أهل الكتاب، فقال: يا أبا القاسم أَبَلَغَك أنَّ الله يحملُ الخلائقَ على أُصْبُع، والسَّمَوات على أُصْبُع، والأرضينَ على أُصْبُع، والشَّجَرَ على أُصْبُع، والثَّرى على أُصْبُع؟ قال: فضحكَ رسولُ الله ﷺ حتَّى بَدَتْ نَواجذُه، قال: فأنزلَ الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ إلى آخر الآية[14].

[الحديث التاسع]

حدَّثنا الحُسَيْن بنُ إسماعيل القاضي، ثنا يوسف بنُ موسى القَطَّان، ثنا أبو معاوية وجرير ـ واللَّفظُ لأبي معاوية ـ، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال:

أتى رجلٌ من أهلِ الكتاب النَّبيَّ

---

(6) أخرجه مسلم (2846) عن محمَّد بن رافع عن شبابة.

(7) أي: دائمةَ الصَّبِّ والهطل بالعطاء، «النِّهاية في غريب الحديث» (345/2).

(8) أشار في المخطوط إلى صحَّة الإعرابَيْن معًا: الفتح على الظَّرفيَّة، والكسر على الإضافة.

(9) أخرجه البخاري (7411) عن شُعَيْب، ومسلم (993) من طريق سفيان بن عُيَيْنَة، كلاهما عن أبي الزِّناد.

(10) أخرجه البخاري (3194) ومسلم (2751) من طريق المغيرة ابن عبد الرَّحمن عن أبي الزِّناد.

(11) إسناده حسن، وأخرجه التِّرمذي (3543) من طريق اللَّيث عن محمَّد بن عجلان، وقال: «حسن صحيح غريب».

(12) أخرجه مسلم (993) من طريقَيْن عن سفيان.

(13) أخرجه مسلم (2759) من طريق شعبة عن عمرو بن مُرَّة.

(14) أخرجه مسلم (186) من طريقَيْن عن أبي معاوية، والبخاري (7415) من طريق حفص بن غياث عن الأعمش.

ﷺ، فقال: يا أبا القاسم أبَلَغك أنَّ الله ﷻ يحملُ السَّموات على أُصْبُعٍ، والأرَضين على أُصْبُعٍ، والخلائقَ على أُصْبُعٍ، والشَّجرَ على أصبعٍ، والثرى على أصبعٍ؟ فضَحِكَ رسولُ الله ﷺ حتَّى بدتْ نَواجِذُه، فأنزل اللهُ ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، وقال جريرٌ في حديثِه: والجبالَ والشَّجرَ على أصبعٍ، والماءَ والثَّرى على أصبعٍ، والخلائقَ كلَّها على أصبعٍ.

[الحديث العاشر]

حدَّثنا مُحمَّد بنُ سَهْلِ بنِ الفُضَيْل الكاتب، ثنا علي ابنُ حرب، ثنا أبو معاوية ومحمَّد بنُ فُضَيْل، قالا: ثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال:

أتى النَّبيَّ ﷺ رجلٌ، فقال: يا أبا القاسمِ هل بَلَغك أنَّ الله ﷻ يحملُ الخلائقَ على أُصْبُعٍ، والسَّموات على أصبعٍ، والأرضين على أصبعٍ، والشَّجرَ على أصبعٍ، والثَّرى على أصبعٍ؟ فضَحِكَ رسولُ الله ﷺ، وأنزلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

[الحديث الحادي عشر]

حدَّثنا القاضي الحسين ابنُ إسماعيل ومحمَّد بنُ إبراهيم ابن حفص بنِ شاهين وإسماعيل ابنُ العَبَّاس الوَرَّاق ومُحمَّد بنُ مَخْلَد وآخرون، قالوا: ثنا محمَّد بنُ الوليد البُسْري، ثنا يحيى بنُ سعيد القَطَّان، عن سُفيان، حدَّثني منصور وسليمان، عن إبراهيم، عن عَبِيدة، عن عبد الله:

أنَّ يهوديًّا جاء إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: يا محمَّد إنَّ اللهَ يُمسِكُ السَّمواتِ على أُصْبُعٍ، والشَّجرَ على أصبعٍ، والخلائقَ على أصبعٍ، ثمَّ يقول: أنا المَلِكُ، فضَحِكَ رسولُ الله ﷺ حتَّى بدتْ نَواجِذُه وقال: «﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾»، قال يحيى ابنُ سعيد: وزاد فيه فُضَيْل بنُ عِياض عن منصور عن إبراهيم عن عَبِيدة عن عبد الله: فضحك رسولُ الله ﷺ تعجُّبًا وتصديقًا[15].

[الحديث الثاني عشر]

حدَّثنا أحمد بنُ محمَّد بنِ أبي بكر الواسطي وأحمد ابنُ عبد الله ابنِ مُحمَّد ومحمَّد بنُ سهل ابن الفُضَيْل الكاتب، قالوا: ثنا عُمَر ابنُ شَبَّة، ثنا يحيى بنُ سعيد القطَّان، ثنا سفيان، حدَّثني منصور وسليمان، عن إبراهيم، عن عَبِيدة، عن عبد الله ابن مسعود:

أنَّ يهوديًّا جاء إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا مُحمَّد إنَّ اللهَ ﷻ يُمسِكُ السَّمواتِ على أُصْبُعٍ، والأرضين على أصبعٍ، والجبالَ على أصبعٍ، والشَّجرَ على أصبعٍ، والخلائقَ على أصبعٍ، ثمَّ يقول: أنا الملكُ، فضحك رسولُ الله ﷺ حتَّى بدَتْ نَواجِذُه، ثمَّ قال: «﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾»، قال يحيى: وزاد فيه فُضَيْل بنُ عياض بهذا الإسناد: فضحك رسولُ الله ﷺ تعجُّبًا وتصديقًا.

[الحديث الثالث عشر]

حدَّثنا أحمد بنُ محمَّد بنِ محمَّد ابنِ سليمان، ثنا عُمَر ابنُ شَبَّة، ثنا أبو عاصم، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن عَبِيدة، عن عبد الله قال:

جاء رجلٌ من أهل الكتاب إلى رسول الله ﷺ، فقال: إنَّ الله ﷻ يضعُ السَّمواتِ على أصبعٍ، والأرضين على أصبعٍ، والجبالَ على أصبعٍ، والثَّرى على أصبعٍ، والشَّجرَ على أصبعٍ، والخلائقَ على أصبعٍ، ثمَّ يقول: أنا المَلِكُ، فضحك رسولُ الله ﷺ حتَّى بدَتْ نَواجِذُه، ثمَّ قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إلى آخِرِ الآيةِ.

[الحديث الرابع عشر]

حدَّثنا الحسينُ بنُ إسماعيل، ثنا يوسف بنُ موسى، ثنا أبو عبد الرَّحمن المقرئ، ثنا حَيْوَة بنُ شُرَيْح، أخبرني أبو هانئ، أنَّه سمع أبا عبد الرَّحمن الحُبُلِّي يقول: إنَّه سمع عبدَ الله بنَ عَمرو أنَّه سمِعَ رسولَ الله ﷺ يقول:

«إنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّها بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ﷻ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ

(15) أخرجه البخاري (7414) عن مُسدَّد عن يحيى بن سعيد، وله عنده (4811)، (7513)، وعند مسلم (2786) طُرُقٌ أخرى عن منصور.

يُصَـرِّفُ كَيْفَ شَـاءَ»، ثمَّ قال رسولُ الله ﷺ: «اللَّهُـمَّ مُصَـرِّفَ القُلُوبِ اصْـرِفْ قُلُوبَنَا إِلَى طَاعَتِكَ»[16].

[الحديث الخامس عشر]

حدَّثنا عبدُ الله بنُ محمَّد بن عبد العزيـز، ثنا هُدْبَـة ابنُ خالـد أبو خالد القَيْسـي، ثنا حمَّادُ بنُ سَـلَمَة، عن يَعْلَى ابـن عطاء، عن وكيع بـنِ عُدُس[17]، عن أبي رَزِين: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال:

«ضَـحِكَ رَبُّنَا ﷻ مِـنْ قُنُوطِ عِبَادِه وقُـرْبِ غِـيَرِه[18]»، قال: قلتُ: يا رسـولَ الله! أَوَيَضْـحَكُ الـرَّبُّ ﷻ؟ قـال: «نَعَـمْ»، قلتُ: لن نَعْدَمَ من ربٍّ يضحـكُ خَـيْرًا»[19].

[الحديث السادس عشر]

حدّثنا محمد بنُ سـهل بنِ الفُضَـيْل الكاتب، ثنا حُمَيْد بـنُ الربيع، ثنا يحيى ابنُ سـعيد، عن محمد بـنِ عَجْلان، ثنا سـعيد بـنُ أبي سـعيد، عن أبـي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ:

« إذا ضرب أحدُكم فلْيَجْتَنِبْ الوجهَ، ولا يقلْ: قَبَّحَ الله وجهَك ووجهَ مَنْ أشـبهَ وَجْهَك، فـإنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق آدمَ على صورته »[20].

[الحديث السابع عشر]

حدَّثنـا إسـحاق بـنُ محمَّـد بـنِ الفضـل الزَّيَّات، ثنا يوسف بنُ موسى، ثـنا جرير، عن الأعمش، عن حبيب ابنِ أبي ثابـت، عـن عطـاء، عن ابـنِ عُمَر قال: قال النَّبيُّ ﷺ:

«لَا تُقَبِّحُوا الوَجْهَ؛ فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»[21].

[الحديث الثامن عشر]

حدَّثنـا عبد العزيـز بنُ سـعيد ابن بَكْر أبو شَـيْبَة، ثنا أبو موسى محمَّد ابنُ المُثَنَّـى، ثنا أبو عامر العَقَدي، ثنا المغيرة ابـنُ عبد الرَّحمن، عن أبـي الزِّناد، عن موسـى بنِ أبي عثمان، عن أبيه، عن أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ قال:

«خَلَـقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُـورَتِهِ، وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا»[22].

[الحديث التاسع عشر]

حدَّثنا أحمد بنُ محمَّد بن إسماعيل السُّـيوطي، ثـنا علـيُّ بـنُ إشْـكاب، ثنا هـارون بـنُ مَعْـرُوف، ثـنا جريـر، عن الأعمـش، عن حبيب بن أبـي ثابت، عن عطاء قال: عن ابنِ عُمَر قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«لَا تُقَبِّحُوا الوَجْهَ؛ فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عليه السلام عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ ﷻ»[23].

[الحديث العشرون]

حدَّثنا أبو محمَّد ابنُ صـاعد، يحيى ابـن محمَّـد، ثـنا يعقـوب بـنُ إبراهيم الدَّوْرَقـي، ثنا وكيع بنُ الجَرَّاح، ثنا عَبَّادُ ابنُ منصـور، عن القاسـم بـنِ مُحمَّد، قال: سـمعتُ أبا هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ الصَّـدَقَاتِ، وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِـهِ، وَيُرَبِّيهَـا لِأَحَدِكُـمْ كَمَـا يُرَبِّـي أَحَدُكُـمْ فَلُـوَّهُ ـ أو مُهْـرَه ـ، وإِنَّ اللُّقْمَـةَ لَتَصِيـرُ مِثْـلَ أُحُـد، وتَصْـدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَـابِ اللهِ ﷻ: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، و﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾»[24].

آخِرُ الأحاديث العشرين المُنْتَقَاة من الصِّفات للدَّارقُطني.

انتقاها المُحدِّث ناصر الدِّين مُحمَّد بـنُ طُغْريل الصَّـيْرَفِي في العشـرين من رجـب سـنة أربع وعشـرين وسـبعمائة، بمدينـة بعلبـكَّ المحروسـة، والحمدُ لله ربِّ العالمين.



---

(16) أخرجه مسلم (2654) عن زهير بن حرب وابن نُمَيْر عن أبي عبد الرَّحمن المُقرئ.

(17) كُتب في المتن: «حُدُس» ـ بالحاء ـ، وصُحِّح في الحاشية: «عُدُس»، وكلاهما ورد، لكنَّ الأصحَّ بالعين.

(18) أي: قرب تغييره الحال.

(19) إسنادُه ضعيف؛ لانفراد وكيع بن عدس به، وهو «مقبول» كما قال ابنُ حجر في «التَّقريب»، وقال الذَّهبي: «لا يُعرَف»، وحسَّنه الشَّيخُ الألباني في «السِّلسلة الصَّحيحة» (2810) بطريقٍ أخرى متابعة لطريق وكيع.

(20) إسناده حسن، وأخرجه الإمام أحمد (7420/382/12) عن يحيى بن سعيد، وله طُرقٌ.

(21) أخرجه ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (517) عن يوسف ابن موسى، وضعَّفَ إسنادَه الألباني بسبب عنعنة حبيب بن أبي ثابت وهو مدلِّس، وذكر له عللاً أخرى.

(22) إسنادُه حسن، وأخرجه الإمامُ أحمد (8291) عن أبي عامر العقدي.

(23) إسناده ضعيف، ذكر له الإمامُ ابنُ خزيمة في «التَّوحيد» (87/1) ثلاثَ عِلَلٍ، وهو في «السِّلسلة الضَّعيفة» (1176).

(24) إسنادُه صحيحٌ، وأخرجه البخاري (1410، 7430)، ومسلم (1014)، من طريق أبي صالح عن أبي هريرة.



سلفيَّة واللّه... دين محمَّد صلى الله عليه وسلم



عبد الكريم لخذاري
إمام خطيب ـ أم البواقي

لِلنَّاسِ فَخْرٌ بِالدُّنَا وبِأَهْلِها
والكلُّ يُكْبِرُ بالسَّبيلِ المُظلِمِ

فلِخَوْلَةٍ أطلالُها وبُكاؤها
ولِوَشْمِها أنصارُهُ بالمَوسمِ

شُعراؤهم قدْ غادروا وترحَّلُوا
وديارُهم معروفَةٌ بتوهمِ

مُتوقِّفٌ مسْتَوقِفٌ لرَكُوبِهِ
ولِمنْزِلٍ بلسانِه متكَلِّمِ

فَلأُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ تربَتْ بها
وزهيرُ جَلجَلَ بالوِشَامِ بِمِعْصَمِ

ومِنَى تأَبَّدَ غُولُها ورجَامُهَا
ولَدَارُها دَرَسَتْ دُرُوسَ البُهَّمِ

وبِصَحْنها مزهُوَّةٌ وبِخَمرِها
وبِصُبْحِها سبَّاقةٌ للقادمِ

ولَرُبَّ ثَاوٍ بالمقام تملُّهُ
وثِواءُ أسمَا لابنِ حِلزةَ بالدَّمِ

فَمَنَاتُهمْ بل لاَتُهمْ أخواتها
ولَجَمعُهمْ منْ خَالِداتِ جَهنَّمِ

وهرقلُ رومٍ في القلوبِ معظَّمٌ
ولَنَعلُ كسرى عندَ فُرْسٍ مُكرَمِ

ومُقَوْقِسٌ وبِمصْرِهِ وبِقِبْطِهِ
وبجُنْدِهِ وبِنِيلِهِ مُتَجَرِّمِ

بيمَامَةٍ كذَّابُهم متسلِّطٌ
ولأسودٍ وسَجَاحِهم مستسلمِ

وتميمُ تُنْكِرُ ذا الخويصِرة الَّذي
مَلَكَ القلوبَ لدى الخوارِج بالفمِ

يَا مَنْ يفاخِرُ بالخروجِ وأهلِهِ
إنَّ الخُروجَ رزيَّةٌ بالعَالَمِ

يَا مَنْ يفاخِرُ بالتَّحزُّبِ جاهِلاً
إنَّ التَّحزُّبَ في الكتابْ، مُحرَّمِ

يَا مَنْ يفاخِرُ بالتَّصوُّفِ طائفًا
بينَ القبورِ ألا اعتبِرْ منْ جُرْمِهِمِ

يَا مَن يفاخِرُ بالرَّذيلةِ و الخَنا
مِنْ جندِ إبليس اللَّعينِ أمِن عَمِ؟

هذي خَيَالتُهم وهذا فخْرُهم
واللهِ مَنْ نَصَرَ الضَّلالةَ يُهزَمِ

ولنَحْنُ نفخَرُ بالنَّبيِّ محمَّدٍ
سَلَفُ الرِّجالِ إلى السَّبيلِ الأَقْوَمِ

لأئمَّةِ الإسلامِ قَوْلاً واحِدًا
إنَّ النَّجَاةَ بذا الطَّريقِ الأسلَمِ

سَلفيَّةٌ واللهِ نهجُ نبيِّنا
فهيَ الكتابُ وسنَّةُ للمُسلمِ

بِفُهومِ قومٍ لا يُشقُّ غُبارُهُم
أَصْحابُ أحْمدَ أعلمًا بالمُحْكَمِ

أيُرَدُّ قولٌ للنَّبيِّ وصحْبِه ... بـ (لنا رجالٌ) قولَةً للمُجْرِم

سلفيَّةٌ والله دينُ موحِّدِ ... لا دينُ مُشْرِكٍ للقبورِ مُسلِّم

لله نُسْلِمُ أمرَنا وقُلوبَنا ... ودعَاؤنا للواحدِ المُتكرِّم

لا للحجارة ذبْحُنا ونذُورُنَا ... لا للرِّجال دعاؤُنا بمَآتم

هذي الألُوهَةُ والرُّبُوبَةُ شُغْلُنا ... مَن (للصِّفَات) بأحْكَم أوْ أعْلَم

فَسَلِ المسَاجِد والمنابِرَ والحِجا ... هاتِ ثمارَ مفلْسِفٍ متكلِّم

غيضَ الأعادي منْ جُهودِ دُعاتِنا ... ماضُونَ في نَصْرِ الإلهِ المُنعِم

ماضونَ في نصْرِ النَّبيِّ محمَّدٍ ... لا مَا نُبالي أنْ نُفوسُنَا تَكْلَم

سلفيَّةٌ والله تقْمعُ بِدْعَةً ... تَطأُ الضَّلالَ وأهلَه لا تُحْجِم

هي تنشُرُ الإسلامَ تجْمعُ أهلَه ... ودماءُ أتْباعِ النَّبيِّ تُحَرَّم

فَحَمَت خوارجَ حذَّرت من نهجِهم ... إنَّ البيانَ لديهمُ كالبلسَم

سلفيَّةٌ والله منْهجُ ثابتٍ ... لا كالتَّحزُّبِ دينُهم في الدِّرهَم

أو كالرَّوافضِ قد فضَحْنَا بُؤْسَهُم ... عن كُفْرِ (ميرزا) دائمًا نَتَكلَّم

هذا التَّلوُّنُ في الدِّيانة حَرْبُنا ... مَنْ قدْ نُخاصم بالشَّريعةِ نَخْصِم

هَيْهَاتَ من جَعل النُّصوصَ سلاحَه ... والبارِكُون لذي السِّياسة تَجْثُم

والله لو خيْرُ البلادِ سبيلُهُمْ ... ما كانوا ألقوا بالشَّباب لمأثَم

لَوْ قدْ رأيتَ كلامهُمْ وسفاهَهمْ ... لسألتَ ربَّ العرشِ ينعمُ بالصَّم

لَو كَانوا يستحْيون تابوا واتَّقَوْا ... لبِسُوا البيوتَ علامةً للنَّادم

يَا مَنْ يُطاعِن نهْجَنا فلتعلمَنْ ... أنَّ السُّكُوتَ لأحمَقٍ ليُرغَم

سلفيَّةٌ والله دينُ مروءةٍ ... أخلاقُهم آدابُهم تُتعَلَّم

ونساؤهم أدبُ العذارى خُلقُهن ... بتستُّرٍ وتأدُّبٍ وتحشُّم

أمرٌ بمعرُوفٍ ونهيٌ دائم ... عنْ ثُلْمَةٍ في دينِ ربِّي تُثْلَم

سلفيَّةٌ والله راحةُ أمَّةٍ ... في أمْنِنا وسَلامِنَا هي تُسْهِم

بسَعادَةِ الأخْيارِ شرْحُ صُدُورِنَا ... والغائضُونَ (بأنَّا نشقى) تزْعُم

فاجعَلْ لقانا يا إلهي بجَنَّةٍ ... بسَعَادةِ الأخرى علينا أنْعِم

والحمْدُ لله الكريم شعَارُنا ... فبأوَّلٍ وبآخرٍ بها نَخْتِم

ثمَّ الصَّلاةُ على النَّبيِّ مُحمَّدٍ ... والآلِ والأصحابِ خيرُ معلِّم

المعاني المشكلة:

قال ابن منظور:

- دِمْنَةُ: الدَّار أَثَرُها والدِّمْنة آثارُ النَّاس وما سَوَّدوا.
- وتَأَبُّد: وأَبِدَ أُبودًا وتأبَّدت تأبُّدًا توحَّشت، والتَّأَبُّد التَّوحُّش.
- (غول): غاله الشَّيءُ غَوْلاً واغْتاله أَهلكه وأَخذه، وكلُّ ما أَهلك الإِنسان فهو غُول.
- رِجامُها: والرَّجَمُ والرِّجامُ الحجارة المجموعة على القبور.
- الثَّواءُ: طولُ المُقام، ثَوَى يَثْوي ثَواءً.
- (جرهم): جُرْهُم حيٌّ من اليمن نزلوا مكَّة، وتزوَّج فيهم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السَّلام، وهم أَصهاره، ثمَّ أَلْحَدُوا في الحرَم فأَبادَهم الله.



المرأةُ المسلمةُ والتَّغيُّرَات

د. رضا بوشامة
أستاذ بكلية العلوم الإسلامية . الخروبة



يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الأحزاب].

وروى الترمذي (3022) وغيره عن مجاهد عن أمِّ سلمة أنَّها قالت: «يَغزُو الرِّجالُ ولا تغزو النِّساء، وإنَّما لنا نصفُ الميراث فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، قال مجاهد: فأنزل فيها ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ الآية».

فقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا﴾ نهيٌ عن مجرَّد تمنِّي المرأة أن تكون مثلَ الرَّجل، فكيف بمن يُنكرُ الفوارقَ الشَّرعية بين الرجل والمرأة وينادي بإلغائها ويطالبُ بالمساواة بينهما؟

فالمسلمةُ التي رضيت بالله ربًّا وبالنبي محمد ﷺ رسولا وبدين الإسلام دينا تعلم علم يقين أنَّ غايةَ خلقها عبادةُ الله وحده وطاعتُه وطاعةُ رسوله، خلقها الله خلقًا سويًّا، وفرَّق بينها وبين الرَّجل في الخلقة والتَّكوين وفي القدرات والأداء، وكلَّفها بتكاليف توافق فطرتَها وأصلَ خلقتها، وجعل لها حقوقا وواجبات، وفضَّل الرَّجل عليها وجعلَ له القوامةَ، فقال سبحانه: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: 34]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: 36]، فهذا قدرٌ كونيٌّ لا يزول ولا يَبيد، من أجل أن يقوم كلٌّ منهما بما أُنيط به من أحكام وواجبات وتنتظمُ مصالحُ العباد والحياة، وتجتمع الأُسَرُ على الخير والصلاح، وفق أُسُس متينة وأعراف شريفة.

فالمرأةُ المسلمة المؤمنة الصالحة راضيةٌ بأحكام الله وقضائه وقدره، لأنَّها تدركُ بإيمانها أنَّ الله اللطيفُ الخبير العليم الحكيم لا يقدِّر ولا يشرَع لها إلا ما فيه مصلحتُها الدنيويةُ والأخرويَّة،

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [سُورَةُ المُلْكِ]، فكلُّ الأحكام التي تخصُّ المرأةَ في دينها ومعاملتها مع زوجها من نكاح ومعاشرة وحقوق، وخُلع وطلاق، كلُّها من شرع الله وأمره، صلُحت به أمَّهات المؤمنين ونساءُ المسلمين منذ عُقود وعهود، وستصلُح به جميعُ المؤمنات المتَّبعات لشرع الله المبتغيات ما عند الله، المعتزَّات بدين الله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [سُورَةُ الأَحْزَابِ]، فالإسلامُ الحقيقيُّ ليس بالادِّعاء بل هو الاستسلام والإذعان لأمر الله وشرعه، ولو كان مخالفًا لهوى الإنسان وفكره.

❁❁❁

ومن لازم الاستسلام لله والرِّضا بدين الله الكفرُ بما تُمليه عقول الناس السخيفة المخالفة لأوامر الله وشرعه.

❁❁❁

فما عُرف شرعٌ أكرَمَ المرأةَ وحفظ لها حقوقها مثلَ شرع الله، فقد أكرمها أُمًّا: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [الأحقاف: 15]، وفي «الصَّحيحين» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ»[1].

❁❁❁

وأكرمها وحفظ حقوقَها بنتًا، فحرَّم وَأْدَ البنات الذي كان من أعمال الجاهلية النَّكراء، ورغَّب في تربيتهنَّ وبيَّن ما في ذلك من الأجر العظيم والخير الجزيل.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «دَخَلَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ، فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»[2].

❁❁❁

وأكرمها زوجاً: فقد أوصى بها رسول الله ﷺ في أعظم مجمع للمسلمين في حجة الوداع، كما في «صحيح مسلم» (1218): «... فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ».

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»[3].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخِيَارُهُمْ خِيَارُهُمْ لِنسائهم»[4].

❁❁❁

وجعلها الإسلامُ شقيقةَ الرجل في الحقوق والواجبات إلا فيما خصَّها الله تعالى به لاختلاف طبيعتها وخلقتها عن الرَّجل، وتشترك معه في تربية الأولاد، وتقوم على خدمتهم، واستقرارهم.

❁❁❁

أكرمها أرملةً فحثَّ على رَعي شؤونها تكريما لها وحفاظا عليها وحراسة لها، ففي «الصحيحين» عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ»[5].

فأيُّ فضل وأيُّ عظمة هذه، فأين دعاةُ الحقوق والمساواة من هذه التشريعات الرَّبَّانيَّة.

❁❁❁

ثم إنَّ المرأةَ المسلمةَ المؤمنةَ مطالبةٌ بطاعة الله سبحانه فيما أمر والانتهاءِ عما نهى عنه وزجر إن كانت تؤمن بالله واليوم الآخر، فهي مُبتلاة في هذه الدنيا كالرجل، فطاعتُها لزوجها وعدمُ التَّطاول عليه وأداءُ الحقوق له والعملُ على مرضاته من طاعة الله سبحانه الآمر بذلك، وعملُها بشريعة الله في الأحكام - كأحكام الزَّواج والطَّلاق والخلع والحضانة وغير ذلك - من طاعة الله، فهي أحكام شرعية قطعيةٌ ثابتة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ باقيةٌ إلى قيام الساعة لا تتغير ولا تتبدل بتغير الأزمان والأشخاص، وهي من دين الله الذي ارتضاه لعباده ورضي به المسلمون والمسلمات، فالعملُ بغيره ومخالفته مخالفةٌ لأوامر الله ونواهيه، والخيرُ كله فيما شرع الله وقضى، لا فيما شرعته عقول البشر، ولو كان ذلك مما يشقُّ على بعض الناس؛ فالجنَّة

(1) «صحيح البخاري» (5971)، «صحيح مسلم» (2548).
(2) «صحيح البخاري» (1418)، «صحيح مسلم» (2629).
(3) «جامع الترمذي» (3895)، وصححه الألباني.
(4) «مسند أحمد» (7402)، وصححه الألباني.
(5) «صحيح البخاري» (5353)، «صحيح مسلم» (2982).

حُفَّت بالمكاره والنار حُفَّت بالشهوات كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ، لكنِ المؤمنةُ الصادقةُ تُحسُّ بلذة طاعة الله، ولا يطمئنُّ لها بال ولا يَقرُّ لها قرار حتى تؤدِّي الواجبات والحقوق كما أمر الله وشرع، وعاقبةُ ذلك النجاةُ من غضب الله وعذابه وسخطه وعقابه، ونيلُ مرضاته ودخولُ جنانه، ففي المسند وغيره عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ»[6].

ولو قرأت المرأة المسلمة المستسلمة لله هذا الحديث العظيم ووقفت معه وقفات إيمانية بعيدة عن وساوس شياطين الإنس والجن، لعلمت ماذا يُراد منها في هذه الدنيا، وما كلَّفها به الله تعالى، ففي «السُّنن الكبرى» للنَّسائي (8914) عن الحُصَيْن بن مِحْصَن: عن عَمَّة لَهُ أَتَت النَّبيَّ ﷺ لِحَاجَة، فلمَّا فرَغ مِنْ حاجَتِها قَالَ لَهَا: «أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ. فقالَ: «فكَيْفَ أَنْتِ لَهُ؟»، فَقَالَتْ: مَا آلُوهُ إلا مَا أَعْجَزُ عَنْهُ[7]، فقَالَ: «انْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ فَإِنَّهُ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ».

❀❀❀

لكن دُعاة السوء زيَّنوا لها الباطل بصورة الحقِّ، وأدخلوها في ظلمات الشرِّ، وقد روى «البخاري» (3606)، و«مسلم» (1847) من حديث حُذَيْفَةَ ابنِ اليَمَانِ قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ» قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا».

نعم كثُر دعاةُ الفتن الذين هم مِن جلدتنا ويتكلَّمون بألسنتنا لكنَّهم يدعون إلى التمسُّك بما عليه الكفار والملحدون وإلى ترك شريعة الله والانسلاخ من الدين، وفصل المجتمع المسلم عن أحكام الله، وركَّزوا على المرأة المسلمة؛ لأنها مُربيَّةُ الأجيال وعليها قوام الأمة والآمال.

❀❀❀

وقد وُجد لهذه الأبواق المنتنة مَن يساندها ويُدافع عنها من النساء وأشباه الرجال، وهذا مصداق ما قاله الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله: «إنَّ القائدَ الذي يقول للأمة: إنَّك مظلومةٌ في حقوقك وإنَّني أُريد إيصالَك إليها، يجدُ منها ما لا يجده مَن يقول لها: إنَّك ضالَّةٌ عن أصول دينك وإنَّني أريدُ هدايتَك، فذلك تُلبِّيه كلُّها، وهذا يُقاومه معظمُها أو شطرُها»[8].

تباكوا عندها بأنَّ حقوقَها مهضومةٌ وهي امرأةٌ مظلومة، ولا يمكن استردادُ مظالمِك إلا بالانسلاخ من دينك، وأنَّك في هذه الدنيا خُلقت مثلَ الرجل بل أعظم، فصوَّروا لها الباطل في صورة الحق، والكذبَ في صورة الصدق.

وهؤلاء الدعاة، منهم من لم يدخل الإيمانُ في قلبه، ولم يعرف سعادةَ الدنيا فضلا عن الآخرة، وظنَّ أنَّ سعادةَ المرأة باللَّهث وراء المال والجاه والسلطان والتسلطَ على الرجال، فلم يَنعَم بالإيمان والطمأنينة التي تلقاها المرأةُ المسلمة المطيعة لربِّها العاملة على رضى زوجها، وقد قال الله تعالى في كتابه وكلامُه حقٌ وصدق: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الروم]، وقال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [سورة النحل].

فأين السعادةُ والهناء والمودة والرخاء في تسلط النساء على الرجال، وجعل القوامة لهنَّ في كل مجال، لكن مَن كان فاقدا للإيمان يدعو غيرَه من الناس إلى الكفر والإلحاد والخروج من شريعة الرحمن، والعملُ بذلك إيذانٌ بزوال النعم وحلول النِّقم ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة الإسراء].

❀❀❀

وصنفٌ آخرُ انبهروا بما عليه الغربُ الكافر من التَّمدُّن والحداثة والحضارة، وأُعجبُوا بما هم عليه من الحريَّات وأيُّ حرِّيَّات؟! فاتَّبعوا سبيلَهم، ومشَوْا على آثارهم ليُرضوهم وما هم عنهم براضين حتى يتركوا الدِّين الذي أنزله

(6) «مسند أحمد» (1661)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (1932).

(7) أي: ما أقصِّر ولا أترك من برِّه وطاعته إلاَّ ما لا أقدر عليه، ولا أستطيعه.

(8) «آثار ابن باديس» (295/3).

الله رَبُّ العالمين ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَة].

❀❀❀

وأما المسلمون فهم راضون عن الله وأحكامه، يعلمون أنَّ الله الحكيمَ الخبيرَ بأحوال عباده ما شرع لهم إلا ما فيه سعادتُهم في الدنيا والآخرة، وأنَّ دينَهم قائمٌ على جلب مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم، لا يرضون عنه بديلا ولا تغييرا، يعتزُّون بدينهم وعقيدتهم وشريعتهم، فهي أحكم الشرائع وأعدلُها وأسلمُها، يؤمنون بقول الله جل في عُلاه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عِمْرَان: 19]، وبقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سُورَةُ آل عِمْرَان]، وهذا الإيمان لا يتحقَّق إلا بالعمل بشريعة الله في كل المجالات عقيدةً وعبادة وتعاملا وأخلاقا، وأداءِ الحقوق بين الزوجين، ومعرفةِ الزوج حقَّ زوجته عليه وعدلِه في معاملتها والابتعاد عن ظلمها، ومعرفةِ الزوجة حقَّ زوجها عليه وأنَّ طاعتَه في المعروف من طاعة الله، وأن لا تكون عَونًا لأدعياء السوء ودعاة التغيير والتغريب لتبديل شرع الله بشرع مَن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، فالمسلم غيرُ الكافر، والمسلمة غيرُ الكافرة، ولكلٍّ شِرعُته ومنهجُه ودينه، والحكم لله وحده: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [سُورَةُ المَائِدَة].

فاقبلوا أيُّها المسلمون من الله حكمَه، فدينُكم الإسلام لا دينَ لكم غيرُه، وأما ما يُمليه علينا الأعداء والكفار فهو طريق للهاوية وسبيل للردى والنار الحامية.

واسمعي أيَّتها المرأة المسلمةُ نداءَ الله تعالى فبعد أن ذكر - في سورة سمَّاها بسورة النساء - أحكامًا كثيرة جَمَّةً وَأَوَامِرَ وَنَوَاهِي متعددة تتعلَّق بالميراث والزواج والتعدُّد والطلاق وغير ذلك مما يصلح لبناء الأُسَر في الإسلام، قَصَد منها اسْتِئْنَاسَ الْمُؤْمِنِينَ وَاسْتِنْزَالَ نُفُوسِهِمْ إِلَى امْتِثَالِ الْأَحْكَام المذكورة، لأَنَّهَا أَحْكَامٌ تُفْضِي إِلَى خَلْعِ عَوَائِدَ أَلِفُوهَا، وَتصَرْفِهُمْ عَنْ شَهَوَاتٍ اسْتَبَاحُوهَا، فقال سبحانه بعد تقريرها: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاء][9].

فلا يعلم ما يُصلحُك إلا خالقُك ورازقك ومدبِّرُ أمرك، فمَن رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا فليرضَ بأحكامه وشرائعه، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

❀❀❀



(9) انظُرْ: «التَّحرير والتَّنوير» (18/5).

حكم تسمية الوليد!!



كمال قالمي
أستاذ بجامعة الجوف ـ السعودية

إنَّ شريعتنا الغرَّاء رغَّبت في الزَّواج وحثَّت على إنجاب الأولاد، وأمرت وحضَّت على العناية بهم تنشئةً ورعايةً وتربيةً وتأديبًا.

ومن ذلك اختيارُ الأسماءِ الحسنةِ لهم؛ كالتَّعبيد لأسماء الله جَلَّ الحسنى، وأفضلُها عبدُ الله وعبدُ الرَّحمن، وكذا أسماءُ الأنبياء والصَّحابة والصَّالحين، وكذا الأسماءُ الَّتي تَبعَثُ على التَّفاؤل وتدعو إلى الخيرِ والاستبشار؛ واجتنابُ تَسميَتِهم بالأسماءِ المُحرَّمةِ أو المكروهةِ؛ كالتَّعبيدِ لغيرِ أسماءِ الله مثل: عبد النَّبيِّ، وعبد الحُسَين، وعبد عليٍّ وغيرها من تسميات الشِّيعة الرَّافضة، أو تَسميَتِهم بأسماء الشَّياطين والأصنام والفراعنة والجبابرة أو الأسماء الأعجميَّة، أو الأسماء الَّتي فيها تزكيةٌ ومدحٌ، أو الأسماء المُستَكرَهةُ الَّتي لها معانٍ تَكرَهُها النُّفوسُ وتَنفر منها الطِّباعُ السَّليمةُ.

❀❀❀

وقد كان من هدي النَّبيِّ ﷺ تغييرُ الأسماء القبيحة إلى أسماء حسنة مليحة، فحوَّلَ ﷺ اسمَ العاصي إلى مُطيعٍ، واسمَ حَزْنٍ إلى سَهْل، واسمَ زَحْم إلى بَشِير، واسمَ أَصْرم إلى زُرْعَة، واسم بَرَّة إلى زَيْنَب، واسمَ عاصيةٍ إلى جميلةٍ، وغيرِ ذلك.

❀❀❀

ومن الأسماء الَّتي جاء النَّهي عنها في السُّنَّة اسم «الوليد»، ورد ذلك في جملة أحاديث وهي محلُّ بحث ونظر عند أهل العلم، فمنهم من قوَّاها ومنع تسمية المولود بالوليد، ومنهم من أعلَّها ولم ير بأسًا بذلك.

❀❀❀

وسأسوق لك ـ أخي القارئ! ـ ما وقفت عليه من هذه الأحاديث مقرونةً بدراسة أسانيدها وبيان درجتها على ضوء قواعد وأحكام علماء الحديث رحمهم الله تعالى، ومن الله وحده أستمدُّ العون والسَّداد، وأسأله سبحانه التَّوفيق والرَّشاد.

أوَّلاً ـ عن عمر بن الخطَّاب قال: ولد لأخي أمِّ سلمة زوج النَّبيِّ ﷺ غلام فسمَّوه الوليد، فقال النَّبيُّ ﷺ: «سَمَّيْتُمُوهُ بِأَسْمَاءِ فَرَاعِنَتِكُمْ! لَيَكُونَنَّ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: الوَلِيدُ لَهُوَ شَرٌّ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ».

أخرجه الإمام أحمد (109) عن أبي المغيرة، حدَّثنا ابن عيَّاش، حدَّثني الأوزاعيُّ وغيره، عن الزُّهريِّ، عن سعيد بن المسيِّب، عن عمر بن الخطَّاب، فذكره.

ورجاله ثقات غير أنَّه معلول؛ فإنَّ ابنَ عيَّاش وهو إسماعيل بن عيَّاش وإن كانت روايته عن الشَّاميِّين مستقيمة ـ وهذه منها ـ، لكنَّه خولف في إسناده.

خالفه الوليد بن مسلم.

فرواه نعيم بن حمَّاد في «الفتن» (328)، ويعقوب بن سفيان الفسوي في «المعرفة والتَّاريخ» (349/3) ومن طريقه البيهقي في «دلائل النُّبوَّة» (505/6) من طريق الوليد بن مسلم، حدَّثني أبو عمرو الأوزاعي، عن ابن

شهاب، عن سعيد بن المسيب، قال: «ولد لأخي أمِّ سلمة غلام فسمُّوه الوليد».

قال الأوزاعي: فكان النَّاسُ يرون أنَّه الوليد بن عبد الملك، ثمَّ رأينا أنَّه الوليد ابن يزيد لفتنة النَّاس به حين خرجوا عليه فقتلوه فانفتحت الفتنُ على الأمَّة والهرْج.

وإسناده صحيح إلى سعيد ابن المسيِّب، فالوليد بن مسلم وإن كان يدلِّس التَّسوية فإنَّه صرَّح بالتَّحديث، كما توبع أيضًا.

فقد أخرجه البيهقي في «دلائل النُّبوَّة» (505/6) من طريق سعيد بن عثمان التَّنُّوخي، حدَّثنا بشر بن بكر، حدَّثني الأوزاعي، حدَّثني الزُّهري، حدَّثني سعيد بن المسيِّب، حدَّثني سعيد ابن المسيِّب، قال: «وُلد لأخي أمِّ سلمة من أمِّها غلام...» الحديث.

قال البيهقي: «هذا مرسل حسن»، وأقرَّه ابن كثير في «البداية والنهاية» (242/6)، وقال الحافظ ابن حجر في «النكت» (457/1): «وهو كما قال، بل هو على شرط الصَّحيح لولا إرساله».

فتبيَّن بهذا أنَّ الحديث مرسل، وهو ما رجَّحه الإمام الدَّارقطني في «العلل» (159/2) فقال: «يرويه الأوزاعي فاختُلِفَ عنه، فرواه إسماعيلُ بنُ عيَّاش عن الأوزاعي عن الزُّهري عن ابن المُسَيِّب عن عمر، وغيرُه يَرويه عن الأوزاعي ولم يذكُرْ عمر، وهو الصَّواب».

وإذا علم هذا؛ فقد اختلف حافظان في الحكم على حديث عُمَر هذا، فأمَّا أحدهما فحسَّن إسناده وهو الحافظ الهيثمي، وأمَّا الآخر فحكم عليه بالبطلان وهو الحافظ ابن حبَّان.

قال الهيثمي في «مجمع الزَّوائد» (240/5): «رواه أحمد وإسناده حسن».

قلت: وحكمه هذا بناءً على ظاهر إسناده على خلاف في سماع سعيد بن المسيب من عمر رضي الله عنه.

وقال ابن حبَّان في «المجروحين» (125/1): «هذا خبر باطل، ما قال رسول الله ﷺ هذا، ولا عمر رواه، ولا سعيد حدَّث به، ولا الزُّهري رواه، ولا هو من حديث الأوزاعي بهذا الإسناد».

كذا قال رحمه الله، والظَّاهر أنَّ سعيد بن المسيِّب حدَّث به ـ كما صحَّ الإسناد إليه ـ، ورواه عنه الزُّهري، وحدَّث به الأوزاعي، وتابعه عليه مَعمر بن راشد، فقد رواه عبد الرَّزَّاق في الجزء الثَّاني من «أماليه» ـ كما في القول المسدَّد (ص50 ـ 51) ـ عنه، عن الزُّهري، عن سعيد ابن المسيِّب، فذكره، ولم يذكر عمر رضي الله عنه.

قال الحافظ ابن حجر في «النكت» (458/1): «فبان بهذا أنَّ قول ابن حبَّان: إنَّ ابن المسيِّب ما حدَّث به قطُّ، ولا ابن شهاب ما حدَّث به أيضًا، ولا الأوزاعيُّ لا يخلو من مجازفة».

قلت: ولأجل كلام ابن حبَّان المذكور أورد ابنُ الجوزي الحديث في «الموضوعات» وألزقه بإسماعيل بن عيَّاش، ورماه بالاختلاط ووصفه بأشياء لا يُسلَّم له بها؛ ولذلك تعقَّبه الحافظ في «القول المسدَّد» بكلام سديد متين، وانفصل إلى أنَّ أقصى ما يُقال في إسماعيل بأنَّه أسنده والثِّقات أرسلوه.

○○○

ثانيًا ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وُلد لأخي أمِّ سلمة غلامٌ فسمَّوْهُ الوليدَ، فذُكر ذلك لرسول ﷺ فقال: «سَمَّيْتُمُوهُ بِأَسَامِي فَرَاعِنَتِكُمْ؟! لَيَكُونَنَّ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: الوَلِيدُ هُوَ شَرٌّ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ فِرْعَوْنَ عَلَى قَوْمِهِ».

قال الزُّهريُّ: إن استخلف الوليد بن يزيد فهو هو، وإلاَّ فالوليد بن عبد الملك.

أخرجه الحاكم في «المستدرك» (494/4) من طريق نعيم بن حماد، ثنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة، قال (فذكره).

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

ثم قال: «وهو الوليد بن يزيد بلا شك و لا مرية».

قلت: وهذا الحديث خطأ، فقد سبق أن نعيم بن حماد رواه في كتابه «الفتن» بهذا الإسناد عن ابن المسيب مرسلاً، وهو المحفوظ عن الوليد بن مسلم.

ويبدو أن نعيماً قد اضطرب في إسناده وهو على جلالته وصلابته في السنّة له أوهام كثيرة، قال أبو بكر الخطيب في «تاريخ بغداد» (306/13): «ذكره الدارقطني فقال: إمام في السنة كثير الوهم».

وقال الحافظ في «التقريب»: «صدوق يخطئ كثيرا فقيه عارف بالفرائض».

وقال في «الفتح» (581/10) في حديثه هذا: «وعندي أن ذكر أبي هريرة فيه من أوهام نعيم بن حماد».

○○○

ثالثاً ـ عن أمِّ سلمة رضي الله عنها، قالت: دخل عليَّ النبيُّ ﷺ وعندي غلامٌ من آل المغيرة اسمه الوليد، فقال: من هذا

يـا أمَّ سـلمة؟ قالت: هـذا الوليد. فقال النبـيُّ ﷺ: «قد اتّخذتم الوليـد حناناً! غيِّروا اسـمه؛ فإنّه سيكون في هذه الأمّة فرعون يقال له: الوليد».

رواه ابن عسـاكر في «تاريخ دمشـق» (323/63) مـن طريـق سـلمة ابـن الفضـل، حدثني محمَّد بن إسحاق، عن محمـد بن عمرو بـن عطاء، عـن زينب بنت أمِّ سـلمة، عن أمّها أمِّ سـلمة قالت (فذكرته).

وعزاه الحافـظ في «القول المسـدَّد» (ص51) لإبراهيـم الحربي في «غريب الحديـث»[1] لـه مـن طريق محمّـد ابن إسحاق، به.

ثـم قـال الحافـظ: «وهـذا إسـناد حسن».

قلـت: إنْ أُمـن مـن تدليـس ابـن إسحاق، فقد رواه بالعنعنة.

وقولـه: «حنَانًـا» أي تَتَعَطَّفـون على هذا الاسـم وتُحِبُّونه، كما في «النهاية في غريب الحديث».

وله إسـناد آخـر لا يفرح به، أخرجه الزبير بن بكار ـ ومن طريقه ابن عساكر في «تاريـخ دمشـق» (324/63) ـ قال: حدّثنا محمد بن سلام (هو الجمحي)، حدّثنا حماد بن سلمة وابنُ جُعْدبة ـ وفيه اختـلاف بينهما ـ قالا: «دخل النبي ﷺ على أمِّ سـلمة وعندهـا رجلٌ فقال: «من هذا؟» قالت: أخـي الوليد قدم مهاجراً. فقال: «هذا المهاجر». فقالت: يا رسـول الله هـذا الوليد! فأعـاد وأعادت! فقال: «إنكم تريـدون أن تتخـذوا الوليد حناناً

(1) حقّق جزء منه في ثلاثة مجلدات، وسـائر أجزائه في عداد المفقود.



إنـه يكـون في أمَّتـي فرعـون يقـال له الوليـد» قـال وفي حديـث حمـاد بـن سـلمة: «يسـرُّ الكفر ويظهـر الإيمان» وعرفـت أمُّ سـلمة مـا أراد من تحويل اسـمه فقالـت: يـا رسـول الله هـو المهاجر». وإسناده معضل تالف.

ابـن جُعْدبة هو يزيد بـن عياض بن جُعْدبة الليثيّ كذَّبه مالك وغيره، كما في «التقريب».

ومحمـد بـن سـلام هـو الجمحـيّ مولاهـم صـدوق مـن علمـاء الأدب والأنسـاب لـه ترجمـة في «سـير أعلام النُّبلاء» (651/10) ، و«لسان الميزان» (182/5).

○○○

رابعـاً ـ عـن ابـن مسـعود ﷺ، قـال: «نهـى رسـولُ الله ﷺ أن يُسـمّى الرجلُ: حارثٌ أو مُرَّةٌ، أو وليدٌ، أو حكمٌ، أو أبـو الحكـم، أو أفلـح، أو نجيـح، أو يسـار» وقال: «إنّ أحبَّ الأسماء إلى الله عزّ وجلّ ما تعبّد به».

أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (89/10)، وفي «الأوسط» (698) من طريـق محمد بـن مِحْصـن العُكَّاشـيّ، عن سـفيان الثـوريّ، عن منصـور، عن إبراهيـم، عـن علقمـة، عن عبـد الله، فذكره. وإسناده ضعيف جداً.

قال الطبراني: «لم يروِ هذا الحديثَ عن سفيان إلاّ محمد».

يعني محمد بن محصـن العكّاشيّ، وقد كذّبوه، كما في التقريب.

ولذلـك قـال الحافـظ في «الفتـح» (580/10): «سنده ضعيف جداً».

وقـال الهيثمي في «مجمـع الزوائد» (50/8): «رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبـير»، وفيـه محمـد بـن محصـن العكاشي، وهو متروك».

وحكم عليه العلاّمة الألباني رحمه الله في

«السِّلسلة الضَّعيفة» رقم (408) بأنه موضوع.

ooo

خامساً - عن معاذ بن جبل ﷺ قال: «خرج علينا رسولُ الله ﷺ متغيِّر اللَّون...» وذكر حديثاً طويلاً في الفتن، وجاء فيه: «الوليد اسم فرعون هادم شرائع الإسلام بين يديه رجلٌ من أهل بيت يسلُّ الله سيفه فلا غماد له، واختلف الناسُ فكانوا هكذا».

أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (129/3) من طريق مجاشع بن عمرو، ومنصور بن عمار قالا: ثنا عبد الله بن لهيعة، عن أبي قبيل (هو حي بن هانئ)، حدثني عبد الله بن عمرو بن العاص، أنّ معاذ بن جبل أخبره، فذكره.

وإسناده واه؛ فيه منصور بن عمار الواعظ، قال أبو حاتم: «ليس بالقويِّ»، وقال ابن عدي: «مُنكَرُ الحديث»، وقال العقيلي: «فيه تَجهُّمٌ»، وقال الذهبي: «ساق له ابن عدي أحاديث تدلُّ على أنه واهٍ في الحديث»[2].

وقرينه مجاشع بن عمرو أوهى منه، قال ابن معين: «قد رأيتُه أحد الكَذَّابِين»، وقال العقيلي: «حديثُه مُنكَرٌ»[3].

وبه أعلَّ الهيثمي الحديث فقال في «المجمع» (190/9): «فيه مجاشع ابن عمرو، وهو كذَّاب».

وعزاه الحافظ في «الفتح» (581/10) للطبراني وقال: «وسنده ضعيف جداً».

ooo

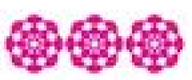
(2) انظُرْ لهذه الأقوال: «ميزان الاعتدال» (187/4-188).

(3) المصدر السَّابق (436/3).

سادساً - عن الزهريِّ، قال: أراد رجلٌ أن يسمِّي ابناً له الوليد، فنهاه النبيُّ ﷺ وقال: «إنّه سيكون رجلٌ يقال له الوليد، يعمل في أمّتي كما فعل فرعون في قومه».

أخرجه معمر في «جامعه» (آخر «مصنف عبد الرزاق» 43/11) عن الزهريّ.

وإسناده معضل.



وبالجملة فالأحاديث الواردة في ذمِّ اسم الوليد لا تخلو من ضعف وبعضها أضعف من بعض، وأقواها مرسل سعيد بن المسيب (الحديث الأول)، وحديث أمِّ سلمة (الحديث الثالث)، وسائر الأحاديث لا يعتبر بها، فالحديث الثاني إسناده خطأ، والحديث الرابع والخامس إسنادهما ضعيف جداً، والأخير من مرسلات الزّهريّ، ومراسيله أكثر الأئمة على تضعيفها وهي عندهم شبه لا شيء، حتى قال الإمام يحيى بن سعيد القطان رحمه الله: «مرسل الزهري شرٌّ من مرسل غيره؛ لأنه حافظٌ وكلّما قدر أن يسمّي سمَّى وإنما يترك من لا يستجيز أن يسميه»[4].

والحديث محتمل للتحسين من الطريقين المشار إليهما؛ وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في «تحفة المودود» (ص197) اسم الوليد في ضمن الأسماء المنهي عنها، فقال رحمه الله: «ومنها أسماء الفراعنة، كفرعون، وقارون، وهامان، والوليد» ثم أورد مرسل الزهريّ الأخير.

(4) يُنظَر: «جامع التَّحصيل» للحافظ العلائي (ص79).

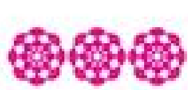
ولعلّ الإمام البخاريّ رحمه الله يذهب إلى إعلال هذه الأحاديث؛ فإنه عقد ترجمة في كتاب الأدب من «صحيحه» رقم (6200) بقوله: «باب تسمية الوليد» وأخرج حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: «لما رفع النبيُّ ﷺ رأسه من الركعة قال: اللَّهُمَّ أَنْجِ الوَلِيدَ بنَ الوَلِيد، وسَلَمَةَ ابنَ هِشَام، وعَيَّاشَ بْنَ أبي رَبِيعَةَ، والمُسْتَضْعَفِينَ بمَكَّةَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كسِنِيِّ يُوسُفَ».

وفي إقرار النَّبيِّ ﷺ على اسم الوليد دليل على جوازه، قال الحافظ ابن حجر: «فلو كان مكروهاً لغيَّره النبيُّ ﷺ كعادته، فإنَّ في بعض طرق الحديث المذكور الدلالة على أنّ الوليد ابن الوليد المذكور قد قدم بعد ذلك المدينة مهاجراً - كما مضى في المغازي -، ولم يُنقل أنه ﷺ غيَّر اسمه» اهـ[5].

كما ذكر الحافظ رحمه الله في كتابه «الإصابة» جماعة من الصّحابة[6] ممن اسمه الوليد أشهرهم الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط الأمويّ ﷺ.

والله تعالى أعلم.

وصلَّى الله وسلم على نبيِّنا محمّد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



(5) «فتح الباري» (581/10).

(6) وفي صحبة بعضهم نظر.



بريد القرّاء

⊛ بعث إلينا الأستاذ عيسى بن فائزة خطابًا مبيِّنًا فيه وفاءه الشَّديد لمجلَّة الإصلاح وتتبُّعه المستمرّ لموضوعاتها، وثناؤه العاطر على القائمين عليها، ولقد اقتناها من أوَّل عدد إلى اليوم يعني مدَّة تسعة أعوام.

فجزاه الله خيرًا وزاده علمًا وسدادًا وتوفيقًا.

أمَّا الكتابة عن جمعيَّة العلماء المسلمين فلا يخفى أنَّنا نشرنا أشياء عنها وعن مشايخها ونحن ـ بحقٍّ ـ بحاجة إلى المزيد، نسأل الله التَّوفيق.

⊛ ونشكر الأخت الكريمة أمَّ عبد الله من برج الكيفان ـ الجزائر على تواصلها معنا واهتمامها بتربية أولادها، وإنَّ من أهمِّ ما ينبغي أن يسلكه المربِّي في معالجة أخطاء المراهقين: العلم والحكمة والرِّفق والصَّبر والحلم.

وقد كتب أخونا الشَّيخ نجيب جلواح بحثًا مهمًّا عن مفهوم المراهقة، نسأل الله تعالى أن يفرِّج همَّها ويهدي ولدها إنَّه سميع قريب مجيب الدُّعاء.

⊛ والشُّكر موصول إلى المفضال سُهيل بوكرطوطة من العوامة ولاية جيجل على مشاركته الَّتي نصَّ فيها على أهميَّة الرُّجوع إلى العلماء الربَّانيِّين وضرورة التمسُّك بغرزهم.

وهؤلاء العلماء هم «من لهم قدم راسخة في العلم وعُرفوا بنصرهم لمنهج السَّلف الصَّالح، فعن هؤلاء يُتلقَّى العلم، ويُؤخذ الاعتقاد والمنهج» كذا قال.

ولا شكَّ أنَّ العلماء هم ورثة الأنبياء وحماة الشَّريعة وحُرَّاس الملَّة، والرُّجوع إليهم من أعظم أسباب النَّجاة من الفتن، والخلاص من المحن.

فجزى الله أخانا سُهيلًا خير الجزاء، وسهَّل أمره وآتاه سؤله.

⊛ وفرحنا كثيرًا بمراسلة الوفيِّ، بوجمعة عمَّار من دائرة عين البيضاء ولاية ميلة، فقد نوَّه بالمجلَّة الَّتي اهتمَّ القائمون عليها ببيان التَّوحيد والسنَّة، والتَّحذير من الشِّرك والبدعة.

وبشَّرنا ـ بشَّره الله بالخير ـ بأنَّ مجلَّتنا الغرَّاء وصلت إلى أعالي جبال الحُلفاء ببلديَّة العياضي برباس فنسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعل لها القَبُول والثَّبات والاستمرار آمين.

⊛ أمَّا القارئة الفاضلة رزيقة بن قايدة فهي مشكورة كثيرًا على اهتمامها بالمجلَّة وموضوعاتها، خاصَّة ما يتعلَّق بشؤون المرأة المسلمة، واقتراحها المزيد من الكتابة في قضايا المرأة والمشكلات الَّتي تواجهها وجيه وسديد.

⊛ ولا ننسى الأخ الودود فرحات عياط من ولاية تيارت على وفائه للمجلَّة وتتبُّعه لموضوعاتها وحُسن ظنِّه بالقائمين عليها، ونبشِّره أنَّنا ـ إن شاء الله ـ على الدَّرب سائرون، وعلى بيان الحقِّ حريصون.

⊛ وكم سعدنا بالردِّ المفحم الَّذي وجَّهه مسعود الجزائري لبعض الوعَّاظ الطَّاعنين في أهل السنَّة والجماعة، المنتصرين لأهل البدعة والفُرقة وانتقد القصيدة المسمَّاة «بالياقوتة» وبيَّن ما فيها من أخطاء عقديَّة وخرافات صوفيَّة وخُزعبلات تيجانيَّة.

فاللهم اجعل ذلك في ميزان حسناته.